سلسلة الدّراسات اليوحنّاويّة
٢

«النَّسر المُحلِّق»
دراسة في لاهوت الإنجيل الرّابع

الأرشمندريت أغابيوس أبو سعدى
الرّاهب الباسيليّ المخلِّصيّ

لا مانع من طبعه

المطران موسى الحاج

المدبّر الرّسولي لأبرشيّة عكّا، حيفا، النّاصرة وسائر الجليل

للرّوم الملكيّين الكاثوليك

فليُطبَع

الأرشمندريت أنطوان ديب

رئيس عامّ الرّهبانيّة الباسيليّة المخلّصيّة

دير المخلّص العامر - لبنان

الحكيم للطّباعة والنّشر م.ض - النّاصرة

رقم الهاتف: ٠٤-٦٤٦٦٣٣٣

الفهرس

الفهرس..٣

كلمة المطران إيلي بشارة حدّاد ٥

كلمة المطران ميخائيل أبرص...٧

كلمة الأب العامّ الأرشمندريت أنطوان ديب.........................١١

توطئة د. مهندس عماد طويل...١٣

مقدّمة الكاتب...١٥

• القسم الأوّل:

الرّوحانيّة اليوحنّاويّة: إيمانٌ وتلمذة.................................٢٣

• القسم الثّاني:

الإيمان اليوحنّاويّ، علاقة اتّحادٍ شخصيٍّ بالمسيح....................٧٥

• القسم الثّالث:

«المعرفة» اليوحنّاويّة «حياةٌ أبديّةٌ».....................................١٠٥

• القسم الرّابع:

«إبن الإنسان» اليوحنّاويّ..١٢٣

• **القسم الخامس:**

«الرّسالة» بين فرح الزّارع والحاصد معًا (٤: ٣٦)..........................١٥١

الباب الأوّل: خارطة الرّسالة في الإنجيل الرّابع.............................١٥٩

الباب الثّاني: مفردات الرّسالة...١١٦٣

لباب الثّالث: رسالة يسوع...١٦٧

الباب الرّابع: رسالة التّلاميذ..٢٢٢

خاتمة عامّة...٢٧٩

المراجع المُعتمَدة...٢٩١

ملاحظتان هامّتان:

- الآيات المذكورة في الكتاب جاءت كما وردت في الطّبعة الأرثوذكسيّة للعهد الجديد الصّادرة عن مطرانيّة بغداد والكويت وسائر الخليج العربي ودير الشّفيعة الحارّة في الكورة – لبنان.

- إنّ الاستشهادات الكتابيّة الّتي وردت في هذا الكتاب بدون ذكر المرجع تعود بكلّيّتها إلى إنجيل يوحنّا.

كلمة المطران إيلي بشارة الحدّاد

صيدا في ١٤ تشرين الأوّل ٢٠١٣

قرأت كتاب «النّسر المحلِّق» لكاتبه قدس الأرشمندريت أغابيوس أبو سعدى باهتمامٍ بالغ، فخالجتني مشاعرُ عديدةٌ رافقتني منذ الصّفحة الأولى وتطوّرت حتّى الأخيرة. فشعور البدايات كان مرتبطًا بتلك العاطفة الّتي أكنُّها للكاتب وهو بعد في الإكليريكيّة طالبًا وكنتُ عنه مسؤولاً؛ كنتُ على يقينٍ حينها بأنّ ذاك الهَيثم سيكون نسرًا في يومٍ من الأيّام. وتراكمت السّنوات، وها هو اليوم يخطّ كتابه السّادس ويحلّق في لاهوت القدّيس يوحنّا نسر الكنيسة والإنجيليّين الأربعة.

في نظرةٍ حول الكتاب هذا، لا شكّ أنّ الكاتب جريءٌ باقتحام عالم الكتاب المقدّس الّذي يهرب من الغوص في فصوله علماء قضوا في البحث طويلاً؛ ولا شكّ أنّ كاتبنا ينهل من القدّيس يوحنّا إلهامًا ووحيًا، فيكتب ما يمليه عليه الرّوح القدس المعلِّم الأوّل والأخير في الكتاب المقدّس.

أَولى الكاتب اهتمامًا بالغًا بالطّابع الكريستولوجيّ ثمّ الثّالوثيّ لإنجيل يوحنّا الرّسول. وأبرز بالتّدرّج كيف يمكن لتلميذ يوحنّا أن يصبح تلميذًا للمسيح: بالنّضوج بالإيمان، بالاعتماد على التّلميذ الحبيب كمثال، باكتشاف البعد الكريستولوجيّ للرّوحانيّة اليوحنّاويّة ثمّ بالغوص في سرّ الثّالوث الأقدس. خارطة طريقٍ للإنجيل الرّابع تهدي الباحثين والمؤمنين إلى العمق الإلهيّ؛ وبهذا يكون الكاتب قد أسهم في رفع نفوسنا نحو السّماء حيث تُحلِّق النّسور أقرب إلى قلب الله.

إنّنا إذ نهنّئ الكاتب، نعبِّر عن فخرنا لِما آلت إليه جهوده، ونعبِّر عن اطمئناننا إلى مسيرته ولا محال أنّه سيبلغ إلى معرفة الحقّ وإلى ملء قامة السّيّد المسيح.

المطران إيلي بشارة الحدّاد

راعي أبرشية صيدا ودير القمر للروم الملكيين الكاثوليك

كلمة المطران ميخائيل أبرص

الرّبوة في ٢٠ كانون الأوّل ٢٠١٣

أيّها الأب أغابيوس، الابن الحبيب، لا يخلو تاريخ الرّهبانيّة المخلّصيّة من شخصيّاتٍ تركت بصماتها في تاريخ الطّائفة سواء بقداستهم أو بتصرّفاتهم أو بمؤلّفاتهم، فكيف مَن يحاول أن يجمع هذه الصّفات الثّلاث بشخصه! أُهنئك على الكتب السّابقة الّتي اطّلعتُ بسرعةٍ عليها، لكنّني استطعت أن أستشف من مضمونها مدى معلوماتك وعمق روحانيّتك.

ليس عبثًا أن دعا الآباء القدّيسون الرّسول يوحنّا الإنجيليّ بـ «الحبيب واللّاهوتي». فقد غاص حقًّا بخصوصيّات يسوع، ألم يكن هو الّذي سند رأسه على صدر المخلّص في العشاء السّرّيّ وسأله عمّن يُسلمه؟ ألم يكن هو الوحيد من الرّسل الّذي ظلّ مع معلّمه حتّى آخر لحظةٍ، تحت الصّليب؟! فكرّمه يسوع مرّتين أوّلاً بأن سلّمه أمّه قائلاً لها: «أيّتها المرأة، هذا ابنك» وثانيًا عندما أردف قائلاً له: «هذه أمك» (يوحّنا ١٩: ٢٥-٢٧). ألم يَسمعه يقول عنه: «إن شئت أن يثبت هذا إلى أن أجيء، فماذا لك؟» (يوحنّا ٢١: ٢٢). أضف إلى أنّ يوحنّا يقول عن ذاته إنّه يبشّر بذاك الّذي كان منذ البدء، ذاك الّذي سمعه، ورآه بعينيه، وتأمّله، ولمسته يداه، كي يُشرك الآخرين به وبلاهوته فيفرحوا هم أيضًا. كان الرّسول يوحنّا الحبيب ممّن عاصروا أولئك الأشخاص الّذين تكلّم عنهم في إنجيله مُظهرًا دورهم في الرّسالة، تلك الرّسالة الرّوحيّة الّتي نحن بحاجةٍ إليها، فوضعهم مثالاً لنا ودعوة صريحة للإيمان.

الله ليس بحاجةٍ لأحدٍ منا، نحن بحاجةٍ إليه. طبعًا أخذ المبادرة بمحبّته وذلك لخيرنا ومصلحتنا لكنّنا نحن فقراء ومعثّرون، نحن بحاجةٍ لهذه المحبّة العارمة كي نصير نحن أيضًا على صورة المسيح ينبوع عطاءٍ ومحبّة، مثل الرّسول الحبيب يوحنّا!

«النّسر المحلّق»، عنوانٌ موفَّق، ونِعم الاختيار! فللنّسر معانٍ جمّة، تُعبِّر حقًّا عن الإنجيل الرّابع وكاتبه ومحتواه: هو من الحيوانات الطّائرة الّتي لها أجنحة وتُحلِّق عاليًا وهذا رمزٌ لتخطّي الأمور الأرضيّة؛ هو ملك الطّيور، يرتفع عاليًا في الجوّ لينظر من الأعلى فريسته وينقضّ عليها؛ ومن فرائسه المميّزة «الحيّة»، رمز الشّرّ، لذا فهو يُعتَبر المنتصر على الشّرّ؛ والنّسر حيوانٌ وفيٌّ لأنثاه ويرعى، بصورةٍ خاصّةٍ وفائقةٍ، صغاره. هو «الطّير-الإله» و«الطّير الملكيّ» لدى الهنود واليونانيّين والفرس؛ هو الوحيد الّذي يستطيع أن ينظر إلى الشّمس، فهو رمز القوّة والانتصار ورسول الآلهة لا بل رمز الشّمس نفسها... فباستثناء أنّ التّقليد يُشبّه الرّسول يوحنّا الحبيب اللّاهوتي بالنّسر أحد الحيوانات الأربعة الّتي رآها حزقيال، إلا أنّه استحق وبجدارةٍ هذا اللّقب، كونه تخطّى الظّاهر ليغوص في العمق ويُظهر للمؤمنين رغبة المخلّص وهدفه؛ هو الّذي تغلّب على الشّرّ ورأى ما هو أبعد من المنظور وأعطاه بصورةٍ رمزيّةٍ في إنجيله وفي رؤياه؛ هو الّذي عرف الرّبّ بينما بطرس لم يعرفه (يوحنّا ٢١: ٧).

يوحنّا هو ذاك «النّسر المحلّق»، فإنجيله يُكمل ما كتبه متّى ومرقس ولوقا، ولكنّه يختلف عنهم كونه غاص في شخص المسيح وأحبّه وعرفه ابنًا للإنسان وابنًا وحيدًا لله، رأى فيه «النّبي» و«المعلّم» و«المسيح المنتظَر» وبالتّالي اعترف به جهارًا وتجرّأ أن يقف في وجه رؤساء الكهنة ويقول لهم مع بطرس: «لا نقدر أن لا نتكلّم بما عاينّا وسمعنا» (أعمال ٤: ٢٠).

استطاع أن يرى بعيني الإيمان ألوهية يسوع ويذهب ويبشّر بها في أفسس ويُنفى إلى جزيرة بطمس... ففي كتاباته وفي حياته كلّها، كان يكرز بانتصار المسيح وكنيسته، وكان بالتّالي صورةً للمسيح نفسه!

أيّها الحبيب أغابيوس، وفّقك الله في مساعيك الحميدة، وإلى مزيدٍ من العطاء، فالكنيسة بحاجةٍ إلى أعمالٍ كهذه وإلى أشخاصٍ أمثالك؛ ألم يقلِ البابا فرنسيس إنّنا بحاجةٍ إلى رعاةٍ مثقَّفين وقدّيسين وإداريّين! سِر على خطى ذاك «النّسر المحلّق»، الرّسول يوحنّا الإنجيليّ واللّاهوتي والحبيب. والله هو الموفّق.

المطران ميخائيل أبرص

مطران في الدّائرة البطريركيّة والمعاون البطريركي في لبنان

كلمة الأب العام الأرشمندريت أنطوان ديب

رقم: ٢٠١٤/٢١

في: ٢٠١٤/٢/٢٧

الأب الحبيب أغابيوس أبو سعدى المحترم،

إنّ سرّ الله أُعلِن لنا بابنه الكلمة «في البدء كان الكلمة»، هذه الكلمة الّتي تثمر كلّ يومٍ وكلّ ساعة لحظة وقوعها في أرضٍ طيّبة. وللزّارع فضلٌ كبير في مخطّط الله الخلاصيّ وعلى الزّارع أن يكون على مثال معلّمه يعطي كلمة الحياة.

نحن اليوم أمام كتابٍ جديد للأب الحبيب أغابيوس أبو سعدى «النّسر المُحلّق» ويعني به الكاتب القدّيس يوحنّا الإنجيليّ، فكلّ مَن يغوص في هذا الإنجيل عليه أن يرتفع كي يسبر العمق، هذه هي جدليّة هذا الإنجيل فكلّما دخلنا مخدعنا لملاقاته تعالى كلّما ارتفعنا وحلّقنا مع يوحنّا لنصل إلى المشاهدة وجهًا لوجه.

أبتِ الحبيب أشكرك على الجهود الّتي بذلتها لإصدار هذا الكتاب وآمل أن يساعد كلّ مَن يقرأه إلى الارتفاع عاليًا كي يرى وجه المسيح.

مع محبّتي

الأرشمندريت أنطوان ديب

الرّئيس العام للرّهبانيّة المخلّصيّة

توطئة

بيروت في ٢٦ تشرين الأوّل ٢٠١٣

عيد القدّيس العظيم في الشهداء ديمتريوس المفيض الطيب

باسم الآب والإبن والرّوح القدس الإله الواحد، آمين.

يُطلعنا المؤلف، في هذا الكتاب، على أهميَّة الروحانيَّة اليوحانويَّة في إنجيله الرابع، حيث النَّسر المحلِّق لا يطير إلاّ بجناحَين قويَّين. لذلك كشفَ لنا قدس الأرشمندريت أغابيوس أبو سعدى أنَّ قيمة هذَين الجناحَين قائمَين على المعرفة والشهادة، إذ كيف أشهد إن لم أعرف؛ وقد شهد يسوع لأبيه على لسان يوحنّا الرّسول «الحياة الأبديّة هي أن يعرفوك أنتَ الإله الحقيقيّ وحدك، والّذي أرسلتهُ يسوع المسيح» (يوحنّا ١٧: ٣).

أمّا مفهوم المعرفة في إنجيل يوحنا هو: الولادة–مع (con-naître)، أي أن ينشأَ الإنسان في كلِّ محطات حياته مع يسوع المسيح الإله، فيغتذي بغذائه، وينمو بنموِّه، في مواكبةٍ حياتيَّةٍ يوميّة، لا تخلو من الشّهادة، الإستشهاد، واختبارٍ يحمل حذرَ السّقوط، وظَنَّ الوقوف، في مسيرته نحو الملكوت السّماويّ.

فالكتاب لا شكّ يدفع بكلِّ قارئ، إلى العودة جذريًّا إلى الذّات، ليكشف إيمانه القائم على المحك، والمهدَّد كلّ يومٍ بتجارب العالم؛ فلا إيمان، ولا شهادة، ولا معرفة، خارجَ هذا الإله الّذي غسلَ أقدام البشريَّة كلِّها، من خلال غسل أقدام الرّسل.

هذا الإله الّذي ليس «ههُنا. فقد قامَ كما قال!» (متّى ٢٨:٦). فلنفتِّش عنه من جديد، ربما أضعناهُ في دائرة المعارف الأرضيَّة، وشهادات الآلهة الصّنميَّة، وإيماننا الكرتونيّ الزّائف.

شكرًا لقدس الأرشمندريت أغابيوس الّذي أضاءَ سماءَنا الّتي أظلمت بعد عمادِنا، وأزالَ القشور القاسية الّتي أعمَت عيونَنا، وأذابَ صقيعَ الجليد عن قلوبنا، لنرى كما رأى يوحنّا الرّسول، فنعرف ونشهد...

مع محبّتي وتقديري،

عماد طويل (د. مهندس)
عضو في مجلس أبرشية بيروت وجبيل وتوابعهما
للرّوم الملكيّين الكاثوليك

مقدّمة الكاتب

في دهشةٍ تقف النّفس لتشهد، في سكونٍ عميق، الإنجيليّ يوحنّا الحبيب وقد صار أشبه بنسرٍ طائرٍ، يُحلِّق لا في فضاء السّماء المنظورة، بل في فضاء الإلهيّات الّتي لا يُنطَق بها؛ إنّه كمَن يدعونا أن نعبر معه إلى ما وراء الزّمن لنرى كلمة الله الّذي لا يفارق العقل الإلهيّ، والعقل الّذي لا ينفصل عن كلمته؛ الابن الوحيد مع أبيه في ذات الجوهر؛ إنّه يدعونا لنرى ونلمس واهب الحياة ومصدر النّور، خالق الزّمن، ومُوجِد كلّ خليقةٍ في السّماء وعلى الأرض، وكأنّ أمرًا لا يشغله سوى الإنسان: محبوبه البديع، وخلقه منقطع النّظير! بإعلان الرّوح القدس، لا يسجّل لنا الإنجيليّ كتابًا مجرّدًا، بل يحملنا إلى حقائقَ إلهيّةٍ تمسّ كياننا ومستقبلنا الأبديّ الممجّد، لكي نغرف من فيض الحبّ الإلهيّ الّذي لا يُعبَّر عنه بلسانٍ بشريّ.

تسمية الكتاب

جذب الإنجيل الرّابع قلب الكنيسة الأولى ليرفعَه إلى الأسرار الإلهيّة الفائقة، بوحي الرّوح القدس، بأسلوبٍ روحيٍّ جذّابٍ، بحيث استحوذَ على قلوب قارئيه وخاطب أذهانهم، فما كان من الكنيسة إلّا أنْ لقّبت كاتبه المُلهَم، يوحنّا الحبيب، المتّكئ على صدر الرّبّ، «بالنّسر» الّذي حلّق في سماء اللّاهوت؛ إنّه بذلك يُحقِّق بصورةٍ خاصّةٍ وفريدةٍ «ملء» الكتاب المقدّس بعينه، وكأنّه «مركز» سرّ الكتاب. لا يُدرِك معنى هذا الإنجيل مَن لم يتّكئ على صدر يسوع (١٣: ٢٣)، ولم يتقبّل مريم من يسوع أُمًّا له أيضًا (١٩: ٢٧).

يُشبِّه القدّيس مكسيمس المعترف الكتاب المقدّس بالكنيسة المقدّسة، وإنجيل يوحنّا قدس أقداسه، إذ يأخذنا إلى أعماق مقدّسات الكتاب، لنتعرّف على أسراره، ونخترق الحجاب. بحقٍّ أيضًا، يدعوه القدّيس اكليمنضس «الإنجيل الرّوحيّ»، لأنّه يدخل بالنّفس إلى مَحارِبِ الأمجاد الّتي أَعَدَّتها لها محبّة الله الآب، وعمل المسيح الخلاصيّ، وتعزيات الرّوح القدس؛ إنّه الإنجيل الرّوحيّ الّذي يرفع المؤمن إلى عالم الرّوح، ولا يسمح لقارئيه بالبقاء على مستوى المادّة لأنّ «المولود من الجسد هو جسدٌ، والمولود من الرّوح هو روحٌ» (٣: ٦)؛ هو الّذي في حديثه مع المرأة السّامريّة رفع قلبها الحبيس بالدّلو المادّيّ وبئر يعقوب وماشيته إلى الينبوع الإلهيّ، حيث يُقدِّم لها ماءً يتفجّر في داخلها ينابيع مياهٍ حيّةٍ تجري للحياة الأبديّة (راجع ٤: ١٤)؛ هو الّذي أشبع الجموع بالخبز ففرحوا (راجع ٦: ٢٦)، فدعاهم مباشرةً إلى تناول الطّعام الأبديّ «الباقي لحياةٍ أبديّةٍ» (٦: ٢٧).

يقول يوحنّا في خاتمة إنجيله: «وأشياءُ أُخَرُ كثيرةٌ صنعها يسوع، لو أنّها كُتِبَت واحدةً فواحدة، لَمَا ظننتُ العالم يسع الصُّحُف المكتوبة» (٢١: ٢٥). دعا المسيح تلاميذَه ليكونوا شهودًا له، فهو لم يكتب سيرة حياته بنفسه، ولم يُرسِل أيّة رسالةٍ إلى الكنائس. ولكن شخصيّته أثّرَت تأثيرًا راديكاليًّا في نفوس أتباعه الَّذين أرشدهم الرّوح القدس لتعظيم يسوع المسيح ربّهم، بعيشهم عمق الإيمان ونشرهم بشارة الفرح. فرأَوا في محبَّته وتواضعه وموته وقيامته مجدًا كما لوحيدٍ من الآب مملوءًا نعمةً وحقًّا. وبينما أوضح الإنجيليّون متّى ومرقس ولوقا أقوال يسوع وأعماله، وملكوت الله كهدفٍ لمجيئه، أبرز يوحنّا جوهر شخص يسوع ومحبّته المقدّسة. ولذلك سُمِّي إنجيل يوحنّا «الإنجيل الرّئيسيّ»، تاج أسفار الكتاب المقدّس برمّتها.

إنّه الإنجيل الّذي يسبح في عالم الرّوح، ويشعر تاليًا أنّ الرّوح الإلهيّ قد لامس، في المسيح، بشريّتنا ودنيانا؛ إنّه الإعجاز المطلق في السّهل الممتنع. فلا نعرف كلامًا في سهولته وفي سموّه، بآنٍ معًا.

لم يشأ يوحنّا أن يُبرز يسوع بصيغةٍ أدبيّةٍ–فلسفيّةٍ أو روحيّةٍ–رومانتيكيّةٍ، بل تميّزَ عن سواه من الإنجيليّين بصبِّ تركيزه على تجسُّد يسوع، وعلى ضعفه وعطشه وهو مصلوب؛ وأوضح أيضًا أنّ يسوع هو مخلِّص البشريّة قاطبةً وليس مخلِّص اليهود فحسب، لأنّه حَمَلُ الله الّذي رفع خطيئة العالم بكلّيتِهِ؛ وأعلن لنا كيف أنّ الله أحبّ البشر أجمعين. إنّ هذا الأسلوب وهذه الأدلّة تبلغُ لبَّ هذا الإنجيل وجوهره، أي أنّ يسوع المسيح هو ابن الله الّذي ظهرت أزليّته في زمنيّته، ولاهوته في ناسوته، وسلطانه في قمّة ضعفه؛ ففي يسوع حضر الله بين النّاس، بمعنًى آخر، «نَصَبَ الله خيمته في ما بيننا»، وذلك تذكيرًا واضحًا بأنّ الخيمة الّتي كانت تُشير إلى حضور الله في وسط الشّعب العبريّ أضحت اليوم شخصًا هو يسوع، الكلمة المتجسِّد.

ولم يستطع أيّ إنجيليٍّ آخر أن يُعلن لنا مجد محبّة يسوع كيوحنّا الّذي اتّكأَ على صدره. لم يكن قصد توضيحات يوحنّا هو معرفة يسوع بطريقةٍ فلسفيّةٍ أو صوفيّة، بل معرفة الرّبّ بواسطة الرّوح القدس بناءً على إيمانٍ مُخلِص مُرسَّخٍ بالإلهيّات؛ فختم إنجيله بالكلمات الشّهيرة: «وأمّا هذه فقد كُتِبَتْ لتؤمنوا بأنّ يسوع هو المسيح ابن الله، ولكي تكون لكم إذا آمنتم حياةٌ باسمه» (٢٠: ٣١). حيث أنّ الإيمان الحيّ بألوهيّة يسوع هو غاية إنجيل يوحنّا، إذ إنّ هذا الإيمان يَبعث فينا الحياة الإلهيّة المقدّسة الأبديّة.

بُنيـة الكتـاب

وعليه فإنّ هذا الكتاب يتألّف من **خمسة أقسامٍ كبرى**، يبحث كلّ قسمٍ منها في موضوعٍ معيَّنٍ من لاهوت إنجيل يوحنّا، تأتي على الشّكل التّالي:

- **القسم الأوّل: الرّوحانيّة اليوحنّاويّة، إيمانٌ وتلمذة**

نلمس في هذا القسم معنى الاختبار الرّوحيّ ومسيرة النّموّ الإيمانيّ الّتي تؤدّي إلى النّضوج الرّوحيّ القائم في أساسه على شخص يسوع المسيح؛ كلّ هذا يجعل من المسيحيّ تلميذًا حقيقيًّا للرّبّ يسوع من خلال الثّبات في كلمته وتعاليمه. كما ويتكلّم هذا القسم عن مميّزات الجماعة اليوحنّاويّة كجماعةٍ خاضعةٍ لعمل الرّوح القدس، جماعةٍ رعويّةٍ وأسراريّة، جماعةٍ منفتحةٍ على ديناميكيّة الحياة البنويّة.

- **القسم الثّاني: الإيمان اليوحنّاويّ؛ علاقة اتّحادٍ شخصيٍّ بالمسيح**

من خلال هذا القسم نتعرّف على الإيمان اليوحنّاويّ، الّذي هو موقفٌ ملموسٌ، حيويٌّ ووجوديّ، إذ إنّه قبولٌ لابن الله الآتي إلينا ككاشفٍ للآب. ويتميّز الإيمان اليوحنّاويّ بالإصغاء، المشاهدة والتّأمّل، والمعرفة.

- **القسم الثّالث: المعرفة اليوحنّاويّة؛ حياةٌ أبديّة**

يُشدِّد هذا القسم على ماهيّة الفعلين اليونانيّين للمعرفة في الإنجيل الرّابع: οἶδα / γινώσκω، ويستعملهما الإنجيليّ يوحنّا لوصف معرفة يسوع، من جهة، ومعرفة التّلاميذ ليسوع، من جهةٍ أخرى.

• القسم الرّابع: «ابن الإنسان» اليوحنّاويّ

نطّلع في هذا القسم على هُويّة «ابن الإنسان» بحسب لاهوت الإنجيل الرّابع، واستخدامات هذا اللّقب في الإنجيل، بالإضافة إلى نظرة الأناجيل الإزائيّة لابن الإنسان، وما إذا كانت مختلفةً عن تلك الّتي ليوحنّا.

• القسم الخامس: الرّسالة اليوحنّاويّة بين فرح الزّارع والحاصد معًا

نتطرّق في هذا القسم إلى ناحيتين جوهريّتين: الأولى تكمن في رسالة يسوع وبيئتها بحسب الإنجيل الرّابع؛ والثّانية تكمن في رسالة التّلاميذ، استنادًا إلى التّفويض الرّسوليّ الّذي منحهم إيّاه يسوع بعد قيامته من بين الأموات.

هدف الكتاب

لذا، فإنّي أدعوكم، قرّاء هذا الكتاب، إلى التّحليق مع يوحنّا – ذاك النّسر المحلِّق في سماء اللّاهوت والإلهيّات، الّذي، كما تصفه اللّيتورجيّا البيزنطيّة، «تدفّقت من فمه الكريم أنهر التّكلُّم باللّاهوت»، مترفِّعين، بأجنحة الصّلاة والمعرفة والعلاقة الشّخصيّة والإيمانيّة، عن العالم وما فيه من أرضيّاتٍ ودُنيويّات وجسديّات فانية، لترتقوا معه إلى قمّة القمم الرّوحيّة «حيث لا يُفسِد سوسٌ ولا صدأ، ولا يَنقب السّارقون ولا يسرقون» (متّى ٦: ٢٠)، فتولدوا من جديدٍ لولادةٍ روحيّةٍ–سماويّةٍ («من عَلُ») بعيدةً بمفهومها عن الولادة الجسديّة، ذلك أنّ «المولود من الجسد هو جسدٌ والمولود من الرّوح هو روح» (٣: ٦)؛ فإنّ هذا الكتاب يُوجِّه القارئ ويحثّه لأن يكون نسرًا ذهبيًّا متميِّزًا بجناحَيه القويّتين وحِدّة

بَصَره، لأنّ «المؤمن اليوحنّاويّ» قائمٌ في العُلى، ومُنقادٌ بالرّوح الّذي يمنحه البصيرة الرّوحيّة: «أمّا الّذين يرجُون الرّبّ، فتتجدّد قواهم على الدّوام، ويرتفعون بأجنحةٍ كالنّسور، ويسيرون ولا يَكِلُّون» (أشعيا ٤٠: ٣١).

سلسلة الدّراسات اليوحنّاويّة

إنّ عشقيَ للإنجيل الرّابع، إنجيل التّلميذ الحبيب يوحنّا، دفعني إلى سَبر أعماق هذا الإنجيل الّذي يقودك بلا محالةٍ لاكتشاف حياتك الحقيقيّة: يسوع المسيح، فعشتُ معه وفي ربوعه لحظاتٍ كانت لي بمثابة خروجٍ ارتقائيٍّ من زمننا الأرضيّ للدّخول إلى عالم الله، فتُصبح أنتَ في قلب إنجيل يوحنّا والإنجيل بدوره في قلبك، فتتغذّى عروقك من دم المسيح المتدفّق من على خشبة الصّليب، باعثًا فيك حياةً لم تختبرها من قبل؛ إنّها حياة الله فيك وفي قلبك. إنّ هذا الاختبار الإيمانيّ قادني إلى إنشاء سلسلةٍ خاصّةٍ بالدّراسات اللّاهوتيّة اليوحنّاويّة، إذ إنّه إنجيلٌ يحتوي على غزارةٍ قلّ نظيرها بالمواضيع الّتي يُمكن دراستها وتقديمها كأبحاثٍ مكتوبةٍ لكي تكون مرجعًا لاهوتيًّا وروحيًّا وإيمانيًّا بين يديّ القارئ.

لذا، فإنّي أودّ هنا التّنويه إلى أنّ هذا الكتاب هو الكتاب الثّاني ضمن سلسلة الدّراسات اليوحنّاويّة، حيث صدر الأوّل حاملاً عنوان: «**عطش الله: دراسةٌ في الشّخصيّات اليوحنّاويّة**»، وها إنّ كتابًا ثالثًا سيكون على مشارفِ النّشر قريبًا، إن شاء الله وبعونه ونعمته، حاملاً عنوان: «**الحَمَلُ الظّافر: دراسةٌ في لاهوت رؤيا يوحنّا**».

كلمة شكر

أودّ في ختام مقدّمة هذا الكتاب أن أوجّه أجزل شكرٍ لصاحب السّيادة المطران إيلي بشارة الحدّاد الفائق الاحترام لكلمته الأبويّة، إذ إنّي تتلمذتُ على يديه في الحياة الرّهبانيّة، فكان المسؤول الأوّل عن تنشئتي الرّهبانيّة والكهنوتيّة أثناء دراستي في جامعة الرّوح القدس – الكسليك؛ إنّه «معلّمي» الّذي أَفضَلَ عليّ من وقته وجُهده وعنايته لمدّة أربع سنواتٍ متتالية في الإكليريكيّة الكبرى، فصَقَل شخصيّتي الرّهبانيّة والكهنوتيّة والرّسوليّة، فإلى سنين كثيرة يا سيّد. أشكر أيضًا صاحب السّيادة المطران ميخائيل أبرص الفائق الاحترام على ثقته الأبويّة، الّتي أولاني إيّاها بكتابته كلمةً للكتاب، جاءت من فيض ما في قلبه من محبّةٍ واهتمامٍ وتشجيع، فإلى سنين كثيرة يا سيّد. أُقدِّم شكريَ أيضًا للمهندس د. عماد طويل الأخ والصّديق العزيز، الّذي لم يبخل بإرسال كلمةٍ للكتاب، عبّرت بمضمونها عن شخصه الكريم والمِعطاء والكنسيّ بامتياز، فأطلب من الله تعالى أن يباركه ويُبارك عائلته الكريمة، فشكرًا لنسور الكنيسة الثّلاثة.

«**المجد لله... دائمًا وأبدًا لله**»، هي العبارة الرّهبانيّة الشّهيرة الّتي تُعلِّم الرّاهب، ببساطتها ومضمونها العميق، أنّ كلّ ما يعمله إنّما يجب أن يعمله مرضاةً لله، لأنّه «يبتغي المجد الّذي من عند الله وحده» (يوحنّا ٥: ٤٤)؛ إنّها العبارة الّتي تُذكّر الرّاهب باستمرارٍ أنّ ما أُعطِيَ له إنّما هو عطيّةٌ مجّانيّةٌ من الله يجب أن تعود إليه، كما يُعلن الكاهن في ليتورجيّا القدّاس الإلهيّ: «ما لكَ ممّا هو لك، نُقدِّمه لك عن كلّ شيءٍ ومن أجل كلّ شيء»، وذلك لأنّ هدفه في هذه الحياة

يكمن في إعلاء اسم الله والارتقاء روحيًّا نحوه، فيَعبُر بدوره من المجد الذّاتيّ الأرضيّ الوقتيّ إلى المجد الإلهيّ السّماويّ الأبديّ، حيث يُكلَّل «بإكليل المجد الّذي لا يذوي» (١ بطرس ٥: ٤).

المؤلّف

الأرشمندريت أغابيوس أبو سعدى ب.م

القسم الأوّل

الرّوحانيّـة اليوحنّاويّة: إيمانٌ وتلمذة

إنطلاقًا ممّا تقدّم أعلاه نقول إنّ كاتب الإنجيل المُلهَم، التّلميذ الحبيب، يعتزم التّأكيد على أنّ يسوع فقط هو «الطّريق والحقّ والحياة» (١٤: ٦)، المُوحي الوحيد (راجع ١: ١٨) والكلمة النّهائيّة لله؛ فلا ينبغي، تاليًا، أن يوضع المسيح على قدم المساواة مع المعلّمين الآخرين، لأنّه الوحيد الّذي يُعطي أساسًا لحياة الإنسان ويُضفي عليها قيمةً ومعنًى؛ وهكذا نُدرك أنّ الإيمان به هو الطّريق الوحيد الّذي يجب أن يسلكه كلُّ إنسانٍ كي ينال خلاص الله.

١) مراحل المسيرة الرّوحيّة للجماعة اليوحنّاويّة

١. بداية الاختبار الرّوحيّ

بعد معجزة الخبز والسّمكتين، آمن بعضٌ من اليهود بأنّ يسوع هو الّذي سيُحقِّق في شخصه وعد الله لموسى، الوارد في سِفر تثنية الاشتراع: «سأُقيم لهم نبيًّا من وَسْط إخوتهم مثلك، وأجعل كلامي في فمه، فيُخاطبُهم بكلّ ما آمرُه به» (١٨: ١٨): «فلمّا رأى النّاس الآية الّتي أتى بها يسوع، قالوا: **حقًّا، هذا هو النّبيّ الآتي إلى العالم**» (٦: ١٤). فمن الواضح أنّ يسوع، في نظر أولئك اليهود، ليس المسيح الدّاوديّ (أي أنّه من زرع داود، من سلالته الملكيّة)، لكنّه النّبيّ على مثال موسى، وقد تمّ اتّخاذه من بين النّاس ليكون مسيحًا: «وقالوا: أليس هذا يسوع بن يوسف، ونحن نعرف أباه وأمّه؟ فكيف يقول الآن: إنّي نزلتُ من السّماء؟» (٦: ٤٢)؛ «فآمن به من الجمع خلقٌ كثيرٌ وقالوا: أَيُجري المسيح من الآيات حين يأتي أكثر ممّا أجرى هذا الرّجل» (٧: ٣١).

لا يغفل عن بالنا ما ورد أيضًا في شهادة يوحنّا المعمدان (١: ٢٩-٣٤) وفي مشهد اتّباع التّلاميذ الأوّلين ليسوع (١: ٣٥-٥١) عن المسيح.

إنّ الأيّام الأولى من حياة يسوع العامّة قد تميّزت، في الواقع، بوقوع أحداثٍ مختلفةٍ عكست انتظار إسرائيل المسيحانيّ: فالمعمدان ليس المسيح، ولا إيليّا، ولا النّبيّ؛ إنّه «الشّاهد الّذي جاء ليشهد للنّور» (١: ٧)، لديه مَهمَّة توجيه الجميع إلى يسوع: «حمل الله، الرّافع خطيئة العالم» (١: ٢٩)، و «ابن الله» (١: ٣٤، ٤٩). إنّه مصطلحٌ مسيحانيٌّ يجب أن يُفهَم على ضوء نصَّي ٢ صموئيل ٧: ١٤؛ مزمور ٢: ٧)، الّذي وَجَدَه التّلاميذ الأوّلون ونادوه «المعلِّم» (١: ٣٨)، و «المسيح» (١: ٤١)، «الّذي كتب في شأنه موسى في الشّريعة وذَكَرَه الأنبياء، وهو يسوع بن يوسف من النّاصرة» (١: ٤٥)، وأخيرًا «ملك إسرائيل» (١: ٤٩).

ليس من الصّعب أن نرى من خلال هذه الألقاب المسيحانيّة اعترافًا إيمانيًّا من قِبَل الكنيسة الأولى، الّتي تُسلِّط الأضواء على **مسيرتها الرّوحيّة التّدريجيّة**، بالانتقال من الاعتراف الأخلاقيّ البسيط بيسوع «كمعلِّمٍ» إلى الإيمان الرّاسخ بأنّه يعكس في ذاته التّوقُّعات المشتركة للشّعب العبريّ: «النّبيّ» المساوي لموسى، والمُعَدّ ليكون «مسيحًا»، والمكمِّل الكتب المقدّسة، وأخيرًا المحقِّق انتظار الشّعب وترقُّبه لمجيء «المسيح ملك إسرائيل» (١: ٤٩). إلاّ أنّ إيمان أعضاء هذه المجموعة الّتي آمنت بيسوع بقي ناقصًا غير مكتملٍ، على الرّغم من انفتاحه على جِدّة الإنجيل.

٢. مسيرة النّموّ في الإيمان

يُقدِّم المقطع اليوحنّاويّ ١: ١٩-٥١ ألقابًا كريستولوجيّةً (مسيحانيّة) أخرى، مثل «حمل الله» (١: ٢٩-٣٦)، «ابن الله» (١: ٣٤)، «ابن الإنسان» (١: ٥١). إنّها تُظهر فكرًا لاهوتيًّا أكثر نُضجًا، وإيمانًا أكمل من قِبَل أعضاء الجماعة اليوحنّاويّة. لقد تأصّلت هذه النّقلة النّوعيّة، فكرًا وإيمانًا، في ذهن الجماعة المسيحانيّة الّتي لا تنتمي إلى اليهوديّة: العالم السّامريّ (راجع ٤: ٢٠-٢٤)، والعالم الوثنيّ (راجع ٤: ٤٦-٥٣). إنّ الالتزام التّبشيريّ والتّنصيريّ لهذه البيئات الجديدة يَخلق، بلا شكّ، تطوُّرًا عقائديًّا (وتعليميًّا) مِفصليًّا في مسيرة الجماعة الرّوحيّة. فعلى أساس الشّهادة **ليسوع التّاريخيّ**، يعترف الإنسان بإيمانه بهذا اليسوع على أنّه «ابن الله» (١: ٣٤؛ ٥: ٢٥؛ ١٠: ٣٦؛ ١١: ٤، ٢٧؛ ١٩: ٧؛ ٢٠: ٣١؛ ١ يوحنّا ٣: ٨؛ ٤: ١٤؛ ٥: ٥، ١٠، ١٢، ١٣، ٢٠).

إنّ الإيمان بالأصل السّماويّ ليسوع وبألوهيّته، كان يُشكِّل تحدّيًا وعائقًا إيمانيًّا أمام الكثير من اليهود (وأيضًا أبناء الدّيانات الأخرى) الّذين اعتبروه مخالفًا للمنطق الإلهيّ وتوقُّعات العهد القديم؛ وهذا يُشير بالطّبع إلى أنّ أعضاء هذه الجماعة لم يتمكّنوا من الدّخول في مسيرة الخلاص، لأنّ وحي الله لم يَعُدْ بعد الآن متجسِّدًا في عطيّة الشّريعة لموسى، بل فقط في يسوع المسيح (راجع ١: ١٧-١٨). هذا يعني أنّ الالتزام المسيحيّ بيسوع يُساوي، كما أشرتُ سابقًا، الاعتراف به مسيحًا، أي أنّه ذاك الّذي تتماثل فيه الشّخصيّة والأعمال، ذلك أنّ الإيمان المسيحيّ برمّته لا يتعلّق بالأفكار والنّظريات الإيمانيّة، إنّما بالشّخص، أي بيسوع المسيح، بإنسانيّته الكاملة وألوهيّته الكاملة.

وهنا أرغب في تسليط الأضواء قليلاً على عبارة «ابن الله». إنّها تنبثق من علم اللّاهوت الملكيّ في العهد القديم، الّذي يرتكز على الاختيار الإلهيّ لإسرائيل شعب الله المختار، إذ إنّ الملك ابنٌ ليس لأنّ الله وَلَدَه بل لأنّ الله اختاره. ما من لجوءٍ إلى سياقٍ جسديٍّ بل هناك قدرةُ إرادةٍ إلهيّة تخلق كائنًا جديدًا. وفي بعض نصوص العهد القديم، دُعِيَ إسرائيل مولودًا بكرًا من قِبل يهوه وابنَه الحبيب (راجع خروج ٤: ٢٢)؛ ولئن حُوِّل هذا التّعبير، في عهد الملوك، إلى الملك، فمُردّ ذلك إلى أنّه يوجز في ذاته ومن حيث هو خَلَفُ داود، دعوةَ إسرائيل؛ إنّه ممثِّل إسرائيل ويجمع في نفسه سرّ الوعد والدّعوة والمحبّة الّتي تقوم على إسرائيل. لذا نخلص إلى القول إنّ اللّاهوت الملكيّ انتقل، في مرحلةٍ أولى، من لاهوت توليدٍ إلى لاهوت اختيار، ثمّ انتقل، في مرحلةٍ ثانية، من لاهوت اختيارٍ إلى لاهوت رجاءِ ملكٍ آتٍ. «أنتَ ابني، أنا اليوم وَلَدتُك. سَلني فأُعطيك الأمم ميراثًا لك» (مزمور ٢: ٧–٨). لقد طبّقت الجماعة المسيحيّة الأولى استخدام هذا النّصّ المزموريّ على المسيح لأوّل مرّةٍ في إطار الإيمان بقيامته من بين الأموات، بحيث رأى المسيحيّون الأوّلون أنّ رجاء إسرائيل الملكيّ قد تحقّق في ذاك الّذي مات على الصّليب وقام من الوُجهة الإيمانيّة.

لذلك، نلحظ أنّ الإنجيليّ يوحنّا يتكلّم عن الصّليب كرمزٍ لملكيّة المسيح، إذ إنّه علامة انتصاره وغَلَبَته وسيادته الشّموليّة على الجميع: إنّه العرش الملكيّ للمسيح. فالّذي قال له الله: «أنت ابني أنا اليوم ولدتُك» هو ذاك الّذي مات على الصّليب وتخلّى عن كلّ سلطةٍ دُنيويّة، وذاك الّذي وضع جانبًا جميع السّلطات ولم يقذف، كما يفعل ملوك وسلاطين هذا العالم، بالآخرين إلى الموت بدلاً منهم، بل ينطلق هو نفسه إلى الموت في سبيل الآخرين.

هذا هو المعنى الحقيقيّ لاصطلاح «التّخلّي» الخاصّ باللّاهوت الكتابيّ والوارد في رسالة القدّيس بولس إلى أهل فيلبّي (٢: ٥-١١): لقد التزم يسوع وَضْعَ الخادم المتواضع ليصل إلى فقدان مِلكيّة ذاته، متخلّيًا، بالتّالي، عن أن يكون لذاته، بحيث انتقل من الكينونة لذاتها إلى الكينونة «**من أجل**» الآخرين؛ إنّها الكينونة الّتي تنطوي على بذل الذّات، بطاعةٍ وحريّةٍ، على الصّليب، الطّريق الحقيقيّ والوحيد الّذي مكّن المسيح المصلوب أن يكون سيّد العالم والكون كلّه الّذي يقوم بالسّجود أمامه، أي بطقس الخضوع وفعله الّذي يحقّ للملك الحقيقيّ دون سواه.

والآن لِنَعُد إلى موضوعنا المُعَنون «النّموّ في مسيرة الإيمان» كي نؤكّد أنّ هناك أُناسًا يرفضون رفضًا واضحًا تعاليم يسوع، وهم أولئك الّذين لم يتمكّنوا، بالتّالي، من بلوغ الحياة المسيحيّة (راجع ١: ١١)؛ بينما يُثابر الآخرون في الإيمان، مُعترفين، بكلّ قلوبهم وكلّ أذهانهم، أنّ يسوع هو ابن الله (التّركيز هنا هو على ألوهيّة يسوع: ١: ١-١٣؛ ٨: ٢٧-٢٨؛ ١٢: ١٦؛ ١٤: ٢٠-٢٦).

نستطيع أن نلحظ بقوّةٍ مسيرة النّموّ في الإيمان بيسوع في حادثة الأعمى منذ مولده (الفصل ٩ من الإنجيل الرّابع)، وذلك من خلال التّصاعد التّدريجيّ للألقاب الكريستولوجيّة (المسيحانيّة): «إنسانٌ يُقال له يسوع» (١١)، «إنّه نبيٌّ» (١٧)، «لو لم يكن هذا من الله» (٣٣)، «أتؤمن بابن الله؟» (٣٥)، «أومن يا سيّد» (٣٨). فهذا الإنسان المطرود من الجماعة اليهوديّة، وقد آثرَ والداه ألاّ يُدافعا عنه «خوفًا من اليهود» (٢٢)، **وَجَدَ في يسوع الجماعة المسيحانيّة الجديدة، ومكان العبادة الحقيقيّة، والهيكل الجديد حيث يُعبَد الله «بالرّوح والحقّ»** (٤: ٢٣).

٣. النّضوج الرّوحيّ والإخلاص في الإيمان

بناءً على ما تقدّم نقول إنّ الإنجيليّ يوحنّا وضع تعليمًا روحانيًّا يتعلّق أوّلاً **بالمحبّة المسيحيّة** القائمة في أساسها على وصيّة المسيح لتلاميذه في العشاء السّرّيّ (راجع ١٣: ٣٤–٣٥؛ ١٥: ١٢–١٣)؛ بينما يتعلّق ثانيًا **بصياغة كريستولوجيّة عالية عن شخص يسوع، مثل استعماله ألقاب «اللّوغس – الكلمة»** (١: ١، ٢، ٤، ٩، ١٠، ١٤؛ ١ يوحنّا ١: ١، ٢)، «الابن الوحيد» (١: ١٤، ١٨؛ ٣: ١٦، ١٨؛ ١ يوحنّا ٤: ٩)، «المرسَل من الآب» (٣: ١٧، ٣٤؛ ٥: ٣٦، ٣٨؛ ٦: ٥٧؛ ٧: ٢٩؛ ٨: ٤٢؛ ١٠: ٣٦؛ ١١: ٤٢؛ ١٧: ١–٢٦؛ ٢٠: ٢١).

تهدف هذه الألقاب الكريستولوجيّة جميعها إلى التّأكيد على **الحقيقة البشريّة** (الجسديّة) **للمخلِّص الإلهيّ**، «للكلمة الّذي صار جسدًا» (١: ١٤–١٨؛ ١ يوحنّا ٤: ٢–٣؛ ٢ يوحنّا ٧)، وبالتّالي، التّأكيد على حقيقة موته الخلاصيّ، وعلى المعنى الحقيقيّ للافخارستيّا، الّتي فيها يأكل الإنسانجسد المسيح ويشرب دمه، كمأكلٍ ومشربٍ حقيقيَّين (راجع ٦: ٥٥؛ ١٩: ٣٤–٣٥). تجعل هذه الحقائق الكريستولوجيّة من الإنسان اليوحنّاويّ **إنسانًا ناضجًا إيمانيًّا، وثابتًا في حقيقة التّدبير الخلاصيّ الّذي قام به الابن يسوع المسيح**. لذلك نلاحظ أنّ الجماعة اليوحنّاويّة مقسومةٌ إلى قسمين:

الجماعة الأولى هي الجماعة الّتي تَبِعَت الأنبياء الكذبة. إنّها الجماعة الّتي تتبع ثنائيّة المفاهيم، فتفصل وَحدة شخص المسيح ولا تقبل، تاليًا، حقيقة تجسُّد ابن الله، وتُصوِّر الخلاص بتعابير المعرفة الغنوصيّة (أي أنّ أعضاء هذه الجماعة

يُنكرون موت المسيح كحقيقةٍ تاريخيّةٍ وإنجيليّة، يُنكرون قيامته من بين الأموات، ويُنكرون أيضًا حضوره في الافخارستيّا والأسرار الكنسيّة)[١]، بدلاً من الالتزام التّاريخيّ في ممارسة الإيمان والمحبّة. يقول الرّسول يوحنّا في هذا الصّدد: «منّا خرجوا، لكنّهم لم يكونوا منّا، لأنّهم لو كانوا منّا لَبقوا معنا. لكن ليُظهَروا أنّهم ليسوا جميعُهم منّا» (١ يوحنّا ٢: ١٩).

أمّا **الجماعة الثّانية** فهي الجماعة الّتي بَقِيَت أمينةً لشهادة الرّسول يوحنّا ومُخلصةً لها، ومدافعةً عن وَحدة الوجود المسيحيّ: **الوَحدة بين البشريّة والألوهيّة في شخص يسوع المسيح** (١ يوحنّا ٤: ٢-٣، ٥-٦)، **المعرفة والممارسة (التّطبيق العمليّ)، الإيمان والمحبّة:**

- «إنْ قلنا: إنّ لنا شركةً معه وسلكنا في الظّلمة، نكذب ولسنا نعمل الحقّ» (١يوحنّا ١: ٦)؛

- «مَن قال: قد عَرَفتُه وهو لا يحفظ وصاياه، فهو كاذبٌ وليس الحقّ فيه... مَن قال: إنّه ثابتٌ فيه ينبغي أنّه كما سلك ذاك هكذا يسلك هو أيضًا... مَن قال: إنّه في النّور وهو يُبغض أخاه، فهو إلى الآن في الظّلمة» (١ يوحنّا ٢: ٤، ٦، ٩)؛

---

١) تنطلق الغنوصيّة من الاعتراف بإلهٍ مجهولٍ متعالٍ جدًّا لم يكن العالم من اهتماماته المباشرة. فإنّ هذا العالم قد خلقه نصف إلهٍ فَصَلَته عن الإله الحقيقيّ خطيئةٌ اقترفها قبل الخليقة، فخُلِط بينه وبين إله العهد القديم. لذلك فإنّ العالم الّذي خلقه هو شرّيرٌ بالطّبع. أمّا الإنسان فهو، في حقيقته، من طبيعة الله الحقيقيّ عينها، إلاّ أنّ الشّرارة الإلهيّة الّتي فيه تخضع لنصف الإله بواسطة جسده المادّيّ أسير العالم. لهذا نرى الإنسان يتوق إلى أن يتحرّر من المادّة ويعود إلى الإله الحقيقيّ. وهذا الأمر لا يتمّ له إلاّ بواسطة المعرفة «γνωσις» الموقوفة فقط على الّذين اصطفوا لذلك. والمسيح لا يُحرِّر النّاس من الخطيئة بموته على الصّليب، إذ إنّه ليس بمسؤولٍ عن الشّرّ في العالم، بل يكشف، في إنجيله، عن المعرفة اللاّزمة لخلاص البشر.

- «لا تتعجّبوا يا إخوتي إنْ كان العالم يُبغضكم. نحن نعلم أنّنا قدِ انتقلنا من الموت إلى الحياة، لأنّنا نُحبّ الإخوة. مَن لا يُحِبّ أخاه يبقَ في الموت. كلُّ مَن يُبغض أخاه فهو قاتلُ نفسٍ «أنثروپوكتونُس»)، وأنتم تعلمون أنّ كلّ قاتلِ نفسٍ ليس له حياةٌ أبديّةٌ ثابتةٌ فيه» (١ يوحنّا ٣: ١٣-١٥)؛
- «وأمّا مَن كان له مَعيشة العالم، ونَظَرَ أخاه مُحتاجًا، وأغلق أحشاءه عنه، فكيف تَثبُتُ محبّة الله فيه؟ يا أولادي، لا نُحِبَّ بالكلام ولا باللّسان، بل بالعمل والحقّ» (١ يوحنّا ٣: ١٧-١٨).

لقد بَقِيَ هؤلاء المؤمنون مُخلِصين وأُمناء للتّعليم الّذي تلقَّوه منذ بداية مسيرتهم الإيمانيّة، حيث وجدوا أنفسهم في الوَحدة الكاملة مع «الكنيسة الكُبرى الرّسوليّة».

٤. الاعتماد على التّلميذ الحبيب

ثمّة سؤالٍ يُطرَح بشكلٍ طبيعيٍّ هنا: مَن ذا الّذي يقف وراء ويُفعِّل هكذا مسيرةٍ إيمانيّةٍ مكثّفةٍ ووَحدةِ فكرٍ روحيٍّ معمَّقٍ لهذه الدّرجة؟ يجد العمل اليوحنّاويّ عمومًا إلهامَه وحيويّتَه في شخص التّلميذ الحبيب والشّاهد على الحمل المطعون، المسيح المصلوب (راجع ١٣: ٢٣، ٢٥؛ ١٨: ١٥؛ ١٩: ٢٦-٢٧، ٣٤-٣٥؛ ٢٠: ٢؛ ٢١: ٧، ٢٠، ٢٤).

يظهر حَدْسه الكريزماتيكيّ العميق وشخصيّته القويّة استنادًا إلى اختباره الشّخصيّ مع يسوع، الّذي صنع منه شخصيّةً قادرةً على خلق تقليدٍ ومدرسةٍ فكريّةٍ أمينةٍ للقيم الأساسيّة للرّسالة المسيحيّة، وفي الوقت عينه، شخصيّةَ الحوار

مع العالم في زمانه. لهذا، فإنّ الإنجيل الرّابع هو شهادة إيمانه واختباره الرّوحيّ. نحن أمام **معلِّمٍ وراعٍ حقيقيّ**، لم ينغلق على التّأمّلات الميستيكيّة (الحياة الباطنيّة الرّوحيّة) فحسب، لكنّه عَمِلَ على تنميّة صورة يسوع الرّوحيّة وإنضاجها في ذهن الجماعة المسيحيّة من خلال **المعرفة الشّخصيّة** الّتي تتجسّد في متابعة **الصّلاة اللّيتورجيّة والجماعيّة**، من جهة، وفي **العلاقات الكنسيّة** الظّاهرة في التّواصل مع إخوة الإيمان، من جهةٍ أخرى. بتعابير أخرى، **نرى رغبةً شديدةً لدى التّلميذ الحبيب في جعل حياة المسيحيّ حياةً أكثر تجذُّرًا وتأصُّلاً في الشّهادة الحيّة والحقيقيّة ليسوع في الحياة الشّخصيّة والجماعيّة على حدٍّ سواء**، ذلك أنّ **التّلميذ الحبيب يؤمن إيمانًا راسخًا أنّ شخص يسوع وسرّه الخلاصيّ، موته وقيامته من بين الأموات، يحيان باستمرارٍ في حياة كلّ مؤمن، وأنّ كلّ شاهدٍ للإنجيل يجب أن يُعيد كتابة تاريخ يسوع من خلال مسيرةٍ روحيّةٍ ونموٍّ في حياة الإيمان الخاصّة**.

لهذا، فإنّنا نرى، وبشكلٍ واضحٍ جدًّا، أنّ الميزة المركزيّة الّتي يتمتّع بها التّلميذ الحبيب هي الكثافة (Intensity): كثافة الفكر، والكلمة، والإدراك النّافذ، والحياة: إنّه يُدرك كلّ شيءٍ بقدرة النّور الإلهيّ، إذ بالنّسبة له، فإنّ الأبديّة هي بالفعل حاضرةٌ وموجودة، لكنّها تتحقّق، تدريجيًّا، في مراحل مختلفة من حياة الإنسان، على الرّغم من ضُعف المؤمنين. إنّه يرى **الماضي والحاضر متّحدين في وحي ابن الله**، حيث يتملّكه شعور الاندفاع إلى إعلان: «لقد رأينا وشهدنا».

٢) الأساس الكريستولوجيّ للرّوحانيّة اليوحنّاويّة

لنُدرك الرّسالة الرّوحيّة للإنجيليّ الرّابع، تجدر الإشارة إلى أنّ شخص يسوع، الّذي يوحي الله الآب بذاته ويُعلن سرّ مشيئته من خلاله، يملك مكانةً مركزيّةً في الإنجيل اليوحنّاويّ. إنّ هدف الإنجيل، في الواقع، واحدٌ لا غير: **وضع الإنسان أمام سرّ يسوع، والتّركيز على الوحي الإلهيّ والإيمانّ الحيّ في المسيح، لأنّ الاختبار المسيحيّ يولد من اللّقاء، ويحيا فقط في الشّركة الحياتيّة والشّخصيّة معه، ذلك أنّ المسيح اليوحنّاويّ هو المُوحي، وهو كلمة الله الأخيرة والنّهائيّة للبشريّة.**

ولكن، ما هو هذا الوحي؟ وما هو جوهر هذه «الأخبار السّارة»؟ إنّ الهدف الأوّل والأخير للوحي المتَّصل بالإنسان من خلال شخص يسوع يكمن في **إظهار إلهٍ ممتلئٍ بالمحبّة للبشريّة** (راجع يوحنّا ٣: ١٦)؛ فالله، من خلال كلمات يسوع وأعماله، كَشَفَ للإنسان وجهَهُ الحقيقيّ، وفتح له قلبه. إنّ الإنجيليّ الرّابع يتميّز بالطّريقة الّتي يُعبِّر فيها عن العلاقة القائمة بين الآب والابن: إنّها علاقةٌ تُظهر **الرّابط الشّخصيّ الموجود بين يسوع النّاصريّ والله**، من جهة، **وسرّ الوَحدة بين الأشخاص، الّذي يتخطّى البُعد التّاريخيّ–البشريّ**، من جهةٍ أخرى. فالإنجيليّ يوحنّا يُعلن، بدءًا من مقدّمة إنجيله، التّعليم المتعلّق بالوجود الأزليّ للكلمة (١: ١–٥)، ثمّ يُقدِّم لقارئه رسالة يسوع، المرسَل من الآب. فهو، أي يسوع، بعد أن كَشَفَ «قلب» الآب، وجَعَلَه معروفًا، يحمل إلى إنهاء كلّ شيء في تحويله إلى الآب (راجع ٤: ٣٤؛ ٥: ٢٣–٢٤، ٣٠، ٣٧؛ ٦: ٣٨–٣٩، ٤٤، ٦٢؛ ٧: ١٦؛ ١٣: ١؛ ١٧: ٥؛ ١٩: ٣٠؛ ٢٠: ١٧).

إنّ جعل الآب معروفًا، والكشف عن «وجهه الدّاخليّ» يقود وجود يسوع، ويوجّه رسالته بين البشر. فحياة النّاصريّ هي صفحةٌ مفتوحةٌ تُمكِّن الإنسان من أن يقرأ كيف أنّ الله أحبّ البشر من خلال **العطاء الذّاتيّ المستمرّ**، وكيف أنّ **الابن حقّق بطاعةٍ كاملةٍ وسخيّةٍ للآب هذه الرّسالة الإلهيّة–الخلاصيّة**. حركةٌ مزدوجةٌ تُحدِّد، بالتّالي، ذلك الوحي:

- حركة توسُّعٍ نابعةٌ من قلب الآب، عبر وساطة الابن المرسَل إلى العالم والمعطى له؛
- وحركة تحصيلٍ موجَّهةٌ نحو قلب الآب نفسه، من خلال وساطة الابن الممجَّد، وبفضل الرّوح المرسَل من قِبَل الآب.

إنّ هاتين الحركتين، **حركة الله إلى الإنسان، وحركة الإنسان إلى الله من خلال الابن يسوع المسيح وفعاليّة الرّوح الكلّيّ قدسه**، تنبعان من عِظَم محبّة «أغاپي» الله الثّالوث الّتي تتضمّن كلّ تدبيره الخلاصيّ (راجع ٣: ١٦؛ ١٣: ١؛ ١٧: ٢٦).

إنّ المحبّة هي النّبع الفيّاض الّذي يُجدِّد في الإنسان كينونته الرّوحيّة المنفتحة على الله؛ إنّها موضوع الوحي الإلهيّ ونهايته؛ إنّها عطيّةٌ من العطايا الإلهيّة الّتي أجاد بها الله على الإنسان بشخص ابنه الحبيب، يسوع المسيح، معلِّم المحبّة (راجع يوحنّا ١٣: ٣٤-٣٥؛ ١٥: ١٢-١٧).

وبما أنّ «الله محبّة»، كما يُعلن ذلك الرّسول يوحنّا في رسالته الأولى (٤: ١٦)، فالحياة المسيحيّة لن تكون سوى حياة المحبّة. فدعوة الإنسانإلى تحقيق ذاته وتحقيق صورة الله فيه هي دعوةٌ مباشرةٌ إلى المحبّة على مثال الله، إذ إنّ انفتاح الإنسان على الله بالنّعمة والتّبنّي والتّألُّه يصل إلى أن يُجسِّد الإنسان في محبّته محبّة الله ومحبّة المسيح في كلّ علاقاته مع إخوته البشر.

لقد لَبِسَ ابن الله «الجسد» ليحيا وجودًا بشريًّا على غرار حياة الحبّ الكائنة في الله بهدف تقديمها للبشر عربون تحريرٍ لهم من عبوديّة الشّرّ وانضمامهم إلى عالم الله وانتمائهم له. فالرّسول، الأمين للرّسالة والحدث البشريّ ليسوع التّاريخيّ، تقبّل في الإيمان وأعلن بشارة الله الّذي أصبح بشرًا واختتم وجوده مرفوعًا على صليبٍ من أجل المحبّة. **في حدث يسوع، الإله والإنسان معًا، خرج الله من ذاته، كاشفًا إيّاها للبشر. إنّ سلوك الله هذا، الّذي يظهر للوهلة الأولى غريبًا ومُبهَمًا، يجد إجابته في إلهٍ يعيش حالة حبٍّ وعشقٍ مع الإنسان.**

١. يسوع - الكلمة وتجسُّده

يتميّز الإنجيل الرّابع أكثر من أيّ كتابٍ آخر من كتب العهد الجديد بالتّركيز الكريستولوجيّ لرسالته، ذلك أنّ الاختبار المسيحيّ للكاتب يُشدِّد على شخص المسيح، الّذي يراه كلّ تلميذٍ أُنموذجًا حيًّا للحياة، الحياة الأوفر والأفضل (راجع يوحنّا ١٠: ١٠)؛ فرسالة الإنجيليّ يوحنّا لا يُمكن فهمها على أنّها مجرّد توصيفٍ لاهوتيٍّ لقصّة يسوع، بل إنّها بالحريّ تتكلّم عمّا حقّقه الله في يسوع ومن خلال يسوع: التّدبير الإلهيّ الخلاصيّ. إنّ سرّ المسيح يتمحور، بحسب رواية الإنجيل

التّجسُّد: ففي الكلمة الّذي صار جسدًا يكشف لنا مجده وعلاقته الحميمة مع الآب: «والكلمة صار جسدًا ونَصَبَ خيمته في ما بيننا، ورأينا مجده، مجدًا كما لوحيدٍ من الآب، مملوءًا نعمةً وحقًّا» (١: ١٤). إنّ هذه الآية تسير جنبًا إلى جنبٍ وبالتّوازي مقابل «وكان الكلمة الله» (١: ١)؛ فبينما تتكلّم الآية الأولى من مقدّمة الإنجيل الرّابع عن طبيعة الكلمة الإلهيّة وأزليّته، تبني الآية الرّابعة عشرة من مقدّمة الإنجيل واقعًا جديدًا يُشير إلى دخول الكلمة الإلهيّ الاختبار الإنسانيّ بصيرورته «إنسانًا»؛ أمّا الصّيغة «نَصَبَ خيمته في ما بيننا» فهي تُشير إلى الموضوع الأبرز في العهد القديم، حضور الله في وسط شعبه، خاصّةً في ما يتعلّق «بخيمة الموعد» و «هيكل أورشليم»؛ إنطلاقًا من هذا المنظور، فإنّ جسد يسوع يُشيِّد مسكن الله الجديد في وسط البشر.

وبالنّسبة لليهود، يُشكِّل ظهور كلمة الله في ضعف يسوع/الإنسان تفكيرًا لا يخلو من السُّخريّة؛ أمّا بالنّسبة للوثنيّين، فإنّ قبول الإنسانيّة الكاملة لابن الله هو بحدّ ذاته شكٌّ وعارٌ، إذ إنّ الإنسانيّة، بنظرهم، هي المكان الّذي لا يليق بسُكنى الألوهة. لذا، فإنّ الإنجيليّ يوحنّا يؤكّد، خلافًا لكلّ الآراء والأفكار المطروحة، «أنّ الكلمة الّذي كان مع الله، وهو الله، قدّ اتّخذ الطّبيعة البشريّة، فأصبح جسدًا»، وهذا يعني أنّ الكلمة، الّذي في لحظةٍ تاريخيّةٍ ودقيقة، صار «إنسانًا» في ضعفه وعجزه (عدم قدرته) ككلّ مخلوقٍ آخر، ما خلا الخطيئة (راجع عبرانيّين ٤: ١٥)، وأقام بشكلٍ دائمٍ مع البشر، قد رمّم بتجسّده العلاقة المقطوعة بين الله والإنسان. وهذه هي البشارة الّتي تجذب النّاس إلى الإيمان لينالوا الخلاص: «بهذا تعرفون روح الله: كلّ روحٍ يعترف بيسوع المسيح أنّه قد جاء في الجسد فهو من الله،

وكلّ روحٍ لا يعترف بيسوع المسيح أنّه قد جاء في الجسد، فليس من الله» (١ يوحنّا ٤ : ٢–٣).

يتبع تدبير الله هذا استجابةً إيمانيّةً من جماعة التّلاميذ الّذين رأَوا ولمسوا «المجد» (راجع ١ يوحنّا ١: ١–٤). إنّ هذا المصطلح الأخير يُشير، في المعجم اليوحنّاويّ، إلى أنّ محبّة الله الآب الخلاصيّة للإنسان تجلّت من خلال إنسانيّة يسوع–الكلمة (راجع١: ١٤)، وأنّ اللّحظة الّتي فيها يُتوَّج هذا التّجلّي كانت في الموت على الصّليب (راجع ١٢: ٢٨؛ ١٣: ٣١؛ ١٧: ١).

يجد الإنسان نفسه مدعوًّا أمام يسوع الأرضيّ إلى التّأمّل مطوّلاً وداخليًّا بالسّرّ. يسوع هو وحي الله. فيه أصبحت «نعمة الحقّ»، عطيّة الوحي الّتي يقدّمها الله للإنسان، مرئيّةً. إنّ الحدث–يسوع هو تجلٍّ ملموسٍ ومرئيٍّ لله، إلاّ أنّ اللّحظة المركزيّة، بالنّسبة للإنجيليّ، الّتي يظهر فيها المجد في كلّ قوّته هي الصّليب: ارتفاع يسوع (يوحنّا ١٢: ٣٢) ومجده (يوحنّا ١٧: ١). كلّ هذا يُصبح ذات قيمةٍ واقعيّةٍ إذا ما نظرنا إلى الصّليب انطلاقًا من مقولة الرّسول يوحنّا الشّهيرة: «الله محبّة» (١ يوحنّا ٤: ٨)، ذلك أنّه في الصّليب تُضيء محبّة الله متّقدةً ولامعةً بالنّور الإلهيّ. وبالتّالي، فإنّه ليس من الصّعب أن نستشفّ ملامح شخصيّة يسوع المسيح، الّتي كشفت للإنسان على مرّ العصور والأزمان: اهتمامه البديع بالبشريّة المعذَّبة والمتألِّمة، فقر حياته، محبّته للفقراء، قدرته على فحص القلوب، كفاحه ضدّ النّفاق الذّاتيّ والازدواجيّة الفرّيسيّة، سِحر القائد والصّديق، قوّة رسالته، شهادته للسّلام والخدمة، طاعته الاختياريّة لمشيئة الآب وروحانيّة تديُّنه العميقة.

لذا، فإنّ يسوع هو المركز في الحدث الإلهيّ الخلاصيّ، وهو الملء لكلّ التّطلُّعات الإنسانيّة. إنّه يكشف عن معناه الخلاصيّ من خلال وحي المحبّة، وينتظر من الإنسان جوابًا إيمانيًّا. بالنّسبة للإنجيليّ، هناك تفسيرٌ وحيدٌ لحدث تجسُّد الابن: محبّة الله للعالم، الّتي تقضي بأنْ «يَبذل» ابنه الوحيد. ويسوع، في إعطائه حياته حتّى الموت، كشف للبشريّة المعنى الحقيقيّ للمحبّة، كاشفًا، بالتّالي، هُويّة الآب وكيانه هو. لهذا يُكلِّمنا الرّسول عن إله المحبّة، قائلاً: «على هذا تقوم المحبّة: لا أنّا نحن أحبَبنا الله، بل هو نفسُه أحبّنا وأرسل ابنه كَفّارةً عن خطايانا» (١ يوحنّا ٤: ١٠). في مقابل هذا الكشف الاستثنائيّ، يتعيّن على الإنسان الاختيار بين قبول الحياة الأبديّة ورفضها.

٢. الوحي من الآب إلى الابن

ثمّ يُفكِّر الإنجيليّ في الإمكانيّات الّتي منحها الآب للابن من أجل خلاص البشر، عارضًا العلاقة الّتي تربط الآب والابن، مؤكِّدًا بُعدين أساسيّين: قدرة الابن على الكشف عن الآب، من جهة، والعمل وَفقًا لوَحدةٍ عميقةٍ معه، من جهةٍ أخرى.

إنّ القدرة الّتي تُمكِّن الابن من الكشف عن الآب حاضرةٌ في الآية اليوحنّاويّة التّاليّة: «الآبُ يُحبّ الابن فجعل في يده كلّ شيءٍ» (٣: ٣٥). هذا يعني أنّ الآب منح الابن القدرة والرّسالة على كشفه للبشر أجمعين. إنّ هذه الرّسالة الموكلة إلى الابن الآتي إلينا، تُعبِّر عن محبّة الآب للابن، الّتي تُعلَن في ظهور الله لنا، في جعلنا نعرف وجه الآب وفي إعطائنا روحه المُحيي. ينطبق هذا الكلام على ما جاء أيضًا في الإنجيل الرّابع: «إنّ أبي حتّى الآن يعمل وأنا أيضًا أعمل» (٥: ١٧).

إنّ تفسير هذا النّصّ الإنجيليّ يدخل في المنظومة اللّاهوتيّة وفي التّناغم الكامل مع نصّ سفر التّكوين: «وانتهى الله في اليوم السّابع من عمله الّذي عَمِلَه، واستراح في اليوم السّابع من كلّ عمله الّذي عمله. وبارك الله اليوم السّابع وقدَّسه، لأنّه فيه استراح من كلّ عمله الّذي عمله خالقًا» (٢: ٢-٣). حتّى لو وضع الله حدًّا لعمله الخَلْقِيّ (الخلق)، إلاّ أنّه لا ينأى بنفسه جانبًا، بل يستمرّ دومًا في التّأثير على التّاريخ البشريّ، إمّا من خلال إعطائه الحياة والخلاص، أو من خلال حُكمه كدّيّانٍ عادل (راجع ٢ ملوك ٥: ٧؛ حكمة ١٥: ١٣).

فيسوع، في شفاء المرضى، يكشف العمل الخلاصيّ لله نفسه، لأبيه، من خلال عطيّة المغفرة والخلاص. فالإنجيليّ يؤكّد في النّصّ الوَحدة والانسجام الكامل بين عمل يسوع وعمل الآب (راجع ٥: ١٩-٣٠). بالطّبع، فإنّ هذا يعني أيضًا مساواة يسوع مع الآب، لأنّه يدّعي لنفسه الطّريقة نفسها الّتي يعملها الله، كما يقول ذلك اليهود: «فازداد اليهود لأجل هذا طلبًا لقتله، لأنّه لم يكن ينقض السّبت فقط، بل كان يقول أيضًا إنّ الله أبوه، معادلاً نفسه بالله» (٥: ١٨)؛ وأيضًا: «أجابه اليهود: إنّ لنا ناموسًا، وبحسب ناموسنا هو مستوجب الموت، لأنّه جعل نفسه ابن الله!» (١٩: ٧).

فمن ثمّ، فإنّ **تدبير الآب الخلاصيّ يتحقّق في التّاريخ البشريّ ليسوع، الّذي لم يفعل شيئًا بشكلٍ مستقلٍّ عنه**: «الحقّ الحقّ أقول لكم: إنّ الابن لا يقدر أن يعمل شيئًا من ذاته إلاّ ما يرى الآبَ عاملَه. لأنّه مهما عمل ذاك فهذا يعمله الابن أيضًا على مثاله» (٥: ١٩)؛ وفي الفصل عينه من الإنجيل الرّابع، يقول يسوع: «لا أقدر أنا أن أعمل من نفسي شيئًا. فكما أسمع أحكم، وحكمي عادلٌ.

لأنّي لا أطلب مشيئتي، بل مشيئة الآب الّذي أرسلني» (٥: ٣٠؛ راجع أيضًا ٧: ١٧، ١٨، ٢٨؛ ٨: ٢٨، ٤٢؛ ١٤: ١٠؛ ١٥: ٤؛ ١٦: ١٣). **فيسوع الّذي يظهر، من خلال هذه الآيات اليوحنّاويّة، الشّخصيّة الشّفافة لمحبّة الآب، يُتمِّم رسالته هذه بحُكم اتّحاده مع الله، بالإضافة إلى كونه الابن.**

وغالبًا ما يتكلّم يسوع في الإنجيل أيضًا عن **رسالته الخلاصيّة الّتي عَهِدَ الآب له بإتمامها وإنجازها**: «إنّ طعامي أن أعمل مشيئة مَن أرسلني وأُتمِّم عمله» (٤: ٣٤)؛ وأيضًا: «وأمّا أنا فلي شهادةٌ أعظم من شهادة يوحنّا، لأنّ الأعمال الّتي أعطاني الآب أن أعملها، هذه الأعمال عينها الّتي أنا أعملها، تشهد لي أنّ الآب أرسلني» (٥: ٣٦؛ راجع أيضًا ٦: ٢٩؛ ٩: ٤؛ ١٠: ٢٥، ٣٢، ٣٧؛ ١٤: ١٠–١٢؛ ١٥: ٢٤). إنّ هذا الجانب يُساعد في التّركيز على العلاقة بين الآب والابن بطريقةٍ أعمق. فيسوع، منذ البداية، يُقدِّم رسالته قائلاً إنّه «أتى إلى خاصّته» (١: ١١) ككمالٍ للوحي وكلمة الله المتجسّد (راجع عبرانيّين ١: ١–٢)، وكمعلّمٍ وراعٍ صالح، لأنّه «أتى لتكون لهم [الخراف] الحياة وتكون لهم بوفرة» (١٠: ١٠)، إلاّ أنّه، في الوقت عينه، أتى من «فوق»، «من عَلُ»، من الله، ذلك أنّ رسالته تأتي من آخر هو مَن يُرسله، من الآب. إنّ فكرة رسالة يسوع تُعتبر من الأفكار الهامّة جدًّا الّتي تُميِّز الإنجيل الرّابع من خلال العبارة الّتي تتكرّر في الإنجيل، على لسان يسوع نفسه، لأكثر من عشرين مرّةً «الّذي أرسلني» (٣: ٣٤؛ ٥: ٢٤، ٣٠، ٣٧، ٣٨؛ ٦: ٢٩، ٣٨، ٣٩، ٤١؛ ٧: ١٦، ١٨، ٢٨، ٣٣؛ ٨: ١٦، ٢٩؛ ٩: ٤؛ ١٢: ٤٤، ٤٥، ٤٩؛ ١٣: ٢٠؛ ١٤: ٢٤؛ ١٥: ٢١؛ ١٦: ٥)؛ إنّها عبارةٌ تُشدِّد على أنّ يسوع هو على بيِّنةٍ من كونه مرسلاً.

ففي بداية نشاطه التّبشيريّ، أعلن يسوع أنّ طعامه هو العمل بمشيئة الآب وإتمام العمل الّذي أوكله إليه (٤: ٣٤)، وفي نهاية رسالته، صلّى يسوع إلى الآب قائلاً: «أنا قد مجّدتُكَ على الأرض، وأتممتُ العمل الّذي أعطيتَني لأعملَه» (١٧: ٤).

ولكن، عن أيّ عملٍ يتكلّم يسوع في المرّة الأولى لتلاميذه (٤: ٣٤)، ثمّ للآب (١٧: ٤)؟ يؤمِّن يسوع نفسُه الجواب عن هذا التّساؤل في صلاة «السّاعة»، أي الصّلاة الكهنوتيّة: «كما أعطيتَه السّلطان على كلّ بشر، ليُعطيَهُم كلّ ما أعطيتَه له الحياة الأبديّة. وهذه هي الحياة الأبديّة: أن يعرفوك أنتَ الإلهَ الحقيقيَّ وحدَك» (١٧: ٢-٣). لذا، فإنّنا نلاحظ أنّ لعمل يسوع هدفًا واضحًا يكمن في جعل الله معروفًا للإنسان، وفي جعله أيضًا يلتزم بوحيه الإلهيّ ويُخلِص له. فالنّاصريّ يعلم حاجة البشريّة الماسّة إلى الله، لكنّه يعلم أيضًا أنّه وحده، الابن الوحيد، الّذي يحيا حياة المحبّة والشّراكة مع الآب، قادرٌ على تقديمها للبشر في مجال الله (راجع ١: ١٨)؛ إنّه يعلم أيضًا أنّه الطّريق الوحيد الّذي يُمكن للإنسان أن يتبعه لكشف محبّة الله (راجع ١٤: ٦)؛ إنّه يكشف أيضًا الآب للإنسان من خلال كلمته وأعماله.

تُشير النّصوص اليوحنّاويّة إلى أنّ الابن ينظر باستمرارٍ إلى الآب، منبع رسالته ومنشأها. كلّ شيءٍ مُعطًى له من الآب: التّعليم، النّشاط التّبشيريّ، القدرة على الحياة والموت: «أجابهم يسوع وقال: إنّ تعليمي ليس منّي، بل من الّذي أرسلني» (٧: ١٦)؛ «مَن لا يُحبُّني لا يحفظ كلامي. والكلمة الّتي تسمعونها ليست لي بل للآب الّذي أرسلني» (١٤: ٢٤). إنّ الابن لا يعمل شيئًا من نفسه، «لكن كما علّمني أبي كذلك أقول» (٨: ٢٨). يسوع هو في حالة إصغاءٍ مستمرّةٍ إلى الآب

مع نظرةٍ من التّأمّل الدّاخليّ والتّواصل الرّوحيّ من خلال الانفراد للصّلاة، تهدف إلى نقل كلامه الإلهيّ إلى المستمعين عبر يسوع، الكلمة (١: ١-١٢). وهكذا، فإنّ يسوع هو الموحي المثاليّ لمحبّة الآب، لأنّه يعيش ديمومة الإصغاء إلى الله، إذ إنّه كلمة الآب نفسُها.

إنّ تدبير الآب الخلاصيّ الخاصّ بالابن، سيُحقّقه هذا الأخير ببذل حياته على الصّليب: «ليس لأحدٍ حبٌّ أعظم من هذا: أن يبذل نفسه عن أحبّائه» (١٥: ١٣). من هذا المنطلق، **يظهر الصّليب على أنّه تتميمٌ لعمل المشيئة الإلهيّة وسرُ الحبّ الإلهيّ**؛ فالصّليب، بالنّسبة للإنجيليّ يوحنّا، ليس مكانًا يُسيطر عليه الألم والذّل والكراهيّة، بل إنّه المكان الممتلئ بعطيّة الحبّ الإلهيّ للبشر. لذا، فقد عبّر الابن عن ذاته في التّخلّي عن كونه من أجل ذاته، وهذا ما نُسمّيه «إفراغ الذّات الإلهيّ». إنّه التّخلّي عن مشيئته الخاصّة لإتمام مشيئة الآب مُطيعًا إيّاه حتّى الموت، حتّى الصّليب (راجع فيلبّي ٢: ٦-١١): إنّه تبيان العظمة في التّنازل، والغنى في التّخلّي، والحريّة في الطّاعة؛ هذا هو الدّرب والنّهج والمسلكيّة الّتي رسمها المسيح لكلّ إنسانٍ مسيحيّ، وهذه كلّها تتلخّص في الإيمان الحقيقيّ المنطوي على التّنازل عن الإرادة الشّخصيّة وإطاعة مشيئة الله المخلِّصة، أي، أن تندمج إرادة المسيحيّ بإرادة الله كي تُصبح، عندئذٍ، حياة المسيحيّ تعبيرًا حيًّا عن عمل الله الثّالوث فيه، على مثال يسوع، الشّخص الّذي تمّت فيه مشيئة الثّالوث المشتركة، الّتي الآب مصدرها.

ففي اللّحظة الّتي فيها «سيُرفَع» يسوع على خشبة الجلجلة ويُطعَن جنبه بالحربة، سيُعطي للحياة قيمةً جديدةً ومعنًى جديدًا، إذ إنّه «سيجذب إليه

الجميع» (١٢: ٣١–٣٢)، قاهرًا بذلك الموت والألم وفقدان الحبّ. والإنجيليّ، في بداية «كتاب المجد» (١٣: ١–٢٠، ٢٩) قال بصراحةٍ عن يسوع: «كان قد أحبّ خاصّته الّذين في العالم، أحبّهم إلى المنتهى» (١٣: ١). لقد أتمّ يسوع الآن عمله. أتت «ساعة» العودة إلى الآب مرورًا بتمجيد الصّليب...

ومن هذا التّل، حيث ارتفع الصّليب، أصبحت البشريّة على بيّنةٍ من نوعيّة الحبّ الّذي كشفه لها يسوع النّاصريّ: إنّه حبٌّ يفوق كلّ منطق الإنسان، ليَعبُر إلى الله[٢].

لقد بَحَثَ الله بعاطفةٍ أبويّةٍ عن الإنسان. في يسوع التقى الله الإنسان على ما هو عليه، في فقره الدّاخليّ وفي آماله، ليكشف له أنّه الخلاص الوحيد. وبالتّالي، فإنّ شخص يسوع هو في مركز الرّسالة اليوحنّاويّة. فالإنجيليّ يوحنّا يراه في حقيقته المطلقة، في تساميه وجلالته الإلهيّة، لكنّه يراه أيضًا بإنسانيّته ومحبّته الّتي بلغت به حتّى بذل ذاته على الصّليب؛ فموت يسوع على الصّليب لم يكن كشفًا للحبّ الإلهيّ وحسب، بل كان أيضًا كشفًا للحياة الإلهيّة الّتي جاء يسوع ليُعطيَنا إيّاها من خلال الإيمان بكلمة الله المتجسّد في شخص يسوع الواهب الحياة أوّلاً، ثمّ في كلامه وأعماله العجائبيّة. هذه الحياة الإلهيّة هي اتّحادٌ حقيقيٌّ في المعرفة والمحبّة

٢) كما أنّ الإنسان الّذي يرغب في السّفر إلى دولةٍ معيّنة، يذهب إلى سفارتها للحصول على تأشيرة دخولٍ إليها، كذلك فإنّ الجلجلة هي السّفارة الإلهيّة على الأرض، الّتي تمنح الإنسان تأشيرة دخولٍ إلى ملكوت الله.

بين الآب والابن والمؤمنين، وهي حاضرةٌ بالفعل في هذه الحياة على الرّغم من أنّها تنتظر اكتمالها في المستقبل. أمّا المعزّي (الباراقليط، الرّوح القدس) والأسرار فيشكّلون ضمانة استمراريّة هذا الاتّحاد مع الله والمسيح في الزّمن الحاضر.

وهنا لا يسعنا إلاّ أن نتعمّق قليلاً بمفهوم لاهوت «التّألّه» في الكنيسة الشّرقيّة وتقليدها الحيّ. فلبلوغ حالة الاتّحاد بالله المدعوّ إليها الإنسان، كلّ إنسان (إذ إنّ رسالة يسوع الخلاصيّة تحمل طابعًا شموليًّا، راجع يوحنّا ١٢: ٣٢)، ينبغي أن يتجاوز حواجز ثلاثة: الموت، والخطيئة، والطّبيعة. فآدم لم يُتمِّم التّصميم الإلهيّ: فبدل أن تسلك مشيئة الإنسان خطًّا مستقيمًا للارتقاء نحو الله، سلكت طريقًا مُضادًا للطّبيعة، ينتهي إلى الموت (راجع رومة ٥: ١٢). الله وحده قادرٌ على أن يُعيد للبشر إمكانَ التّألُّه، وذلك بأن يُعتقهم، في الوقت عينه، من الموت ومن أسر الخطيئة. ما كان ينبغي للإنسان أن يبلغ بارتفاعه نحو الله، يحقّقه الله بانحداره نحو الإنسان. ولهذا سيعبر الله الحواجز الثّلاثة، الّتي ليس باستطاعة الإنسان أن يعبرها بقواه الشّخصيّة العاجزة. وقد أزال الله هذه الحواجز المذكورة كالتّالي: **حاجز الطّبيعة بتجسُّده، وحاجز الخطيئة بموته، وحاجز الموت بقيامته.** ولهذا كتب القدّيس بولس: «آخِر عدوٍّ يُبطَل هو الموت» (١ كورنثس ١٥: ٢٦).

الكلمة الّذي صار جسدًا يقف على مفترق طرقٍ بين الآب والإنسان، ليجلب لهذا الأخير كلمة الآب، الحياة، الوَحدة في المحبّة، وليُعطيَ للآب المجد، مقدِّمًا له حياته، ومن خلال ارتفاعه على الصّليب يُقدِّم له أيضًا جميع البشر. فرسالة يسوع الموحِية تؤكّد بالتّالي هذه الحقيقة: **إتّكاله على الآب، وانسجامه المثاليّ مع مشيئة الآب، وطاعته الكاملة للآب.** إنّ كلّ هذا يستند على محبّة الآب للابن، إذ إنّ محبّة

الآب هي مصدر الحبّ الأزليّ لولادة الابن لإرساله إلى العالم، لكي يعرف العالمُ الآبَ في الابن: «أنا فيهم وأنت فيّ، ليكونوا مكمَّلين بالوَحدة، ولكي يعرف العالم أنّك أنت أرسلتني، وأنّك أحببتهم كما أحببتني» (١٧: ٢٣).

٣. وحي الله من الابن إلى «خاصّته»

بعد التّعمّق في رسالة يسوع، أصبح البشر قادرين على فهم كلّ الآثار المترتّبة من هذا الوحي على مسلكيّتهم الحياتيّة. فالإنجيليّ لا يستنفد رسالته الرّوحيّة بإتمام العمل الّذي قام به يسوع. إنّ قدرة امتلاك الحياة الأبديّة، الّتي وضعها الآب في يدي الابن، ورسالته نفسها المتضمّنة الكشف عن محبّة الآب، قدِ انتقلت الآن من الابن إلى تلاميذه (راجع يوحنّا ٢٠: ٢١). وكما دعا يسوع الله «أباه»، هكذا أيضًا يستطيع تلاميذه أن يدعوا الله «أباهم». المرّة الأولى الّتي فيها دعا يسوع الله «أباه» كانت في حادثة تطهير الهيكل: «لا تجعلوا بيت أبي بيت تجارة» (٢: ١٦).

يتضمّن هذا النّصّ جانبَين هامَّين جديرين بتركيز الانتباه عليهما:

(١) يُعلن يسوع فيه أنّه ابن الله؛

(٢) ويتكلّم عن هيكل إسرائيل على أنّه بيت أبيه.

إنّ هذه اللّفتة النّبويّة لمعلّم النّاصرة والعبارات الواضحة الموجَّهة للبائعين، تُشكِّل الجِدَّة المطلقة في الحياة الدّينيّة اليهوديّة. فلم يتجرّأ أيّ إسرائيليٍّ، في العهد القديم،

على أن يدعوَ الله «أباه» بالمعنى الشّخصيّ، وبالتّالي يقول إنّه «ابنه». إنّ الله كان يُعتبَر «أبًا» للشّعب استنادًا إلى الأعمال العظيمةِ الّتي فعلها طوال تاريخ إسرائيل (خروج ٤: ٢٢؛ عدد ١١: ١٢؛ أشعيا ١: ٢...؛ ٣٠: ١، ٩؛ إرميا ٣: ١٤، ١٩؛ ٣١: ٢٠). وحده يسوع الّذي تكلّم عن الله بطريقةٍ فريدةٍ وجديدة، داعيًا إيّاه وبحقٍّ «أباه»[٣]. ومع ذلك، فإنّ التّلاميذ استطاعوا القول بعد القيامة، حين كشف يسوع القائم بظهوره لمريم المجدليّة عند القبر الفارغ أنّ «أباه» قد أصبح حقًّا «أباهم»، بالطّبع، ليس بحسب الطّبيعة، بل بحسب النّعمة (راجع ٢٠: ١٧).

وكما كان يُعتبَر الهيكل في العهد القديم «بيتَ الله» (راجع ١ ملوك ٦: ١؛ مزمور ١٢٢: ١) ومركز عبادة الرّبّ، هكذا، فإنّ يسوع، وفي الفصل الثّاني من الإنجيل الرّابع، يتكلّم عن الهيكل الّذي سينقضه ويُعيد بناءه في ثلاثة أيّام، في إشارةٍ إلى قيامة جسده (٢: ١٩-٢٢): **يسوع هو الهيكل الجديد**. فالإنجيليّ يُذكّر قرّاء إنجيله أنّ الهيكل المادّيّ في أورشليم زال، لتسليط الضّوء فقط على شخص يسوع في علاقته مع الآب. نرى، في الواقع، أنّ المعلّم الإلهيّ يستعمل اللّغة الرّمزيّة في العشاء الأخير، حين أعلن: «إنّ في بيت أبي منازلَ كثيرةً» (١٤: ٢)، لا ليُشير بعدُ إلى الهيكل المصنوع من الحجر، بل إلى الأُلفة مع الله في هيكله، الهيكل الإسكاتولوجيّ والنّهائيّ، أي البيت الّذي يسكن فيه الآب والابن. في هذا البيت

٣) يَستعمل الإنجيليّ الرّابع هذا التّعبير الّذي يُعلن أنّ الله هو الأب الخاصّ ليسوع ستًّا وعشرين مرّةً، أكثر بكثيرٍ من الإنجيليّين الآخرين (٥: ١٧، ٤٣؛ ٦: ٣٢؛ ٨: ١٩، ٣٨، ٤٩، ٥٤؛ ١٠: ١٨، ٢٥، ٢٩، ٣٧...).

الجديد، الّذي هيّأه يسوع بموته وقيامته، دعا يسوع تلاميذه إلى العيش ضمن أُطر الشّركة الثّالوثيّة والمحبّة الإلهيّة والحياة السّماويّة.

لتكون لهم الحياة وليصلوا إلى حالة الاتّحاد بالله الحقيقيّ، على التّلاميذ أن يسيروا في الطّريق الّتي رسمها المسيح المعلّم: إنجاز الرّسالة نفسِها في العالم واتّباع طريق المحبّة نفسِها، ليحيَوا بناءً على اختبار الصّليب. فحياة كلّ إنسانٍ تعتمد في الأساس على الكلمة، الّذي من خلاله «كلٌّ به كُوِّن، وبغيره لم يُكوَّن شيءٌ ممّا كُوِّن» (١: ٣)، لأنّه في أعماق كلّ كائنٍ حيٍّ، هناك رغبةٌ في الحقّ والحياة (إنّها الرّغبة في الملء والسّعادة، والحاجة إلى الخلاص، والبحث عن المعنى)، وقد وضعها هو نفسُه. فالإنسان يحمل في طيّاته عطشًا إلى اللاّنهاية، وحنينًا إلى الأبديّة، وبحثًا عن الجمال، ورغبةً في المحبّة، وحاجةً إلى النّور والحقّ، تدفعه نحو المُطلق؛ الإنسان يحمل في ذاته الرّغبة في الله: إنّها حالة الانجذاب نحو الله.

على تلاميذ يسوع الآن أن يكشفوا على ضوء حياتهم المُعاشة في المحبّة، ما هو الدّافع الّذي يدفعهم لعيش إيمانهم في المسيح. وكما أنّ هناك اتّحادُ محبّةٍ بين الآب والابن، لدرجة أنّ يسوع أعلن في الإنجيل الرّابع «أنّي أُحبّ الآب» (١٤: ٣١) و «الآب يُحبّني» (١٠: ١٧)، كذلك أيضًا هناك اتّحادٌ في المحبّة بين يسوع وتلاميذه: «إنّي أُعطيكم وصيّةً جديدةً أن تُحبُّوا بعضكم بعضًا. وأن تُحبُّوا بعضكم بعضًا كما أحببتُكم أنا» (١٣: ٣٤)؛ فالمحبّة الّتي عاشها يسوع مع تلاميذه تحوّلت إلى نموذجٍ ومقياسٍ للمحبّة الّتي يجب أن تكون مُقيمةً ومُتغلغلةً في قلب كلّ مؤمنٍ، حتّى يتمكّن، بالتّالي، من عيشها تجاه أخيه الإنسان. وكما قدّم يسوع نفسه بكلّيّتها من أجل الحبّ، كاشفًا محبّة الآب للبشر، كذلك على التّلاميذ أيضًا، في خطّ التّقدمة الكلّيّة،

أن يعيشوا حياتهم في إطار التّضحية الذّاتيّة السّخيّة على غرار يسوع: «كما أحببتُكم أنا». إنّ كلّ هذا لا ينطوي على تقليدٍ ليسوع فحسب (أي الاقتداء الأعمى والعاطفيّ دون تبصُّرٍ ولا اقتناعٍ، كالإيمان العاطفيّ دون أصلٍ وتجذُّر)، بل على تكريسٍ كاملٍ وتفانٍ شخصيٍّ يقوم به التّلميذ الحقيقيّ ليسوع من أجل اقتناء المحبّة الإلهيّة، ذات الأبعاد الثّلاثة (الذّات، الإنسان الآخر، والله)، بحيث تتضمّن هذه المحبّة بُعدًا إكليزيولوجيًّا (كنسيًّا) يكمن في **وَحدة جميع التّلاميذ في المسيح** «ليكونوا مكمَّلين بالوَحدة» (١٧: ٢٣).

وعليه، على جميع المؤمنين بيسوع أن يكشفوا من خلال أسلوب حياتهم أنّهم مُنقادون بحميميّة كينونتهم من قِبَل إله المحبّة، الّذي هو الامتلاء والفرح. **يجب أن يكونوا، بالتّالي، علامةً فارقةً وشهادةً حيّةً لوَحدة المحبّة هذه، في حياتهم الشّخصيّة والعائليّة والاجتماعيّة والدّينيّة، ممّا يُتيح لهم إمكانيّة الكرازة بإله المحبّة، قولاً وعملاً، إذ إنّ المسيحيّين اليوم مدعوّون، أكثر من أيّ وقتٍ مضى، على أن يكونوا تلك العلامة الفارقة في مجتمعٍ بدأت قِيَمُهُ تنحلّ وتتلاشى: علامةً لعيش شريعة الله الّتي تُضفي معنًى وقيمةً على إنسانيّة الإنسان بدل شريعة الغاب المبنية على العنف والقتل والتّدمير... نورًا في عالمٍ يعيش ظلمةً مُدلَهِمّة، محبّةً باذلةً ومُضحيّةً في عالمٍ تُسيطر عليه الذّاتيّة بكلّ ما تتضمّنه من أنانيّةٍ وكبرياءَ وتسلُّطٍ، صوتًا صارخًا في بريّة العالم مناديًا بالتّوبة والارتداد إلى الله في عالمٍ قسّى قلبه، غارقًا في مَتاهة الضّياع واللّاهُويّة: هذه هي رسالة المسيحيّ الحقيقيّة.**

يسوع، في ختام صلاته الكهنوتيّة (١٧: ١-٢٦)، أي قبل أن يسير إلى المكان الّذي سيُصلَب فيه، صلّى إلى الآب بكلماتٍ تُعبِّر بوضوحٍ عن مضمون رسالته ومعناها: «وقد عرّفتُهم باسمك وسأُعرِّفُهم أيضًا لتكون فيهم المحبّة الّتي أحببتني وأكونَ أنا أيضًا فيهم» (١٧: ٢٦). وهكذا، فقد قدّم يسوع لتلاميذه إمكانيّة سبر غور سرّ كيانه، بعد أن اكتشفوا حيويّة العلاقة والشّركة المتبادلة الّتي تجمع بين يسوع والآب في المحبّة. إنّه معهم، من الآن فصاعدًا، يقود تلاميذه إلى أن يعيشوا الحياة الّتي تُعلن الإله الحقيقيّ الّذي يؤمنون به، واحيًا للعالم بأنّ إله المحبّة قد لَمَسَ حياتهم بكلّيّتها، فأصبحوا جزءًا لا يتجزّأ من كيان الله، لأنّ الله محبّة (راجع ١ يوحنّا ٤: ٧-٨).

لذا، **فإنّ المحبّة الأخويّة الّتي تجمع تلاميذ يسوع هي مشاركةٌ في الأغاپي الإلهيّة، على مثال المحبّة الّتي تجمع الآب والابن في علاقةٍ حميمةٍ مطلقةٍ وكاملة. وتُشكِّل هذه العلاقة، بحسب الإنجيليّ يوحنّا، الكمال والمصدر لكلّ محبّةٍ أخرى. وهذا يؤكّد أنّ الله، بلفتةٍ كريمةٍ مجّانيّةٍ، أراد أن يكشف للبشر هذه العلاقة الحميمة ومنحهم إمكانيّة المشاركة في فرح هذا الاتّحاد الكيانيّ والرّوحيّ ومجده.** هذه هي الجماعة المسيحانيّة الأخويّة الحقيقيّة، القائمة على رباط المحبّة. لذلك، فإنّ كلّ مؤمنٍ مدعوٌّ إلى المشاركة في حياة الاتّحاد والشّركة هذه (١ يوحنّا ١: ٣)، عالمًا تمامًا أنّ **الدّعوة المسيحيّة تتجسّد في كمال المحبّة**، ذلك أنّ «مَن لا يُحبّ لم يعرفِ الله، لأنّ الله محبّة» (١ يوحنّا ٤: ٨، ١٦).

٣) المؤهِّلات الرّوحيّة للجماعة اليوحنّاويّة

يُمكن، بعد ما قيل أعلاه، التّأكيد على أنّ الجماعة اليوحنّاويّة صنعت اختبارها الإيمانيّ وبلغت نُضجها الكامل في التّشبُّه المستديم والثّابت بشخص يسوع، وأنّ الحياة الرّوحيّة للتّلاميذ يجب أن تتّسم بطابع **الجهوزيّة والانفتاح على روح الرّبّ**، بحيث كانت للجماعة اليوحنّاويّة قناعةٌ راسخةٌ بأنّ المؤمنين لا يستطيعون بناء جماعةٍ مسيحيّةٍ أصيلةٍ إلاّ إذا كانت مرتكزةً على حياة الإيمان بالمسيح المائت والقائم من بين الأموات. فقط، ومن خلال مسيرة النّضوج الرّوحي هذه، تبلغ الجماعة من تلقاء نفسها إلى النّتيجة الإيمانيّة الّتي يُنهي فيها الإنجيليّ يوحنّا إنجيله: «وإنّما كُتِبَت هذه لتؤمنوا بأنّ يسوع المسيح هو ابنُ الله، ولتكون لكم إذا آمنتم الحياة باسمه» (٢٠: ٣١)، وتكون لديها، بالتّالي، القدرة على عيش اختبارٍ كنسيٍّ متأصِّلٍ ومتجذِّر: «طوبى للّذين لم يرَوا وآمنوا» (٢٠: ٢٩).

١. الجماعة اليوحنّاويّة جماعةٌ مسيحانيّة (مبنيّة على المسيح)

إذا حاولتَ تعميق الاختبار الجماعيّ المولود من وعظ وتبشير الرّسول يوحنّا وشهادته، فلَسَوْفَ تكتشف أُفقًا أصليًّا ونموذجيًا بكلّ معنى الكلمة. فالجماعة اليوحنّاويّة تُحقِّق ذاتها فقط على ضوء المسيح، أو الأفضل من ذلك القول **إنّ حياتها هي امتدادٌ حيٌّ للمسيح القائم من بين الأموات**. فالمسيح، في الواقع، يُجسِّد الكنيسة ويُلخِّصها بشخصه وتعاليمه ورسالته وحضوره الفعّال من خلال الكلمة والإفخارستيّا. **ومن هذا الحضور ينشأ الالتزام الشّخصيّ والجماعيّ**، الّذي يُساعد على التّعرُّف على آثار الكلمة بين «أخصّائه». فتجسُّد الكلمة (١: ١٤)،

بالنّسبة للإنجيليّ، هو الحقيقة المركزيّة للتّاريخ البشريّ، وهذا الحدث الخلاصيّ، الّذي يُعبِّر عن حضور الله بأبعادٍ متنوّعةٍ، هو الحدث الّذي يُثبِّت الجماعة باستمرارٍ ، ويجعل المؤمن في حالة إدراكٍ للأفعال والإشارات الّتي قام بها يسوع. نستطيع القول إنّ الكنيسة، بالنّسبة ليوحنّا، هي الحقيقة المكانيّة والزّمانيّة الّتي تُجسِّد وتُكمِّل كلّ الأعمال والرّموز الّتي أظهرها يسوع في حياته الأرضيّة.

إنّ الصّورة الّتي تَصف حياة الجماعة اليوحنّاويّة في المسيح تظهر بشكلٍ بارزٍ في الكرمة والأغصان (١٥: ١-٨). يسوع هو الكرمة والمؤمنون هم الأغصان. لا يستطيع أعضاء الجماعة أن يُعطُوا ثمارًا بشكلٍ دائمٍ وثابتٍ إنْ لم يثبتوا في الاتّحاد مع المسيح، ومن خلاله، مع الآب، الّذي هو الكرّام الّذي يزرع ويُشذِّب (يُقلِّم). فصورة الأغصان مع الإشارة إلى «الثّبات في يسوع» (١٥: ٧) تُوضِّح بحقٍّ الاختبار الرّوحيّ الجماعيّ، الّذي يجعل المؤمنين يحيَون في وَحدةٍ إيمانيّةٍ مع المسيح كأساسٍ متينٍ لبناء شراكةٍ كنسيّةٍ حقيقيّة.

أ. أُسس الاختبار الرّوحيّ

خلال الفترة الأولى، حيث كانت الجماعة مُقتادةً من الرّسول – الشّاهد بدأت مسيرة الإيمان، ونشأت نصوصٌ مكتوبةٌ على أساس الكريستولوجيّا الأولى عن يسوع، المسيح – النّبيّ، وكان الشّرط الأساسيّ للاختبار الجماعيّ يكمن في **المعموديّة باسم يسوع**، عَنَيتُ، «الإيمان باسم يسوع» (راجع ١: ١٢؛ ٢: ٢٣؛ ١ يوحنّا ٥: ١٣)، من جهة، وفي **الاعتراف بمسيحانيّته**، من جهةٍ أخرى.

في المرحلة الأولى من حياة الجماعة، كانت المعموديّة تُعتبَر استمراريّةً للنّشاط العُماديّ ليسوع. المعموديّة «بالرّوح»، معموديّة الزّمن المسيحانيّ، فتحت الباب لأولئك الّذين كانوا ينتظرون تحقيق الوعود لإسرائيل ليَحصلوا على الخلاص المسيحانيّ. إنّ أتباع النّشاط الأسراريّ ليسوع، يَصِلون، بناءً على مسيحانيّته، إلى تكوين الجماعة المسيحانيّة المخلَّصة. في هذا المعنى، كانت المعموديّة العنصر التّأسيسيّ للجماعة، إذ بدونها لا يستطيع الإنسان التّقدُّم في المسيرة الرّوحيّة والدّخول في اختبار الحياة مع المسيح. في هذه الحالة، أصبحت الجماعة واعيةً أنّ أصل كينونتها آتٍ «من عَلُ»، «من السّماء» (٣: ٣، ١٣، ٢٧، ٣١؛ ٦: ٣٨–٥٨؛ ٨: ٢٣) ويُصبح بإمكان أعضاء هذه الجماعة، بالتّالي، أن يدعوا الله «أبًا»، لدرجةٍ أنّهم يشعرون بأنّهم «من الله وُلِدوا» (١: ١٢؛ ٣: ٣–٨؛ ١ يوحنّا ٢: ٢٩؛ ٣: ٩؛ ٤: ٧؛ ٥: ١٤، ١٨): إنّها جماعة «**أبناء الله**»: «**أُنظروا أيّ محبّةٍ مَنَحَنا الآب حتّى نُدعى أولاد الله!**» (١ يوحنّا ٣: ١؛ راجع أيضًا يوحنّا ١: ١٢؛ ١١: ٥٢؛ ١ يوحنّا ٣: ٢، ١٠؛ ٥: ٢)، أولئك الّذين «من الله» (٨: ٤٧)، «من الحقّ» (١٨: ٣٧) و «من الرّوح» (٣: ٣–٨). تُشير هذه التّعابير اليوحنّاويّة إلى أنّ الجماعة كانت مُدركةً تمام الإدراك أنّ كينونتها وُلِدَت، على مثال الكنيسة، **بناءً على مبادرةٍ من الله**، قبل أيّ مشروعٍ بشريّ: «ما من أحدٍ يقدر أن يُقبل إليّ ما لم يجتذبْه الآب الّذي أرسلني» (٦: ٤٤–٤٥، ٦٥). وبالتّالي، **فإنّ مبادرة الله وتدبيره الخلاصيّ هما العنصران الأوّلان اللّذان يؤسِّسان الجماعة اليوحنّاويّة.**

في الفترة الثّانية، حين كانت الجماعة في حالة نزاعٍ مع المجمع اليهوديّ (الكنيس)، مُيِّزت بوضوحٍ عن الجماعات اليهوديّة الرّسميّة الأخرى، واتّخذت، من خلال الإنجيليّ، مظهرًا نموذجيًّا، مؤسِّسةً بذلك «**الكريستولوجيّة العالية**»[٤] (High Christology)

---

٤) يشدِّد دارسو الكتاب المقدّس على إبراز نوعين أساسيّين للكريستولوجيّا:

الأوّل: «الكريستولوجيّا الأدنى» (Low Christology).

تشمل على تقييمٍ ليسوع معبَّرٍ عنه بتعابير لا تتضمّن بالضّرورة إبراز لاهوت يسوع «ألوهيّته»؛ على سبيل المثال: المسيح، المعلّم، النّبيّ، رئيس الكهنة، والمخلّص. «الكريستولوجيّا الأدنى» تتضمّن تقييمًا ليسوع معبَّرٍ عنه أيضًا بمصطلحاتٍ تنطوي على إظهار جانبٍ من جوانب الألوهيّة؛ على سبيل المثال: السَّيِّد، ابن الله، الله. لوقا ١: ٣٥: «فأجاب الملاك وقال لها: إنّ الرّوح القدس يَحِلُّ عليكِ وقدرة العليّ تُظلِّلكِ، ولذلك فالقدّوس المولود منكِ يُدعى ابن الله»؛ لوقا ٣: ٢٢: «وكان صوتٌ من السّماء يقول: أنتَ ابنيَ الحبيب، بكَ سُرِرت». يُشير هذان النّصّان إلى ملاكٍ وإلى صوتٍ سماويٍّ يُعلن يسوع «ابنَ الله». بينما لا يتردّد نصُّ لوقا ٧: ١٦ في تسجيل حقيقةٍ مفادها أنّ الجميع، بعد إقامة ابن أرملة نائين وعمل يسوع هذا، مجّدوا الله قائلين: «لقد قام فينا نبيٌّ عظيمٌ».

الثّاني: «الكريستولوجيّا الأعلى»

لتحديد هذه الكريستولوجيّا، تكلّمتُ سابقًا عن «جانبٍ من جوانب الألوهيّة»، لأنّه في حين أنّ العناوين المُدرَجة تضع يسوع في المجال الإلهيّ، إذ إنّه لا العناوين نفسها ولا الكتّاب أنفسهم الّذين يوظّفونها ينقلون بالضّرورة الفهم نفسَه للألوهيّة. هناك مجموعةٌ واسعةٌ من الاحتمالات الّتي تُساعد في فهم درجة أو شكل ألوهيّة يسوع. في ما يتعلّق بالدّرجة، يُمكن اعتبار يسوع إلهًا، لكن أدنى من الشّخصيّات الإلهيّة الّتي لم تكن يومًا بشريّة؛ على سبيل المثال، الملائكة، الّذين كانوا معروفين في العهد القديم على أنّهم «أبناء الله». أو، من الممكن أن يكون يسوع مساوٍ في الألوهيّة لله الحقيقيّ الّذي أرسله (راجع يوحنّا ١٧: ٣). أمّا في ما يتعلّق بالشّكل، فلربّما يكون يسوع إنسانًا مؤلّهًا في مرحلةٍ ما من وجوده؛ على سبيل المثال، في لحظة معموديّته، عندما نزل الرّوح القدس عليه، أو في لحظة قيامته، حين رَفَعَه الله إلى السّماء. أو، يُمكنه أن يكون إلهيًّا طوال حياته، بمعنى أنّه تمّ الحَبَل به على أنّه كائنٌ إلهيّ، دون أبٍ بشريّ. أو، يُمكن أن يكون في حالة الألوهيّة قبل التّجسّد. وحتّى في هذه الحالة الأخيرة يُمكن أن يكون يسوع مولودًا قبل الدّهور من الله الآب كبكرٍ لكلّ خليقة: «الّذي هو صورة الله غير المنظور، بكرُ كلّ خليقةٍ» (كولسّي ١: ١٥)، أو قد يكون غير مخلوقٍ وفي حالة وجودٍ دائمٍ مع الآب.

إنّ الإيمان المسيحيّ، الكلاسيكيّ والأرثوذكسيّ، أكّد في القرن الرّابع الميلاديّ، أنّ يسوع كابن لله، هو موجودٌ منذ الأزل، وهو، بالتّالي، مساوٍ لله الآب في كلّ شيءٍ.

المبنيّة في أساسها على الإيمان بيسوع كابنٍ لله، وككائنٍ منذ الأزل (وجوده الأبديّ) **وكمساوٍ للآب في الجوهر** (١: ١-٥).

تُساعد هذه المرحلة الجماعة نفسَها في التّركيز على ما هو أساسيّ: الإيمان والأسرار. فالإيمان، كاستيعابٍ لكلمة الله وكموافَقَةٍ لوحي الله وحقّه في يسوع، هو ردّ الإنسان على عطيّة الله. إنّ تدبير الله الخلاصيّ لا يُشكّل، بالنّسبة للمؤمنين، عملاً سحريًّا، لكنّه يتحقّق ويجد نجاعتَه وفعاليّته في ممارسة الإيمان فقط. فالإيمان، بالنّسبة للإنجيليّ الرّابع، هو **قبول المسيح الذّاتيّ؛ هو اتّحاد الإنسان بالمسيح، كي تكون له الحياة الأبديّة؛ «أن تؤمن» يعني أن تقبل يسوع، ابن الله، كمخلّصٍ لحياتك الخاصّة** (٤: ٤٢).

> يتحقّق الإيمان، في حياة المؤمنين الفرديّة، في «الثّبات» في كلمة يسوع: «إنْ أنتم ثبتُّم على كلامي، تكونون بالحقيقة تلاميذي» (٨: ٣١)، في «معرفة» يسوع نفسِه: «ونحن قد آمنّا وعَرَفنا أنّك أنت المسيح ابن الله الحيّ» (٦: ٦٩) وفي «حَمْل الثّمار الكثيرة»: «بهذا يتمجّد أبي: أن تأتُوا بثمرٍ كثيرٍ وتكونوا لي تلاميذ» (١٥: ٨).

ويجب أن يُنظَر إلى الأسرار أيضًا على ضوء عمليّة النّضوج الّتي تُنمَّى داخل الجماعة. فعندما تُصبح الجماعة جزءًا لا يتجزّأ من حياة «الكنيسة الكبيرة»، أي في زمن المحرِّر النّهائيّ،

زمن المسيح الإسكاتولوجي حيث تتّحد الكنيسة الأرضيّة بالكنيسة السّماويّة مرلّفة الكنيسة الكبيرة، فتُصبح الاسرار عناصر ذات قيمةٍ كنسيّةٍ كبيرة، إذ تنتقل من الاعتراف الإيمانيّ بالتّجسّد (١: ١٤)، إلى اعتبار العناصر البشريّة بوصفها وسيلةً للحياة الرّوحيّة والحقيقة عن يسوع.

ب. الجماعة اليوحنّاويّة والرّسالة

لقد رأينا سابقًا كيف أنّ **الكنيسة، بالنّسبة للإنجيليّ الرّابع، هي، أساسًا، جماعة التّلاميذ لكلٍّ من يسوع التّاريخيّ ويسوع الحاضر بين خاصّته بعد القيامةبواسطة الرّوح القدس.** فالإنجيليّ يوحنّا معنيٌّ بالتّركيز على أنّ **حياة الكنيسة تقوم على الشّراكة الحميمة مع شخص يسوع.** ومع ذلك، هناك نظامٌ وبُنيةٌ في الكنيسة اليوحنّاويّة تدلّ على روحانيّةٍ جماعيّةٍ عاليّة: **إنّها تُعطي أهميّةً كبيرةً لكون الإنسان اليوحنّاويّ تلميذًا ولحياة التّلمذة**[٥]. إنّه الآب الّذي يُعطي التّلاميذ ليسوع (٦: ٣٩، ٤٤، ٦٥)، وأنّ يسوع هو الّذي اختارهم (٦: ٧٠؛ ١٣: ١٨؛ ١٥: ١٦). يسوع يُعطي الحياة «لأحبّائه» (١٢: ٢٤-٢٥؛ ١٣: ٣٤؛ ١٥: ١٢-١٥)، لأنّه هو «حمل الله الّذي يرفع خطيئة العالم» (١: ٢٩، ٣٦). بعد عودته إلى الآب، سيمكث يسوع مع «خاصّته» بواسطة الرّوح، وهم سيتمكّنون من «رؤيته» (١٤: ٣، ١٧؛ ١٦: ١٦، ٢٢) لأنّه «سيُعلّمكم كلّ شيء ويُذكّركم كلّ ما قلته لكم» (١٤: ٢٦).

---

٥) يَرِد المصطلح «تلميذ» ثمانٍ وسبعين مرّةً في الإنجيل الرّابع، وهو عددٌ كافٍ للدّلالة على أهميّة التّلمذة ومكانتها في الحياة المسيحيّة.

إنّ حياة التّلمذة، في هذا السّياق، تُكوّن جزءًا أساسيًّا من الجماعة الّتي يكشف لها يسوع عن نفسه «بالكلمة» (١٤: ٢٩؛ ١٥: ٢٠-٢١؛ ١٦: ١، ١٣-١٤)، «بوصيّة المحبّة» (١٣: ٣٤-٣٥؛ ١٥: ١٢-١٣) ويدعوها، في الوقت عينه، إلى اتّباعه (١: ٤٣). إنّ الجماعة هي «المكان» حيث ترتفع الصّلاة باسم يسوع، وحيث يتحقّق، أرضيًّا، مسكن يسوع والآب.

إنّ التّلاميذ ومنذ اللّحظة الأولى لبداية كرازة يسوع التّبشيريّة، رافقوه، واضطلعوا بدورٍ نَشِطٍ وحيويٍّ معه (١: ٣٥-٥١)، وعاشُوا جانبًا محدَّدًا في مسيرةالمسيح نحو أورشليم (١١: ١٤-١٦)، وشاركوه جميع الأحداث المتعلّقة بحياة يسوع ورسالته، وأنّ هُويّتهم نابعةٌ من كونهم جماعةً ذات أهميّةٍ لاهوتيّةٍ كبيرة.

فمَن هم التّلاميذ، وما هي المَهامّ المُوكلة إليهم؟

يُمكننا رؤية أهميّة «التّلاميذ» في الإنجيل الرّابع من خلال التّكرارات الكثيرة لهذا التّعبير (٧٨ مرّة[٦])؛ وتظهر أهميّة التّلاميذ أيضًا بسبب وجودهم في كلّ الأقسام والأماكن البارزة في مخطّط الإنجيل الرّابع.

واحدةٌ من الصّفات الأساسيّة للتّلمذة الحقيقيّة هي **الإيمان بيسوع** (١: ٥٠؛ ٦: ٦٩؛ ١٤: ١٠-١١؛ ١٦: ٣٠؛ ١٧: ٨) الّتي تنطوي على **التزامٍ شخصيٍّ**

٦) من الجدير ذكره أيضًا أنّ ٧٤ استعمالاً من أل ٧٨ تكرارًا، يُشير تعبير «تلاميذ» إلى تلاميذ يسوع. و ٤ مرّات، عندما يُشير إمّا إلى تلاميذ يوحنّا المعمدان (١: ٣٥، ٣٧؛ ٣: ٢٥) أو إلى تلاميذ موسى (٩: ٢٨).

بـه (٢: ١١؛ ١٤: ١). وبالتّالي، فإنّ التّلمذة، كما يُعبِّر عنها يوحنّا، لا تخصّ فقط أولئك الّذين رافقوا يسوع، بل تخصّ بالحريّ، جميع أولئك الّذين يؤمنون حقًّا بيسوع: إنّهم يُعتبرون تلاميذ يسوع الأصليّين. إنّ هذا التّفكير المقترَح يأتي بناءً على الحقائق التّاليّة:

- موظّف الملك الّذي آمن بكلمة يسوع (٤: ٥٠)، والّذي تأكّد إيمانه بآية قانا الجليل الثّانية (٤: ٥٣-٥٤) يوضع بالتّوازي مع التّلاميذ، الّذين تأكّد إيمانهم بيسوع (١: ٤١، ٤٥، ٤٩، ٥٠) بآية قانا الجليل الأولى (٢: ١١).

- السّامريّون الّذين آمنوا بيسوع من خلال اختبارهم الشّخصيّ له، واعترافهم به كمخلّص العالم (٤: ٤٢). يأتي هذا الحدث بالتّوازي مع التّلاميذ الأوّلين، الّذين اكتشفوا هُويّة يسوع المسيحانيّة من خلال اللّقاء الشّخصيّ به، واعترفوا بإيمانهم به على أنّه المسيح ابن الله وملك إسرائيل (١: ٤١، ٤٩).

- مرتا، الّتي أعلنت إيمانها بيسوع: «أنا مؤمنةٌ أنّك أنتَ المسيح ابن الله الآتي إلى العالم» (١١: ٢٧) على الرّغم من موت أخيها لعازر الّذي كان يُمكن ليسوع أن يمنع موته (١١: ٢١). يأتي إعلان مرتا هذا بالتّوازي مع بطرس، الّذي أعلن جهارًا إيمانه بيسوع (٦: ٦٩) على الرّغم من هجر العديد من التّلاميذ ليسوع (٦: ٦٦).

- التّعريف الّذي أعلنه يسوع محدِّدًا صفات التّلاميذ الحقيقيّين، أولئك الّذين يثبتون في كلمته، والّذين يعرفون الحقّ المحرِّر (٨: ٣١-٣٢)، يتحقّق في حالة شفاء

الأعمى منذ مولده (٩: ١–٤١) الّذي، بناءً على كلمة يسوع («اذهب واغتسل في بركة سلوام»: ٩: ٧، ١١، ١٥)، قد تحرّر ليس فقط من عماه الجسديّ، بل أيضًا من الظّلمة الرّوحيّة بصيرورته تلميذًا ليسوع: «أنتَ تلميذ ذاك» (٩: ٢٨)، وأصبح يُدرك نور الحقّ بشأن مَن هو يسوع (٩: ١٧، ٣١، ٣٥–٣٨).

يظهر ممّا تقدّم ذكره سابقًا أنّ التّلاميذ ليسوا مجموعةً اجتماعيّةً حول يسوع؛ **إنّهم «أصدقاء» يسوع الّذين يعيشون في أُلفةٍ شخصيّةٍ ودائمةٍ معه، وكلمته وأعماله** (راجع ٨: ٣١؛ ١٥: ٧–٨)؛ **إنّهم «الشّركاء» المُقرَّبون ليسوع، الّذين يؤمنون به، ويعيشون في وَحدةٍ معه** (٣: ٢٩؛ ١٠: ١–١٦؛ ١٥: ١–١٧)؛ **إنّهم الجماعة اليوحنّاويّة الّتي تعيش حالة صراعٍ مع اليهوديّة الرّسميّة** (١: ١٩–٢: ١١)، سواء أولئك الّذين يتمتّعون بإيمانٍ نموذجيّ (٢–٤)، أو أولئك الّذين يجدون أنفسهم في موقفٍ يُعبِّر عن إيمانٍ غير مُكتملٍ، مُتجسِّدًا في صعوبة الفهم العميق لكلام يسوع وأعماله، في شكوكهم وجهلهم لهُويّة يسوع وطبيعته ورسالته أثناء حياته الأرضيّة، أي قبل قيامته من بين الأموات. على سبيل المثال:

- لقد فوجئوا لرؤيتهم يسوع يتكلّم مع امرأةٍ «السّامريّة»: «وعند ذلك جاء تلاميذه فتعجبُّوا أنّه يتكلّم مع امرأة» (٤: ٢٧)، ولم يفهموا كلامه عن الطّعام السّرّيّ الّذي يعيش منه: «وفي أثناء ذلك ألحّ تلاميذه قائلين: يا معلِّم كُلْ. أمّا هو فقال لهم: إنّ لي طعامًا آكله لا تعرفونه أنتم. فقال التّلاميذ فيما بينهم: ألعلّ أحدًا أتاه بما يأكل؟» (٤: ٣٢–٣٣).

- لم يستطيعوا إدراك كلام يسوع عن «رُقاد» لعازر وعن ضرورة إيقاظه: «إنّ لعازر صديقنا قد رقد، لكنّي أنطلق لأوقظه. قال له تلاميذه: يا ربّ، إنْ كان راقدًا فإنّه يَخلُص. كان يسوع يتكلّم عن موته، فظنُّوا أنّه يتكلّم عن رقاد النّوم» (١١: ١١–١٣).

- يُعبِّر التّلاميذ مرّةً أخرى، أثناء الدّخول الانتصاريّ ليسوع إلى أورشليم، عن عدم فهمهم لمُجريات الأحداث الّتي يشاركون فيها: «هذه الأشياء. لم يفهمْها تلاميذه أوّلاً، ولكن لـمّا مُجِّد يسوع، حينئذٍ تذكّروا أنّ هذه إنّما كُتِبَت عنه، وأنّهم عملوها له» (١٢: ١٦).

- حتّى في أثناء العشاء الأخير، كان التّلاميذ بطيئين في إدراك معنى كلٍّ من أعماله الرّمزيّة مثل غسل أرجلهم: «أجاب يسوع وقال له [بطرس]: إنّ ما أصنعُه أنا لا تفهمُه أنت الآن، ولكنّك ستفهمُه فيما بعد» (١٣: ٧)، وأقواله عن «الطّريق»: «أنتم تعرفون إلى أين أذهب وتعرفون الطّريق. قال له توما: يا سيّد، لسنا نعلم أين تذهب، فكيف نقدر أن نعرف الطّريق» (١٤: ٤–٥)، وعن «الوَحدة اللّاهوتيّة للآب والابن يسوع المسيح»: «لو كنتم تعرفوني لعرفتم أبي أيضًا، ومن الآن تعرفونه وقد رأيتموه. قال فيلبّس: «يا سيّد، أرنا الآب وحَسبُنا؟...» (١٤: ٨–١١)، وأخيرًا، عن «القليل»: «عمّا قليلٍ لا ترونني، وعمّا قليلٍ أيضًا ترونني، لأنّي منطلقٌ إلى الآب. فقال قومٌ من تلاميذه بعضُهم لبعض: ما هذا الّذي يقول لنا: عمّا قليلٍ لا ترونني، وعمّا قليلٍ أيضًا ترونني، ولأنّي منطلقٌ إلى الآب؟ فكانوا يقولون: ما هذا القليل الّذي يتكلّم عنه؟ إنّا لا نفهم ما يقول!» (١٦: ١٦–١٨).

• حتّى عندما أكّدوا أنّهم قد فهموا كلامه بوضوحٍ، وتيقّنوا أنّ معرفته الفائقة الطّبيعة بكلّ شيءٍ تُبرهن على أصله الإلهيّ (١٦: ٢٩-٣٠)، قال لهم إنّهم سيتركونه وحيدًا، وهذا من شأنه أن يُثبت سطحيّة ادّعائهم وعبثيّته (١٦: ٣١-٣٢).

هذا لا يعني أنّ التّلاميذ لم يعرفوا يسوع على الإطلاق. ففي الفصل السّادس من الإنجيل الرّابع يتكلّم سمعان بطرس باسم التّلاميذ أجمعين عن معرفةٍ اختباريّةٍ ليسوع على أنّه «قدّوس الله» (٦: ٦٩). في المقطع الموازي (١٠: ١-٢١) يتكلّم يسوع نفسه عن معرفةٍ اختباريّةٍ متبادلةٍ بين الرّاعي الصّالح (يسوع) والخراف (التّلاميذ): «أنا الرّاعي الصّالح وأعرف خرافي، وخرافي تعرفني» (١٠: ١٤)، الّتي لا تنطبق فقط على تلاميذه الّذين رافقوه أثناء حياته الأرضيّة، بل على المسيحيّين المؤمنين في كلّ العصور والأزمان. وفي مقطعٍ موازٍ أيضًا (١٧: ١-٢٦) صلّى يسوع إلى الآب: «والآن عَلِمُوا... أنّي منك خَرَجْت» (١٧: ٧-٨) و «هؤلاء عرفوا أيضًا أنّك أنت أرسلتني» (١٧: ٢٥).

إنّ فهمًا أفضل وأعمق ليسوع من جانب التّلاميذ – سيبرز بعد تمجيده، أي بعد قيامته من بين الأموات – عبَّر عنه الإنجيليّ في حادثتي تطهير الهيكل (٢: ٢٢)، وفي دخول يسوع الانتصاريّ إلى أورشليم (١٢: ١٦)، ثمّ جاء على لسان يسوع نفسه في حادثتي غسل الأرجل (١٣: ٧)، وفي الخطاب الوداعيّ ليسوع بعد العشاء الأخير (١٤: ٢٠).إنّ ذلك يُعزى إلى توجيهات وإرشادات الرّوح القدس، روح الحقّ (١٤: ٢٦؛ ١٦: ١٣-١٤)، الّذي سيقبله التّلاميذ عند لحظة تمجيد يسوع فقط: «إنّما قال هذا عن الرّوح الّذي كان المؤمنون به مُزمعين أن يقبلوه.

فالرّوح القدس لم يكن قد أُعطِيَ، لأنّ يسوع لم يكن بَعدُ قد مُجِّد» (٧: ٣٩؛ راجع أيضًا ١٩: ٣٠؛ ٢٠: ٢٢).

في الإنجيل، هناك أيضًا نصوصٌ يُقدِّم من خلالها يسوع تلاميذه، من وُجهة نظرٍ إكليزيولوجيّةٍ (كنسيّة)، كمسؤولين ورؤساءَ جماعة (٢١: ١٥-١٧)، وذلك أنّ الرّوح القدس يبقى السّلطة الحقيقيّة للجماعة (١٤: ٢٦؛ ١٦: ١٣) والرّسل هم وحدهم شهود الوحي الّذي يُنيره الرّوح (١٩: ٣٥؛ ٢١: ٢٤؛ ١ يوحنّا ٢: ٢٧). يُعبِّر الفعلان اليوحنّاويّان «ἀποστέλλω - πέμπω» (أرسل) عن رسالةٍ ثنائيّةٍ هي: إمّا إرسال الآب ليسوع، من جهة، كما يظهر في الآيات اليوحنّاويّة التّاليّة (٣: ١٧؛ ٤: ٣٤؛ ٥: ٣٠، ٣٦، ٣٨؛ ٦: ٢٩، ٣٨)، أو إرسال يسوع للتّلاميذ، من جهةٍ أخرى، كما يظهر أيضًا في الآيات اليوحنّاويّة التّاليّة (١٣: ٢٠؛ ١٧: ١٨؛ ٢٠: ٢١). تكتسب الآية الأخيرة من حوار يسوع مع تلاميذه في الفصل الرّابع من الإنجيل اليوحنّاويّ أهميّةً خاصّة، لأنّها تتكلّم عن النّشاط الرّسوليّ للتّلاميذ، الّذين يُعتبَرون الممثّلين المباشرين للمسيح، الّذين تقع على كاهلهم مسؤوليّة جمع الحصاد (لكي يفرح الزّارع والحاصد معًا) في وَحدة الإيمان بالمسيح: «وأنا أرسلتُكم لتحصدوا ما لم تتعبوا فيه. لأنّ آخرين تعبوا وأنتم دخلتم على تعبهم» (٤: ٣٨).

فمن ثمّ، يتلقّى التّلاميذُ من المسيح القائم الرّوحَ القدس الّذي يهبهم القدرة على الاحتفاظ أو على إعفاء البشر من خطاياهم (٢٠: ٢٢-٢٣). وقد أعطى يسوع بعد قيامته لبطرس مَهمَّة العناية الرّعويّة بقطيعه (٢١: ١٥-١٧). وبالتّالي، فإنّ على بطرس، وقد خوّله المسيح رأس الكنيسة ممارسة السّلطة في الكنيسة، أن يكون راعيًا لكلّ قطيع الله، على مثال يسوع، ليس فقط خلال حياة يسوع الأرضيّة كما يظهر

في ٦: ٦٦-٧١، بل أيضًا بعد ذلك، حين يُشدِّد على أنّ أساس خدمته الرّعويّة يكمن في إخضاعها لاختبار إيمانه (٦: ٦٨-٦٩) ومحبّته للمسيح (٢١: ١٥-١٧).

أخيرًا، بعد موت التّلميذ الحبيب، أدركت الجماعة أنّ المسؤوليّة وعمل الرّوح يستمرّان في تلاميذ الرّسول يوحنّا الّذي شكّل بالنّسبة لها صلة الوصل مع التّقليد الرّسوليّ ومع يسوع نفسه. وهكذا، فإنّ الجماعة اليوحنّاويّة بقيت شاهدةً على رسالة يسوع الخلاصيّة في التّاريخ بواسطة الرّوح القدس.

ت. الجماعة اليوحنّاويّة كنيسةٌ أسراريّة

نلاحظ في اللّاهوت اليوحنّاويّ اتّجاهًا عامًّا لإعادة تقييم حجم الحياة الأسراريّة للجماعة. في الواقع مع تطوّر علم الرّمزيّة والسّيميائيّة. فالأُفق الكنسيّة للإنجيل الرّابع تُحدِّد هيكليّة لغته الرّمزيّة. متجذِّرةً في التّاريخ التّصويريّ للعهد القديم، تبرز قصّة يسوع النّاصريّ الّذي يتمِّم بشخصه كلّ التّصوُّرات الّتي تُفضي إلى التّاريخ «الأسراريّ» للكنيسة، حيث يواصل المسيح في المجد عمله المُوحي والتّقديسيّ.

في مقابلته مع نيقوديمس (٣: ١-٢١) يتكلّم يسوع عن **المعموديّة**: «الحقّ الحقّ أقول لك: إنْ لم يولد أحدٌ من الماء والرّوح فلا يقدر أن يدخل ملكوت الله» (٣: ٥)؛ ومرّةً أخرى، حين طعن أحد الجنود جنب المصلوب: «فخرج للوقت دمٌ وماء» (١٩: ٣٤). إنّ المعموديّة المذكورة في الإنجيل الرّابع هي معموديّةٌ بالماء والرّوح، ممنوحةٌ من العمل **التّاريخيّ-الخلاصيّ ليسوع**، الّذي يُنتج «الولادة من فوق» (٣: ٣). هذه «الولادة الجديدة» تفترض الإيمان بابن الإنسان

«المرفوع» على الصّليب (٣: ١٤) وتُقدِّم أولئك الّذين «وُلِدوا من الرّوح» في «ملكوت الله» (٣: ٨). لذا، فإنّه من الطّبيعيّ أن تكون المعموديّة، في زمن الكنيسة، **سرّ اتّحاد المؤمن بيسوع، وإتمامًا للخلاص الّذي قام به.**

في حديثه عن خبز الحياة (٦: ٥١-٥٨) يتكلّم يسوع عن الإفخارستيّا. إنّ **الإفخارستيّا، بالنّسبة للجماعة اليوحنّاويّة، هي السّرّ الّذي يُنمّي الحياة المسيحيّة ويُنضّجها، من خلال التّركيز على سرّ يسوع.**

أخيرًا، يتكلّم عن **الكَفّارة ومغفرة الخطايا بواسطة قوّة الرّوح القدس،** حين أعطى يسوع القائم رسالةً خاصّةً لتلاميذه: «ولمّا قال هذا نفخ فيهم وقال لهم: خذوا الرّوح القدس. مَن غفرتم خطاياهم تُغفَرْ لهم، ومَن أمسكتم خطاياهم أُمسِكَت» (٢٠: ٢٢-٢٣).

من ثمّ، فإنّ الأسرار في الجماعة اليوحنّاويّة تدخل دومًا في سياق **الإيمان الكريستولوجيّ** وهي، في الواقع، **تُعبّر عن حضور وتطبيق الرّسالة الخلاصيّة الّتي قام بها يسوع.** فالإيمان، الّذي هو العنصر الأصليّ والضّروريّ، يتحقّق في الإشارات الأسراريّة. الأسرار ضروريّةٌ لاقتناء الحياة الأبديّة (٣: ٣-٥؛ ٦: ٥٣) ووحدها الجماعة الرّسوليّة، أي الكنيسة، لها الحقّ في توزيعها على أبنائها، لأنّها تحمل في كيانها الحياة والخلاص.

٢. جماعةٌ خاضعةٌ لعمل الرّوح

ممّا لا شكّ فيه أنّ **الكنيسة اليوحنّاويّة هي كنيسة الرّوح**. تُدرك الجماعة اليوحنّاويّة أنّها تلقّت الرّوح، وهي تعيش، بموجبه، حالة اختبارٍ روحيٍّ يُعمِّق مسيرة حياتها الإيمانيّة والكنسيّة ويُجذِّره، أكثر فأكثر، في المسيح. **فنشاط الرّوح، بحسب الإنجيل الرّابع، يوقظ في قلب التّلاميذ الإيمانَ بيسوع ويُعمِّقه، ويُعطيهم بالتّالي معرفة يسوع.**

لكنّ السّؤال الّذي يطرح نفسه علينا في هذه اللّحظة: مَن هو الّذي يُعطي الرّوح؟ إنّه **يسوع نفسُه الّذي يُعطي الرّوح لتلاميذه، لأنّه يمتلكه تمامًا** (١: ٣٢-٣٣).ولا يتّصل الرّوح بكلام يسوع فحسب (٣: ٣٤؛ ٦: ٦٣)، بل وخصوصًا بشخصه (٧: ٣٨-٣٩؛ ١٩: ٣٠)، لأنّ كلّ تلميذٍ، «سينظر إلى الّذي طعنوه» (١٩: ٣٧)، سيُصبح إنسان الإيمان، وسيواصل في متابعة النّهج الرّسوليّ على نحوٍ فعّال (٢٠: ٢٢-٢٣).

خلال النّشاط الأرضيّ ليسوع، يقول الإنجيليّ إنّ «الرّوح القدس لم يكن قد أُعطِيَ» (٧: ٣٩) حتّى لو كان حاضرًا وعامِلاً في كلام وأعمال النّاصريّ؛ وهذا لأنّ يسوع لم يكن قد مُجِّد بعد بارتفاعه على الصّليب، لحظة الذّروة الّتي فيها تبدأ الأزمنة الجديدة، ويُعطى الرّوح القدس للكنيسة (١٩: ٢٥-٢٧، ٣١-٣٤). في الواقع، يُساعدنا الإنجيل الرّابع دائمًا في اكتشاف الوحي التّدريجيّ للرّابط الحميم بين يسوع والرّوح. ففي بداية حياته العلنيّة، يُقدِّم يسوع ذاته ليوحنّا المعمدان باعتباره الشّخص الّذي استقرّ عليه الرّوح (١: ٣٢-٣٣): إنّه **علامة الحضور الإلهيّ**؛

ثمّ معروفًا أيضًا كمَن، في كلمته، يُعطي الرّوح؛ وفي لحظة «السّاعة»، يظهر يسوع على أنّه مصدر الرّوح؛ أخيرًا، بعد القيامة، سيطلب يسوع من الآب أن يُرسل روح الحقّ، الّذي سيكون معزّيًا آخر (١٤: ١٦-١٧).

إنّ عودة يسوع إلى الآب (١٦: ١٠؛ ٢٠: ١٧) لن تكون سببًا لانكسار الرّابط القويّ بين يسوع والرّوح. فيسوع يعود مع الآب ليسكن مع خاصّته: «إنْ أحبّني أحدٌ يحفظ كلمتي، وأبي يُحبُّه، وإليه نأتي، وعنده نجعل مُقامنا» (١٤: ٢٣). **هذا الحضور الجديد يرتبط ارتباطًا وثيقًا بعطيّة الرّوح القدس.** إنّ «مكوث» الرّوح في حياة الجماعة اليوحنّاويّة هو واقعٌ اختباريٌّ وحيويّ، متّحدٌبالمعرفة: «فمَن يحفظ وصاياه يَثبُتْ فيه وهو فيه. وبهذا نعلم أنّه يثبت فينا، من الرّوح الّذي أعطانا» (١ يوحنّا ٣: ٢٤؛ راجع أيضًا ٤: ١٣): «الرّوح هو الّذي يُحيي» (يوحنّا ٦: ٦٣). فالجماعة اليوحنّاويّة ليست أمام ظواهر خارقة، **بل أمام اختبارٍ طبيعيٍّ للرّوح**، كما هو الحال في رسالتَي القدّيس بولس: «إنّ كلّ الّذين يُقتادون بروح الله، هم أبناء الله. إذ لم تأخذوا روح العبوديّة أيضًا للمخافة، بل أخذتم روح التّبنّي الّذي ندعو به «أبّا» أيّها الآب. والرّوح عينه يشهد مع أرواحنا بأنّا أولاد الله» (رومة ٨: ١٤-١٦)، وأيضًا: «وبما أنّكم أبناءٌ، أرسل الله روحَ ابنه إلى قلوبكم صارخًا: أبّا، أيّها الآب. فلستَ إذًا بعدُ عبدًا بلِ ابنًا؛ وإذا كنتَ ابنًا، فأنتَ أيضًا وارثٌ لله بيسوع المسيح» (غلاطية ٤: ٦-٧)؛ وبالتّالي، **فإنّ الجماعة تكتشف حياة الاتّحاد بيسوع وحضوره من خلال الرّوح؛ وهذا الحضور الجديد ليسوع في الجماعة هو حضورٌ داخليٌّ وروحيّ.** سيكشف يسوع من خلالها عن نفسه لخاصّته، إذ إنّه لن يتركهم يتامى، لأنّه سيعود إليهم

(١٤ : ١٨). في ذلك اليوم سيعيشون اختبارًا روحيًّا جديدًا: «في ذلك اليوم تعلمون أنّي أنا في أبي، وأنتم فيّ، وأنا فيكم» (١٤ : ٢٠). **فيسوع والآب إذًا يسكنان في قلب التّلاميذ، بحيث يُدرك التّلاميذ، تاليًا، حالةَ انجذابهم لوصيّة المحبّة الإلهيّة وحبّ يسوع:** «إنْ كنتم تُحبُّوني فاحفظوا وصاياي» (١٤ : ١٥؛ راجع أيضًا ١٤ : ٢١-٢٤). **أمّا تحقيق سرّ هذه السُّكنى الإلهيّة-الإنسانيّة فيُمكن فقط بفعل الرّوح القدس وعمله.**

إنّ الجماعة اليوحنّاويّة قادرةٌ على فهم طريقة حضور الرّوح، فقط عندما ستَعبُر، على مثال يسوع، خبرة الموت والقيامة. في الواقع، هناك رابطٌ حميمٌ، بالنّسبة للإنجيليّ الرّابع، **بين عطيّة يسوع وقبول الإنسان:** «وأنا أسأل الآب فيُعطيَكم معزِّيًا آخر ليُقيمَمعكم إلى الأبد، روحَ الحقّ الّذي لا يستطيع العالم أن يقبله، لأنّه لا يراه ولا يعرفُه، أمّا أنتم فتعرفونه لأنّه مقيمٌ عندكم ويكون فيكم» (١٤ : ١٦-١٧). إنّ أعضاء هذه الجماعة، بفضل هذا الكلام، أصبحوا أبناء الله بواسطة عمل الرّوح (١ : ١٢). لقد كانوا مُقتنعين أنّ الرّوح وحده قادرٌ على تعميق وحي المسيح في قلب المؤمن ومسلكيّته الحياتيّة (راجع ١٦ : ١٣-١٤)، فيُصبح جزءًا لا يتجزّأ من كيانه الجديد، وطبيعته الجديد، وإنسانيّته الجديدة المُمَسحنة. وَحْدَهُ الرّوح الّذي يُعطي شهادةً لصالح المؤمنين. من خلال استيعاب كلمة يسوع وحضور الرّوح القدس فيهم، يأخذ حضور يسوع، ومعه الآب، طابعًا جديدًا، ذلك أنّ الرّوح وحده، الّذي يسكن فيهم، يُمكّنهم من اكتشاف سرّ شخص يسوع من الدّاخل، جاعلاً إيّاهم يتذكّرون كلّ ما علّمهم إيّاه يسوع (١٤ : ٢٦؛ ١٦ : ١٣-١٤).

٣. الجماعة اليوحنّاويّة والخدمة الرّعويّة

لا يمكن الحديث، بحسب الإنجيل الرّابع، عن وجود عقيدةٍ واضحةٍ تخصّ الخدمات في الكنيسة، على مثال تلك الّتي يصفها القدّيس بولس في رسالتيه الأولى إلى كورنثس ١٢ وأفسس ٤، لأنّ يوحنّا لا يتكلّم عن نظامٍ كنسيٍّ بقدر ما يتكلّم عن **عقيدةٍ پنيڤماتولوجيّةٍ** (روحيّة) هي الأكثر تناسُقًا في كلّ كتابات العهد الجديد.

إنّ اهتمام يوحنّا يذهب دائمًا إلى ما هو أساسيّ؛ إنّه يُصرّح أنّ العطيّة الأكثر تأثيرًا وفعاليّةً للرّوح داخل الجماعة هي **عطيّة المحبّة السّامية، الّتي تُوحّد الجميع في المسيح** (١٥: ٩-١٣؛ ١ يوحنّا ٣: ١١؛ ٤: ٧-١٠). ومع ذلك، فإنّ يوحنّا لا يتكلّم البتّة عن «خدماتٍ رعويّةٍ» في الكنيسة. لهذا، فإنّه لمن الخطأ التّكلُّمفي اللّاهوت الرّوحيّ اليوحنّاويّ عن كنيسةٍ غير مرئيّةٍ، وروحيّةٍ أو كاريزماتيكيّةٍ فقط في مقابل كنيسةٍ خدماتيّةٍ زمنيّة.

إنّ الكنيسة كما يراها الإنجيليّ تدخل في مجال الكنيسة المرئيّة بانفتاحها على عمل الرّوح القدس ملتزمة برسالةٍ محدّدةٍ (١٣: ٢٠؛ ٢٠: ٢١) مع إشارةٍ واضحةٍ إلى «الخدمة»، الّتي يُمكن تمييزها بشخص وعمل بطرس هامة الرّسل أو التّلميذ الحبيب. فبطرس هو النّاطق بلسان تلاميذ يسوع (٦: ٦٧-٦٩). له أُعطِيَ اسم «كيفا» (صخرة)، الّذي يحمل معنى «أساس الكنيسة» (١: ٤٢). إنّه راعي خراف المسيح (٢١: ١٥-١٧) وشهيد الاعتراف بيسوع (٢١: ١٨-١٩). أمّا التّلميذ الحبيب فهو شخصيّة «التّلميذ الآخر» (١٨: ١٥-١٦؛ ٢٠: ٣، ٨) الّذي يملك بصيرةً عميقةً ويعيش في علاقةٍ حميمةٍ مع يسوع أكثر من أيّ تلميذٍ آخر (١٣: ٢٣-٢٥).

أمّا الفصل ٢١ من الإنجيل الرّابع، فهو يُولي بطرس الرّسول دورًا مركزيًّا في الجماعة الإكليزيولوجيّة (الكنسيّة) كصيّادِ بشر، بحيث تُعبِّر الجماعة اليوحنّاويّة، من خلال هذا الدّور البطرسيّ، عن انتمائها الفعليّ للكنيسة–الأمّ. وهذا يُبيِّن اعترافًا ثُنائيًّا بسلطة بطرس العليا على الكنيسة الجامعة ومَهمّته الرّعويّة بناءً على علاقة حبِّه للرّبّ، من جهة، وبسلطة التّلميذ الحبيب المحدَّدة والمستمرّة بناءً على صداقته العميقة والمتينة مع يسوع، من جهةٍ أخرى.

إنّ الجماعة اليوحنّايّة، بتركيبتها، تجد نفسها مرتبطةً بالكنيسة الجامعة، وهي، في الوقت عينه، متميِّزةٌ عنها. فمعجزة صيد المئة والثّلاث والخمسين سمكةً المذكورة في الفصل الأخير، تُصوِّر جيّدًا المنحى الإكليزيولوجيّ اليوحنّاويّ:

> **فوَحدة الكنيسة بيّنةٌ من خلال رمزيّة الشّبكة الواحدة، بينما تعدديّة أعضائها تظهر في الـ١٥٣ سمكة، وفي تماسك الشّبكة الّتي لم تتخرّق من هذه الكثرة (٢١: ١١).**

تُبيِّن هذه الحادثة صورة الجماعة الّتي تبقى عقيمةً عندما تفتقر إلى المسيح، أي، عندما لا يكون المسيح في مركزيّة حياتها الكنسيّة، ولكنّها تتحوّل إلى مثمرةٍ وخَصبةٍ فقط حين تُطيع كلمته وتعيش حضوره في وسطها. **وعليه، فإنّنا ندرك أنّ المنحى الكنسيّ ليوحنّا يهدف إلى تمكين كلّ مؤمنٍ من الدّخول في علاقةٍ إيمانيّةٍ شخصيّةٍ مع المسيح، ليحيا هذا المؤمن، بالتّالي، حياة الشّركة**

والمحبّة مع المؤمنين الآخرين، وهذا هو بالتّحديد مفهوم الكنيسة الجامعة ولاهوتها. لذا، فإنّ كلّ سلطةٍ في الكنيسة، بحسب الإنجيليّ، يجب أن تكون مقبولةً باعتبارها شكلاً من أشكال بقاء يسوع مع خاصّته الّذين ما زالوا في العالم، بحيث لا يُمكن لهذه السّلطة أن تُمارَس بعيدًا عن روح التّواضع وخدمة المحبّة (١٣: ١-٢٠) وفقًا لمثال الرّاعي الصّالح (١٠: ١١-١٨).

٤. جماعةٌ منفتحةٌ على ديناميكيّة الحياة البنويّة

يُشدِّد الإنجيليّ في رسالته الرّوحيّة كثيرًا على **الصّيرورة (التّحوُّل) والعُمق والنّموّ في الحياة البنويّة للتّلميذ والجماعة**: «فأمّا كلّ الّذين قبلوه، فأعطاهم سلطانًا أن يكونوا أبناء الله» (١: ١٢). يُسلِّط هذا النّصّ اليوحنّاويّ الضّوء على عنصرين هامَّين:

الأوّل، أنّ البُنوّة هي عطيّةٌ مُتلقّاةٌ، قدرةٌ مُعطاةٌ، نعمةٌ من الله؛ بينما يتطلّب الثّاني تعاونًا من المؤمن، يُساعد على تحقيقها، ويُنشئ، بالتّالي، نموًّا ديناميكيًّا، صيرورةً روحيّةً، وانقيادًا مستديمًا لعمل الرّوح القدس.

على الرّغم من أنّ تحقيق البُنوّة الإلهيّة بملئها وكمالها سيكون في الحياة الأبديّة، إلاّ أنّ بإمكان المؤمنين، اعتبارًا من الآن، أنْ يختبروا اقتبال الكلمة والإيمان بشخصه. يكشف الإنجيليّ أيضًا في ٣: ٣-٨ عن معنى البُنوّة الإلهيّة كحقيقةٍ ديناميكيّة، حين يُعلن يسوع ضرورة أن يولد الإنسان «من عَلُ»، «من الرّوح القدس».

فقط أولئك الّذين يولدون من الله يُمكنهم أن يشعروا بنموّ الإيمان في قلوبهم.

ولكن، كيف تقبل الجماعة اليوحنّاويّة عطيّة البُنوّة الإلهيّة هذه؟ يظهر نمط حياة الجماعة بوضوح: **لقد آمنت بالمسيح وعمّقت حياتها الإيمانيّة فيه.** ديناميّة الإيمان هذه أصبحت الدّافع للصّيرورة أبناء الله. لقد صنع الإيمان بالابن المؤمنين أبناء (راجع ١: ١٢؛ ١ يوحنّا ٥: ١١، ١٨)، لأنّها مشاركة المؤمنين في حياة الابن. فحين يُصبح المؤمنون أبناءً لله يُثمرون ثمارًا وافرةً بالرّوح:

الثّمرة الأولى: الانتصار على الخطيئة

فقط أولئك الّذين لا يُطيعون الحقّ يُخطئون: «كلّ مَن هو مولودٌ من الله لا يفعل خطيئة، لأنّ زرعه ثابتٌ فيه، ولا يستطيع أن يخطأ لأنّه مولودٌ من الله» (١ يوحنّا ٣: ٩). إنّ تلميذ يسوع الّذي «وُلِدَ من الله» لا يعيش البتّة في عالم الخطيئة والظّلمة والموت، بل في عالم الله، متحرّرًا من الشّرّ، لأنّه «بذرةٌ إلهيّةٌ»، إذ أنّ كلمة الله المُتلقّاة تحت تأثير الرّوح القدس، تملؤه وتُصيِّره ابنًا لله؛ هكذا فقط يُصبح الشّعب المختار شعبًا مقدّسًا، شعبًا خاليًا من الخطيئة. هذه القداسة وهذا الخُلُّو من الخطيئة يَنشأن من الحضور الفاعِل للرّوح القدس، للحكمة، للشّريعة المكتوبة على قلوب المختارين؛ كلّ هذا سيُنتج معرفة الله، القوّة على الحدّ من الخطيئة، الحياة. فالثّمار المرجوّة من كلّ ما تقدّم ذكره تكمن في **التّنقية الدّاخليّة، الانتصار على الخطيئة وخُلُّو المؤمنين منها، وهذا يرجع إلى حقيقة أنّ أبناء الله قد تلقّوا العطيّة الإسكاتولوجيّة** (الأُخرويّة) **الخاصّة بعصمة المسيح نفسه،**

المُعبَّر عنها في السُّكنى المتبادلة بين المؤمن ويسوع؛ لذا، فإنّ حياة البُنوّة الأصيلة (الحقيقيّة) تشتمل على قوّةٍ وشجاعةٍ لمواجهة كلّ قوى الشّرّ والظّلام (راجع ١ يوحنّا ٢: ١٤؛ ٥: ١٨).

الثّمرة الثّانية: تعميق الحياة الإيمانيّة ونموّها من خلال الحياة البنويّة

يصفها يوحنّا كاستيعابٍ لكلمة الله، وكتخصيصٍ لِوَحْيِ يسوع وحقيقته؛ إنّ الحياة الجديدة للمؤمنين كأبناء الله مرتبطةٌ ارتباطًا وثيقًا بالعمل الدّاخليّ لكلمة الله، الّذي يجب على الإنسان أن يتقبّله ويستوعبه؛ **عمليّة الاستيعاب هذه هي بالتّحديد عمل الرّوح القدس**؛ فقط من خلاله، تدخل حقيقة المسيح في قلب المسيحيّين وتحوّلهم. إذًا، إنّ حياة الإيمان، بالنّسبة للإنجيليّ، هي اختيار الحياة الحقيقيّة، والانتقال من العالم السُّفلي إلى العالم العُلويّ: «الحقّ الحقّ أقول لكم: إنّ مَن يسمع كلامي ويؤمن بمَن أرسلني له الحياة الأبديّة، ولا يأتي لدينونةٍ،بل قد انتقل من الموت إلى الحياة» (٥: ٢٤؛ راجع أيضًا ٨: ٢٤)، و «عَمَل الحقّ»، حتّى يُصبح هذا الحقّ جزءًا أساسيًّا من كينونة المسيحيّ وهُويّته الإيمانيّة (١٨: ٣٧). يبقى الإنسان في حياة الإيمان ثابتًا في كلمة يسوع: «إنْ أنتم ثبتُّم على كلامي، تكونون بالحقيقة تلاميذي» (٨: ٣١)، يصير له تلميذًا (١٥: ٨)، يعرف الحقّ: «تعرفون الحقّ، والحقّ يُحرِّركم» (٨: ٣٢) ويسكن في بيت الآب: «والعبدُ لا يَثبت في البيت إلى الأبد، وأمّا الابن فيَثبت إلى الأبد» (٨: ٣٥) مشاركًا في حياة ابن الله (١: ١٢؛ ١ يوحنّا ٥: ١٢).

الثّمرة الثّالثة: المحبّة الأخويّة

جانبٌ إضافيٌّ يُسطِّره الإنجيليّ بقوّةٍ، باعتباره ثمرةً من ثمار الحياة البنويّة، هو «المحبّة الأخويّة»...

> إنّ المسيحيّة هي قَبولٌ لإنسانٍ يُقوِّي إنسانيّة التّلميذ، يجعله يخرج من ذاته ليَصل إلى محبّة مَن هو أخوه؛ وبالتّالي، فإنّ الإيمان المُعاش هو الإيمان الّذي يتفتّح كالبُرعم في المحبّة: إنّه المحبّة عينُها (١ يوحنّا ٣: ١٠؛ ٤: ٧؛ ٥: ١)

لذا، فإنّ محور الأخلاق المسيحيّة، بالنّسبة للإنجيليّ، يتجسّد في المحبّة الأخويّة. إنّها تبني الجماعة في معارضة الكراهيّة المدمِّرة (١٥: ١٨–٢٥)؛ فالمحبّة الأخويّة، الّتي تجد أساسها ونموذجها في محبّة المسيح، تسمح للإنسان بالعبور من الموت إلى الحياة، مانحةً الجميع الفرح والرّجاء،ذلك أنّ الجماعة المسيحيّة الحقيقيّة هي جماعة الإخوة المتّحدين برباط المحبّة، والمقتنعين تمام الاقتناع بأنّ «المحبّة هي من الله» (١ يوحنّا ٤: ٧)، وأنّ ابن الله، يسوع التّاريخيّ، هو الطّريق الأوحد المؤدّي إلى المحبّة: «بهذا أُظهِرَت محبّة الله فينا: أنّ الله أرسل ابنه الوحيد إلى العالم لنحيا به» (١ يوحنّا ٤: ٩).

§ خاتمة

وهكذا، فإنّ العمل اليوحنّاويّ، على ضوء ما قُمنا بتحليله سابقًا، هو رسالةٌ مكتوبةٌ لكلّ جماعةٍ مسيحيّة، في سبيل تحقيق نضوجها في الإيمان بالمسيح من خلال الرّوح القدس. إنّ الرّوحانيّة الّتي أبرزنا معالمها في سياق بحثنا هذا، مبنيّةٌ على شخص المسيح وعلى عمل الرّوح القدس وعلى التّجاوب الإيمانيّ من خلال الاختبار الحياتيّ لأعضاء الجماعة.

لذا، فإنّ كلّ قارئٍ أمام رسالة الإنجيليّ يجب أن يختار بين أمرين لا ثالث لهما: إمّا «الهلاك» أو «الحياة»، ذلك أنّه بالنّسبة للبشريّة الّتي تُشارك في الصّراع بين «الظّلمة» و «النّور»، لا يوجد بديلٌ آخر: **إمّا قَبول «الظّلمة»، وبالتّالي، عيش اختبار الظّلمة الّذي يقود إلى مسيرة التّدمير الذّاتيّ والموت؛ أو الاتّكال على «النّور» الّذي يُشكّل مَعبرًا للدّخول في مسيرة الخلاص الإلهيّ والحياة في يسوع المسيح.**

القسم الثّاني

الإيمان اليوحنّاويّ؛ علاقة اتّحادٍ شخصيٍّ بالمسيح

سيكون من البديهيّ القول إنّ **المحبّة**، بالنّسبة للجزء الأكبر من المسيحيّين، تُشكِّل **الموضوع الأساسيّ للإنجيل الرّابع. في الحقيقة، إنّ الانطباع الّذي يُمكن للإنسان أن يأخذه في هذا الموضوع أنْ يتذكّر الآيات اليوحنّاويّة الّتي تتحدّث عن الوصيّة الجديدة الّتي أعلن يسوع من خلالها التّلمذة الحقيقيّة له، قائلاً:** «**أُعطيكم وصيّةً جديدة: أحبُّوا بعضُكم بعضًا، كما أحببتُكم... إذا أحبّ بعضُكم بعضًا، عَرَفَ الجميع أنّكم تلاميذي**» (**١٣: ٣٤-٣٥**)، أو في المقطع الشّهير لرسالة يوحنّا الأولى القائل: «الله محبّة» (٤: ٨، ١٦). ومع ذلك، فإنّنا نلاحظ أنّ الاسم «محبّة» يَرِد ٧ مرّاتٍ في الإنجيل الرّابع؛ بينما نلحظ أنّ الفعل «أحبّ – ἀγαπάω» يَرِد ٣٦ مرّة. أمّا الفعل «آمن» فيَرِد ٩٨ مرّة في الإنجيل فقط؛ أمّا إذا أردنا أن نضيف الرّسائل اليوحنّاويّة فلسوف نصل إلى ١٠٧ مرّات من أصل ٢٤١ مرّة في كلّ كتابات العهد الجديد.

لذلك بحقٍّ قيل إنّ **الإنجيل الرّابع هو إنجيل الإيمان**. ففي خاتمة الإنجيل، يُعلن الإنجيليّ يوحنّا قائلاً: «وإنّما كُتِبَت هذه **لتؤمنوا** بأنّ يسوع هو المسيح ابن الله، ولتكون لكم إذا **آمنتم** الحياة باسمه» (٢٠: ٣١). ويَرِد الهدف نفسُه في مشهد الجنب المطعون، حين رأى التّلميذ وشهد «لتؤمنوا أنتم أيضًا» (١٩: ٣٥). هذا الهدف الّذي يُعطي للمسيحيّين الإيمان اليقين، يُشار إليه أيضًا في خاتمة رسالة يوحنّا الأولى: «كتبتُ إليكم بهذا لتعلموا أنّ الحياة الأبديّة لكم، أنتُمُ الّذين يؤمنون باسم ابن الله» (٥: ١٣).

يسوع نفسُه، في الإنجيل الرّابع، أصرّ على مركزيّة الإيمان. بعد تكثير الخبز، سأل اليهود يسوع قائلين: «ماذا علينا أن نفعل لنعملَ بأعمال الله؟» (٦: ٢٨).

فكان جواب يسوع: «عمل الله **أن تؤمنوا** بالّذي أرسله» (٦: ٢٩)؛ ويبدو أنّ هذا العمل هو العمل الوحيد الّذي يطلبه منّا الله، أن نقبل ابنه يسوع في الإيمان. على العكس من ذلك، فإنّ رفض النّور؛ الغياب التّام للحقّ، يُعتبَر من قِبَل يسوع الصّفة الأعمق للشّيطان «أبي الكَذِب» (٨: ٤٤)؛ لذلك قال يوحنّا إنّ الخطيئة الأساسيّة تكمن في «**عدم الإيمان أو الشّكّ**» (٩: ٣١-٤١؛ ١٢: ٣٥)؛ فعندما يكون الإنسان منغلقًا على نور المسيح، يحكم بنفسه على نفسه. وفي رسالته الأولى، حين يتكلّم عن خطيئة عدم الإيمان، يستخدم الرّسول يوحنّا هذا التّعبير الرّهيب: «**الخطيئة هي التّعدّي**» (١ يوحنّا ٣: ٤). **وهكذا نُدرك أنّ هذه الخطيئة، عدم الإيمان، رفض المسيح، هي عملٌ شيطانيّ**، على حدّ تعبير الرّسول يوحنّا: «ومَن يعمل الخطيئة فهو من إبليس، لأنّ إبليس يخطأُ منذ البدء. ولهذا ظَهَرَ ابن الله، لينقُضَ أعمال إبليس» (١ يوحنّا ٣: ٨).

فما بين الشّك والتّعدّي يُسلِّط الإنجيليّ يوحنّا الأضواء على الأهمّيّة المركزيّة لموضوع الإيمان، من خلال التّطويبة الوحيدة في الإنجيل الرّابع كلّه، الّتي أعلنها الرّبّ القائم من بين الأموات للجميع عبر توما، التّلميذ المُشَكِّك بالقيامة، قائلاً: «**طوبى للّذين لم يرَوا وآمنوا**» (٢٠: ٢٩).

• المفردات الإيمانيّة اليوحنّاويّة

خلافًا للإزائيّين ولبولس، لا يستعمل يوحنّا أبدًا الاسم المجرَّد «πίστις»، أي «إيمان»، بل يميل دائمًا إلى استعمال الفعل «πιστεύω» الّذي يُعبِّر عن «فعل الإيمان». يُظهر هذا الاستعمال أنّ «الإيمان»، بالنّسبة ليوحنّا، هو **موقفٌ ملموس،**

حيويّ ووجوديّ. كما أنّ للإيمان سِمةً تركيبيّة، بمعنى أنّه ينطوي على الحياة بأكملها: «فآمن هو وأهلُ بيته جميعًا» (٤: ٥٣)؛ «مَن آمن فله الحياة الأبديّة» (٦: ٤٧)...

الفعل اليونانيّ	متّى	مرقس	لوقا	يوحنّا	أعمال	بولس	رسائل كاثوليكيّة [٧]	رؤيا	المجموع
πιστεύω آمن (فعل)	١١	١٤	٩	٩٨	٣٧	٥٦	١٦	--	٢٤١
πίστις إيمان (إسم)	٨	٥	١١	---	١٥	١٧٤	٢٦	٤	٢٤٣
πιστός مُخلِص (صفة)	٥	---	٦	١	٤	٣٨	٥	٨	٦٧

إلاّ أنّ الإنجيليّ يوحنّا غالبًا ما يستعمل الفعل «آمن» بتعابير مختلفة تصف ماهيّة الإيمان بالتّحديد:

- **الصّيغة الأولى** هي «نؤمن أنّ» (Believe that). تتضمّن هذه الصّيغة القبول بعَرْضٍ أو حقيقةٍ تتعلّق بشخصٍ، يكاد يكون دائمًا المسيح (راجع ٢٠: ٣١) الّذي يعتبره يوحنّا موضوع الإيمان المسيحيّ الأساسيّ: «لأنّ كلّ مولودٍ من الله يَغلب العالم، والغَلَبَة الّتي بها غُلِبَ العالم إنّما هي إيمانُنا. مَن ذا الّذي يغلب العالم إلاّ الّذي يؤمن أنّ يسوع هو ابن الله؟» (١ يوحنّا ٥: ٤-٥).

٧) الرّسائل الكاثوليكيّة هي التّالية: رسالة القدّيس يعقوب؛ رسالة بطرس الأولى والثّانية؛ رسالة يوحنّا الأولى، الثّانية والثّالثة؛ رسالة القدّيس يهوذا.

- **الصّيغة الثّانية** تأتي في حالة المفعول به غير المباشر، وتعني: «إعطاء مصداقيّة لكلام شخصٍ ما». تظهر هذه الحالة، على سبيل المثال، في السّؤال الّذي طرحه اليهود بعد معجزة الخبز: «فأيُّ آيةٍ تأتينا بها أنت فنراها ونؤمن بك؟» (٦: ٣٠).

- **الصّيغة الثّالثة** هي الأكثر استعمالاً في الكتابات اليوحنّاويّة، بحيث يأتي الفعل «آمن» مصحوبًا بحرف الجرّ «εἰς»، أي «في، بـ». ففي اللّغة اليوحنّاويّة، يُشير هذا الحرف إلى «**حركةٍ حقيقيّة» تقود الإنسان إلى عيش ديناميكيّةٍ إيمانيّةٍ عميقة، الحركة الّتي تقود إلى المسيح وإلى الآب**. لنرى مثالَين مأخوذين من بداية حياة يسوع العلنيّة ونهايتها: (١) فبعد المعجزة الّتي فعلها يسوع في قانا الجليل (تحويل الماء إلى خمر)، قال يوحنّا: «فآمن به تلاميذه» (٢: ١١)؛ (٢) وقبل الآلام بقليل، لخَّص يسوع رسالته بهذا الهُتاف: «مَن آمن بي فليس بي يؤمن، بل بالّذي أرسلني» (١٢: ٤٤). إنّ طريقة الإيمان هذه لا تتضمّن بعد الآن قبولاً لعقيدةٍ ما فحسب، بل هي **اتّحادٌ شخصيٌّ بالمسيح، ومن خلال المسيح، بالله الآب**.

- **الصّيغة الرّابعة** تكمن في أنّ الإنجيليّ يوحنّا يستخدم التّعبير السّابق بطريقةٍ أكثر وضوحًا: «الإيمان باسم ابن الله الوحيد» (راجع ٣: ١٨؛ ١ يوحنّا ٥: ١٣). يُنشئ هذا التّعبير التزامًا تامًّا بالمسيح؛ لذلك، لا نعجب من أنّ يوحنّا قد أدخله بطريقةٍ رسميّةٍ في مقدّمة إنجيله: «أمّا الّذين قبلوه، أولئك الّذين يؤمنون باسمه، فقد آتاهم أن يصيروا أبناء الله: فهُمُ الّذين لا من دمٍ، ولا من رغبة لحمٍ، ولا من رغبة رجل، بل من الله وُلِدوا» (١: ١٢-١٣).

يُميِّز الإنجيليّ يوحنّا هنا ثلاث مراحل تتعلّق **بمسيرة الإيمان في الحياة المسيحيّة**:

- تكون البداية بتقبُّل الكلمة الّذي صار بشرًا بالإيمان؛
- الإيمان باسمه، ومن خلال هذا الإيمان يتقبّل الإنسان القدرة على الدّخول في حياة الأبناء؛
- لذا يُصبح الإنسان حقًّا ابنًا لله.

١) الدّخول في حياة الإيمان

إنّ الإيمان، بالنّسبة للإنجيليّ يوحنّا، هو **لقاءٌ مع المسيح، قبولٌ لابن الله الآتي إلينا ككاشفٍ للآب**. وهكذا يرتبط ارتباطًا وثيقًا بموضوعَين أساسيَّين في اللّاهوت اليوحنّاويّ هما: سرّ التّجسُّد الإلهيّ ووحي الله الآب من خلال ابنه يسوع المسيح؛ هذا ما نقرأه في خاتمة المقدّمة: «لأنّ الشّريعة أُعطيت عن يد موسى، وأمّا النّعمة والحقّ (يُشكّلان معًا العطيّة المثاليّة للوحي) فقد أتيا عن يد يسوع المسيح. إنّ الله ما رآه أحدٌ قطّ، الابن الوحيد الّذي في حضن الآب هو الّذي أخبر عنه» (١: ١٧-١٨).

بالمقارنة مع حقيقة المسيح، ينقسم البشر إلى حقلَين:

- **الأوّل**، يُشير إلى أولئك الّذين لم يؤمنوا به إنْ كانوا من العالم أو من اليهود: «كان في العالم، والعالم به كان، والعالم لم يعرفْه. جاء إلى بيته، وأهل بيته ما قبلوه» (١: ١٠-١١).

- **الثّاني**، يُشير إلى أولئك الّذين قبلوه وآمنوا باسمه: «أمّا الّذين قبلوه، أولئك الّذين يؤمنون باسمه» (١: ١٢).

بناءً على هاتين الحالتين المذكورتين في الآيات اليوحنّاويّة أعلاه،الإيمان واللّا إيمان، يُعطي الإنجيليّ يوحنّا وصفًا كلاسيكيًّا (تقليديًّا) في نهاية حوار يسوع مع نيقوديمس:

«وأمّا الدّينونة فهي أنّ النّور جاء إلى العالم وأنّ النّاس آثروا[٨] **الظّلمة على النّور لأنّ أعمالهم كانت سيّئة. ذلك بأنّ مَن يعمل السُّوء يُبغض النّور، ولا يأتي البتّة إلى النّور لئلاّ تفتضح أعماله. وأمّا الّذي يعمل في الحقّ فإنّه يُقبل إلى النّور لتظهر أعماله، لأنّها في الله قد عُمِلَت»** (**٣: ١٩-٢١**).

لذا، فالمطلوب من الإنسان حين يلتقي المسيح أن يكون **منفتحًا** على نور المسيح وحقيقته. بتعابير أخرى، **ألاّ يُغلق الإنسان قلبَه أمام الحقيقة**؛ فالعمل الرّئيس الّذي يُريده الله من الإنسان هو **عمل الإيمان**: «**عمل الله أن تؤمنوا بالّذي أرسله**» (٦: ٢٩)؛ وهذا ما يدعوه الإنجيليّ يوحنّا «عمل الحقّ»، الّذي يتضمّن الخطوة الأولى نحو **الإيمان المنفتح على المسيح، أي نحو صيرورة الإنسان مسيحيًّا.**

---

٨) يستعمل النّصّ اليونانيّ فعل ἀγαπάω – أحبُّوا، ممّا يُذكّرنا حالاً بما جاء في نهاية الفصل الأوّل من سفر الحكمة: «لكنّ الكافرين دعَوا مثوى الأموات بأيديهم وأقوالهم، عدُّوه صديقًا فاضمحلُّوا ثمّ عاهدوه، لأنّهم أهلٌ لأن يكونوا من حزبه»؛ ١: ١٦.

عمليًّا، ماذا ينبغي أن يفعل الإنسان ليدخل في حياة الإيمان هذه؟ بالنّسبة لإنجيل يوحنّا، فإنّ موقفين أساسيَّين مطلوبان في هذه الحالة هما: **(١) الإصغاء إلى كلام يسوع الّذي هو كلام الله؛ (٢) رؤية أعمال يسوع، التّدقيق في آياته والتّأمُّل في شخصه.**

١. الإصغاء

يَرِدُ الفعل «يسمع – ἀκούειν» ٥٨ مرّةً في الإنجيل الرّابع. وهو يُشكِّل جزءًا من المفردات اليوحنّاويّة الخاصّة بالوحي: فيسوع، في ٢٢ استعمالاً، يكون هو نفسُه موضوع الفعل أو كلامه، بينما يكون الآب وصوته موضوع الفعل في ٤ استعمالات. **إلاّ أنّ «السّمع الطّبيعيّ» يجب أن يتحوّل إلى «إصغاءٍ حقيقيّ»**، مع كلّ ما ينطوي على **استعداد العقل والانفتاح الدّاخليّ القلبيّ**، ذلك أنّ سماع كلام يسوع وصوت الآب يجب أن يخترقا القلب ويتردّد صداهما فيه، بحيث ينفتح القلب بصمتٍ أمام الله.

إنّ أهميّة **الإصغاء الإيمانيّ** إلى كلام يسوع يظهر بوضوحٍ في مشهد السّامريّة. عندما عادت المرأة السّامريّة إلى المدينة، كثيرون من السّامريّين آمنوا بيسوع، من أجل **كلام المرأة** (٤: ٣٩)؛ وبعد مكوث يسوعَ نفسِه يومين عند السّامريّين، «آمن منهم عددٌ أكبر كثيرًا عن **كلامه** وقالوا للمرأة: لا نؤمن الآن عن قولك، فقد سمعناه نحن وعلمنا أنّه مخلّص العالم حقًّا» (٤: ٤١-٤٢).

نلاحظ أنّ ذات العلاقة الوثيقة بين «الإصغاء» و«الإيمان» موجودةٌ في جواب يسوع لليهود في أورشليم: «الحقّ الحقّ أقول لكم: إنّ مَن **يسمع كلامي ويؤمن**

بالّذي أرسلَني فله الحياة الأبديّة» (٥: ٢٤). يُمكننا أن نلاحظ، في هذه الآية اليوحنّاويّة، الانتقال من المرحلة السّمعيّة «السّمع» إلى المرحلة التّطبيقيّة «الإيمان» الحيّ بيسوع وبالله الآب الّذي أرسلَه. ومن الواضح أنّ السّمع الخارجيّ لا يكفي أبدًا، لأنّ سماع كلام يسوع بدون الرّوح القدس الّذي يخترق قلب الإنسان، قد يخلق شكًّا إيمانيًّا عند ذاك الإنسان، كما حدث بعد خطاب يسوع عن خبز الحياة: «فقال كثيرٌ من تلاميذه لمّا سمعوه: هذا كلامٌ عسير، مَن يُطيق سماعه؟» (٦: ٦٠). فيُوضِّح يسوع قائلاً: «إنّ الرّوح هو الّذي يُحيي... والكلام الّذي كلَّمتُكم به روحٌ وحياة، ولكنّ فيكم مَن لا يؤمنون» (٦: ٦٣-٦٤).

من هنا نؤكّد أنّ الإيمان ممكنٌ فقط للإنسان الّذي يقبل الرّوح القدس الحاضر في كلام يسوع. وهكذا، فإنّ كلام يسوع لن يبقى كلامًا بحتًا بشريًّا، إذ إنّه من الضّروريّ على التّلميذ أن يسمع يسوع، «فكلّ مَن سَمِعَ للآب وتعلّم منه أقبل إليّ» (٦: ٤٥)، فيقتبل، من خلال كلام يسوع، وحيَ الله الآب. في هذه الحالة فقط يستطيع الإنسان أن يأتيَ إلى يسوع ويؤمن به.

إنّ ضرورة الإصغاء إلى المسيح مُشارٌ إليها في مقطع الرّاعي الصّالح (أو «المسيح الرّاعي»)، حين يصف النّصّ اليوحنّاويّ القطيع المسيحانيّ، يقول: «والخراف إلى صوته تُصغي» (١٠: ٣، ١٦).

٢. المشاهدة والتّأمّل

بالإضافة إلى سماع الكلمة، لا بدّ أيضًا من **فتح الأعين**: **المشاهدة بالأعين الجسديّة «البصر» وبأعين القلب «البصيرة» أيضًا**، إذ إنّ الإنجيليّ يوحنّا

هو **تأمُّليٌّ** بامتياز؛ فغنى مفرداته وتنوُّعها الّتي تصف فعل «الرّؤية» يُشير بوضوحٍ إلى الأهميّة الكبرى الّتي يوليها الإنجيليّ لهذا الفعل. ففي مقدّمة إنجيله، في آية التّجسّد الشّهيرة، يكتب الإنجيليّ يوحنّا، الّذي يمثّل هنا كلّ جماعة الشّاهدين الأوّلين، قائلاً: «وقد **رأينا** مجده، مجدًا من لدن الآب لابنٍ وحيد» (١: ١٤).

يستعمل الإنجيليّ يوحنّا أربعة أفعالٍ مختلفةٍ كي يصف مسيرة «الرّؤية» الّتي تقود إلى الإيمان الحقيقيّ:

أ. «**الملاحظة** – βλέπω»، وتُشكّل **الفعل الطّبيعيّ** لرؤية شخصٍ ما.

ب. الفعل الثّاني مُشارٌ إليه بالفعل ϑεωρειν الّذي يعني: «**الرّؤية بعناية**». مرّاتٍ مختلفة، يخدم لوصف الرّؤية الدّقيقة «الثّاقبة» للتّلميذ الّذي هو بالفعل على بيّنةٍ من سرّ يسوع: «بعد قليلٍ لن يراني العالم. أمّا أنتم فستروننَي لأنّي حيٌّ ولأنّكم أنتم أيضًا ستحيَون» (١٤: ١٩). يعني هذا الكلام أنّ التّلاميذ بعد قيامة الرّبّ يسوع من بين الأموات سيكتشفون أنّه حيٌّ، وهذا سيجعلهم يكتشفون حياته الإلهيّة، وسيعلمون، بالتّالي، أنّه في أبيه السّماويّ (راجع ١٤: ٢٠).

ت. الفعل الرّؤيويّ الثّالث هو ϑεάομαι ويتضمّن «**النّظرة التّأمُّليّة**»، وقد ورد في آية التّجسّد في مقدّمة الإنجيل الرّابع (١: ١٤)، وتناوله أيضًا الإنجيليّ يوحنّا في مقدّمة رسالته الأولى: فالتّلاميذ قد تأمّلوا الكلمة الّذي صار بشرًا وبالتّالي، أصبحوا قادرين على أن يرَوا في يسوع الابنَ الوحيدَ للآب:

«ذاك الّذي كان منذ البدء، ذاك الّذي سمعناه، ذاك الّذي رأيناه بعيوننا، ذاك الّذي **تأمّلناه**، ولمسته أيادينا، من كلمة الحياة» (١ يوحنّا ١: ١).

ث. أمّا الفعل الرّؤيويّ اليوحنّاويّ الرّابع فهو «ὁράω»: إنّه يشير إلى **النّضوج الكامل لرؤية الإيمان**، أي إلى **التّحوُّل الجذريّ من رؤيةٍ خارجيّةٍ إلى الصّورة الدّاخليّة «التّأمّل القلبيّ»، ومن رؤيةٍ جسديّةٍ إلى التّأمّل الرّوحيّ، إلى النّظرة الإيمانيّة**. في العشاء الأخير، يقول يسوع لفيلبّس: «مَن رآني فقد رأى الآب» (١٤: ٩)؛ نلاحظ أنّ الفعل «رأى» يُقرأ مرّتين، ولكن باتّجاهين مختلفين: «**مَن رآني**»، **عبارةٌ تتضمّن مرحلتين للرّؤية: رؤيةٌ خارجيّةٌ للإنسان يسوع، وأخرى إيمانيّةٌ وروحيّةٌ للمسيح ابن الله؛ بينما تنطوي العبارة «رأى الآب» على المعنى الدّاخليّ والرّوحيّ فقط**. أمّا رؤية يسوع فكانت وتبقى وستبقى الوساطة الأساسيّة، إذ إنّ يسوع هو الطّريق الحقيقيّ إلى الآب (راجع ١٤: ٦).

هناك مثالٌ ملفتٌ للانتباه في المقطع الّذي يتكلّم عن يوحنّا المعمدان في الأردن (١: ٢٩–٣٤)، وفيه استعمالٌ للأفعال اليوحنّاويّة الأربعة الّتي ذكرناها آنفًا:

- في بداية المقطع، نلاحظ أنّ الفعل المستعمَل يدلّ على **الرّؤية العاديّة**: «وفي الغد **رأى** – βλέπει يسوعَ آتيًا نحوه» (١: ٢٩).

- بينما نلحظ أنّ الآية ٣٢ تتضمّن **الاختبار الفريد الّذي حدث لحظة معموديّة يسوع**، ولوصفه قام الإنجيليّ يوحنّا باستعمال الفعل τεθέαμαι: «رأيتُ الرّوح ينزل من السّماء كأنّه حمامةٌ فيستقرّ عليه».

• وفي الآية ٣٤، يصل يوحنّا المعمدان إلى قمّة الرّؤية الرّوحيّة حين أعلن قائلاً: «وأنا رأيتُ – ἑώρακα وشهدتُ أنّه هو ابن الله».

فمن الرّؤية الخارجيّة لرمزيّة الحمامة، عَبرَ المعمدان إلى الحقيقة المتمثِّلة في الرّوح الّذي استقرّ على يسوع، وكأنّي بالمعمدان يرى مجد السَّيِّد السّاكن في خيمة الموعد ويتأمّله (عدد ١٤: ١٠)؛ وهكذا، فإنّ يوحنّا المعمدان الّذي لم يكن يعرف يسوع في أوّل الأمر، يعترف الآن في الإيمان بأنّه المسيح ابن الله؛ ومن الآن فصاعدًا، يرى المعمدان أنّ رسالته تكمن في إظهار يسوع لإسرائيل (١: ٣١). لذا فإنّه ينبغي على تلاميذ يسوع أجمعين، في كلّ زمانٍ ومكان، أن يقوموا بمثل هذه المسيرة الرّوحيّة الّتي تَعبُر بهم من **الرّؤية إلى الإيمان**، كما حدث مع توما ويسوع القائم من بين الأموات: «لأنّك رأيتني (ἑώρακάς - ὁράω) آمنت، طوبى للّذين لم يرَوا (ἰδόντες - ὁράω) وآمنوا» (٢٠: ٢٩).

٣. الإيمان في الحياة المسيحيّة

لربّما خَطَرَ على بالنا التّفكير بأنّ الطّريقين «الإصغاء والمشاهدة» للدّخول في الإيمان بالمسيح ممكنان فقط للتّلاميذ الّذين عاشوا مع يسوع وعرفوه خلال حياته الأرضيّة، وأنّهما، تاليًا، غير ممكنين بالنّسبة لنا اليوم. إنّ هذا التّفكير خاطئٌ من أساسه، إذ إنّ كلمة الله وصوت يسوع يستمرّان زمانيًّا ومكانيًّا في الجماعة المسيحيّة من خلال الكتب المقدّسة، وبخاصّةٍ الإنجيل المقدّس.

يطلب الإنجيليّ يوحنّا من تلاميذه (أواخر القرن الأوّل للميلاد) الّذين لم يعرفوا يسوع شخصيًّا، الثّبات في الإصغاء بعنايةٍ إلى كلمة الله: «أمّا أنتم فليثبت فيكم

ما سمعتموه منذ البدء. فإنْ ثبُتَ فيكم ما سمعتموه منذ البدء، ثبتُّم أنتم أيضًا في الابن وفي الآب» (١ يوحنّا ٢: ٢٤). علينا أن نستمرّ في الإصغاء إلى الكلمة، وينبغي علينا أيضًا الاستمرار في التّأمّل بالمشاهد الإنجيليّة، وفقًا للتّقليد المسيحيّ، الّذي علّمنا دومًا أن نتأمّل المسيح في أسراره. وهذه هي الپيداغوجيا الّتي تنتهجها الكنيسة المقدّسة في الدّورة اللّيتورجيّة، حين تُعيد كلّ عامٍ مشاهد تاريخ الخلاص، وتجعل المؤمنين يُصغُون بانتظامٍ إلى الإنجيل المقدّس ويتأمّلون في المراحل الأساسيّة لحياة المسيح.

وهنا نختتم هذه النّقطة بكلماتٍ رائعةٍ نَطَقَ بها يومًا القدّيس أمبروسيوس في معرض تعليقه على إنجيل لوقا:

«لا يستطيع المرء أن يرى طبيعة يسوع وجوهره وحقيقته الذّاتيّة بعيون الجسد المائتة، بل بعيون الرّوح السّرمديّة».

لذلك، تُصلّي الكنيسة البيزنطيّة صلاةً استدعائيّةً للرّوح القدس قبل تلاوة الإنجيل المقدّس، يطلب فيها المؤمنون من الرّوح الكلّيّ قدسِهِ أن يفتح عيون أذهانهم ليفهموا تعاليم المسيح الإنجيليّة.

٢) تعميق الإيمان من خلال الفعلين «آمن وعَرَفَ»

١. التّمييز بين الإيمان والمعرفة

ثلاث مرّاتٍ يرد في الكتابات اليوحنّاويّة المركّب «آمن» و «عرف»:

- **النّصّ الأوّل** هو كلمة بطرس الّتي تُعبِّر عن تغَلُّب الرّسل على أزمة الإيمان، بعد خطاب يسوع عن خبز الحياة: «يا ربّ، إلى مَن نذهب وكلام الحياة الأبديّة عندك؟ ونحن **آمنّا وعَرَفنا** أنّك **قدّوس الله**» (٦: ٦٨-٦٩).

- **النّصّ الثّاني** مأخوذٌ من صلاة يسوع الكهنوتيّة، إلاّ أنّ ترتيب الفعلين يأتي بطريقةٍ عكسيّةٍ عن النّصّ الأوّل: «وأنّ الكلام الّذي بلّغتَنيه بلّغتُهم إيّاه، **فقبلوه وعَرَفوا** حقًّا أنّي من لدنك خرجت، **وآمنوا** بأنّك أنت أرسلتني» (١٧: ٨).

- **النّصّ الثّالث** مُقتبسٌ من رسالة القدّيس يوحنّا الأولى، مع التّرتيب عينه الّذي للنّصّ السّابق: «ونحن **عَرَفنا** – المحبّة الّتي يُظهرها الله بيننا **وآمنّا** بها» (٤: ١٦).

نلاحظ من خلال هذه الأمثلة اليوحنّاويّة أنّ الفعلين «آمن» و «عرف» مترادفان ويكمّلان أحدهما الآخر، ذلك أنّ **المعرفة**، بالمفهوم اليوحنّاويّ، هي **اللّحظة الأساسيّة الّتي يُدشَّن فيها الإيمان الحقيقيّ**؛ من هنا، ليس كلّ فعلٍ إيمانيٍّ هو «معرفةٌ حقيقيّة»، لأنّ المعرفة الحقيقيّة تتطلّب تعميقًا، استيعابًا ونُضجًا إيمانيًّا. فلا يُعتبَر الإيمان البدائيّ والسّطحيّ، بالنّسبة للإنجيليّ يوحنّا، معرفةً حقيقيّةً للمسيح ورسالته الخلاصيّة؛ تتحوّل فقط إلى «معرفةٍ حقيقيّةٍ» حين يخترق الإيمان نفس الإنسان وقلبه وحياته كلّها. وإنّه لمن دواعي الضّرورة التّذكير هنا بالمعنى المحدَّد «للمعرفة البيبليّة» (الكتابيّة). إنّها ليست معرفةً مفاهيميّةً وعقليّة.

إنّ للمعرفة، كما يؤكّد ذلك العهد القديم، أهميّةً اختباريّةً ووجوديّة، ذلك أنّ «**معرفة الله» ترقى بالإنسان إلى عيش الوَحدة والشّركة مع الله**. وهذا ينطبق

أيضًا على الإنجيليّ يوحنّا في رسالته الأولى: «معرفة الله» (٢: ٣، ٤؛ ٣: ٦؛ ٤: ٦، ٧)، «معرفة الآب» (٢: ١٤)، و«معرفة المسيح» (٢: ١٣). كلّ هذا يعني أنّ على الإنسان أن يعيش في علاقة شركةٍ مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح: «إنّ ما رأيناه وسمعناه، به نبشّركم أنتم أيضًا، لتكون لكم، أنتم أيضًا، شركةٌ معنا. وشركتنا نحن، إنّما هي مع الآب، ومع يسوع المسيح ابنه» (١ يوحنّا ١: ٣).

نستعرض الآن بعض النّصوص الّتي يُبيِّن من خلالها الإنجيليّ يوحنّا نضج «الإيمان» هذا في «المعرفة». يُجيب يسوع اليهود في أورشليم، الّذين أرادوا رجمه، قائلاً لهم: «... فإنْ لم تؤمنوا بي، فآمنوا بالأعمال، لتعلموا وتُؤمنوا أنّ الآب فيّ وأنا فيه» (١٠: ٣٨). إنّ إيمانًا أوّليًّا بأعمال يسوع وبيسوع نفسه يجب أن تجلب النّاس إلى اكتشاف سرّ الآب وسرّ الابن تدريجيًّا.

من هنا نؤكّد على أنّ **الإيمان المُثابر** بيسوع يُمكّن التّلاميذ من فهم حقيقة أنّ يسوع هو قدّوس الله؛ وحين قال الإنجيليّ يوحنّا في رسالته الأولى: «أيّها الأحبّاء، فليُحبّ بعضُنا بعضًا، لأنّ المحبّة من الله. وكلُّ مُحِبٍّ مولودٌ لله وعارفٌ بالله» (٤: ٧)، كان يرغب في دعوة الجماعة المسيحيّة إلى ممارسة المحبّة الأخويّة لتتمكّن، تاليًا، من أن تكتشف وجوديًّا أنّ الله محبّة، وأن تختبر أنّ هذه المحبّة تأتي من الله؛ وهذا ينطبق على الإيمان أيضًا:

إنّه لمن الضّروريّ أن نُثابر في الإيمان الحيّ في الله - المحبّة، لنصل إلى المعرفة المُختبَرة لحقيقة الله الملموسة في حياتنا.

لذلك، نردّد ما كتبه القدّيس أغسطينس عن التّرابط بين الإيمان والمعرفة، قائلاً: «إذا كنت لا تفهم، آمن! فالإدراك هو ثمرة الإيمان. لذلك لا تبحث عن الفهم لتؤمن، ولكن آمن كي تفهم؛ لأنّك إذا لم تؤمن، لن تفهم».

٢. من الإيمان إلى المعرفة

بيد أنّ ثمّة سؤالٍ يطرح بظلاله علينا: ما هو الطّريق الّذي يجب اتّباعه للوصول إلى هذه «المعرفة» المسيحيّة؟ الجواب على هذا التّساؤل هو **تعميق الإيمان الشّخصيّ**. لقد أشرنا سابقًا إلى أنّ الشّرط الّذي يتوقّف عليه دخول الإنسان في حياة الإيمان يكمن في الإصغاء للكلمة. فالكلمة المسموعة والمُصغَى إليها يجب أن تكون داخليّة، وأن تدخل القلب، وأن تكون مستوعَبةً ومفهومة، ذلك أنّ هذه الكلمة تهدف إلى إحداث تغييرٍ جذريٍّ داخليٍّ وتدريجيٍّ في حالة الإنسان الإيمانيّة، بحيث يُصبح «**إنسانًا روحيًّا يحكم في كلّ شيء**» على حدّ تعبير القدّيس بولس (١ كورنثس ٢: ١٥).

إنّ هذه الرّوحانيّة الدّاخليّة (والقلبيّة) لكلمة الله قد سبق النّبيّ إرميا وأعلنها كميزةٍ أساسيّةٍ للعهد الجديد: الشّريعة الّتي لم تعُد مكتوبةً على ألواحٍ حجريّة، بل مكتوبةً على القلب:

> «ها إنّها تأتي أيّام، يقول الرّبّ، أقطع فيها مع بيت إسرائيل (وبيت يهوذا) عهدًا جديدًا، لا كالعهد الّذي قَطَعتُه مع آبائهم، يوم أخذتُ بأيديهم لأُخرجهم من أرض مصر لأنّهم نقضوا عهدي مع أنّي كنتُ سيّدهم، يقول الرّبّ. ولكنّ هذا العهد الّذي أقطعه مع بيت إسرائيل بعد تلك الأيّام، يقول الرّبّ، **هو أن أجعل شريعتي في داخلهم وأكتبها على قلوبهم، وأكون لهم إلهًا وهم يكونون لي شعبًا**» (٣١: ٣١-٣٣).

ليُصبح الإنسان تلميذًا حقًّا ليسوع، ينبغي عليه أن يثبت في كلمته: «فقال يسوع لليهود الّذين آمنوا به: إن ثبتُّم في كلامي، كنتم تلاميذي حقًّا» (٨: ٣١). وفي العشاء الأخير، أصرّ يسوع من جديد: «إذا ثبتُّم فيّ وثبَتَ كلامي فيكم، فاسألوا ما شئتم يكُن لكم» (١٥: ٧)؛ هذه هي الطّريقة الوحيدة الّتي تجعل الإنسان يحمل ثمارًا كثيرةً ويُصبح، بالتّالي، تلميذًا ليسوع: «بهذا يتمجّد أبي: أن تأتُوا بثمرٍ كثيرٍ فتكونوا تلاميذي» (١٥: ٨).

لقد وصف الإنجيليّ يوحنّا هذه الكلمة المستوعَبَة الّتي تُعطينا «المعرفة» باستعماله استعارتين شهيرتين هما: **الماء الحيّ ومسحة الزّيت**. ففي الحوار مع المرأة السّامريّة، لا يُشير الماء الحيّ إلى **الرّوح القدس** فحسب، بل إنّه أيضًا **كلام يسوع الّذي يتضمّن الحقّ، وكشفه الذّاتيّ**: «أنا هو، أنا الّذي يُكلِّمُك» (٤: ٢٦)؛ ولكنّ هذا الماء يجب أن يكون «مشروبًا» (٤: ١٤)، أي، أن يدخل هذا الماء في قلوبنا وأعماقنا بفعل الرّوح القدس، وبالتّالي، يُصبح الإنسان **كيانًا متّحدًا** مع الرّوح القدس: **هذه هي صيرورة الإنسان روحيًّا** (راجع ١ كورنثس ٢: ١٥). وهكذا، **فإنّ الماء الحيّ هو تعليمٌ روحيٌّ يروي نفوس أولئك الّذين يسمعون كلمة الله من خلال يسوع المسيح**، كما يقول القدّيس باسيليوس الكبير.

في رسالته الأولى، يستخدم الإنجيليّ يوحنّا استعارةً أخرى هي **المَسحة** (χρῖσμα) الّتي تأتي من المسيح، وهي تُشير إلى رسالة الإنجيل الّتي يجب أن تبقى ثابتةً فينا (راجع ١ يوحنّا ٢: ٢٤): «أمّا أنتم فلكم **مسحةٌ** من القدّوس (أي المسيح: «أنت هو قدّوس الله – σὺ εἶ ὁ ἅγιος τοῦ Θεοῦ»؛ يوحنّا ٦: ٦٩) وتعلمون كلّ شيء» (١يوحنّا ٢: ٢٠)؛ وأيضًا: «أمّا أنتم فالمسحة الّتي نلتموها منه

ثابتةٌ فيكم، ولا حاجة لكم أن يُعلِّمكم أحد. ولمّا كانت مسحتُه تتناول في تعليمها كلّ شيء وهي حقٌّ لا باطل، فكما علَّمَتْكم اثبتوا فيه» (١ يوحنّا ٢: ٢٧).

من هنا نؤكّد ما قاله **القدّيس إكليمنضس الإسكندريّ** إنّ المسحة هي «مَرهم الإيمان»؛ إنّها، بحسب **أوريجانس**، سُكنى الرّوح القدس الّذي يُعطينا «معرفة الحقّ». **فالمسحة**، إذًا، هي **المعرفة الّتي تأتي من الإيمان: إنّها العطيّة الرّوحيّة للمعرفة**، ذلك أنّ المسيحيّ الحقيقيّ هو الّذي يسمح لبقاء كلمة الله حيّةً فيه، وهو الّذي يملك، تاليًا، المِسحة الّتي تُعلِّمه كلّ شيء، لأنّه يتلقّى داخليًّا تعليم كلمة الله، الّذي يسدّ جوعه ويروي ظمأه؛ بتعابير أخرى، إنّ هذا التّعليم هو الّذي يمنح الإنسان الحياة الحقيقيّة.

تجعل كلّ هذه النّصوص اليوحنّاويّة والآبائيّة واقع الحياة المسيحيّة مثاليًّا، وكأنّها تجهل، بالتّالي، نقاط الضُّعف البشريّ والتّردُّد (الحَيرة، الشّكّ) المحتوم الّذي يتعذّر اجتنابُه في مسيرتنا اليوميّة؛ ولكن، إنّ هذه النّصوص هي بالنّسبة لنا نورٌ يُضيء الطّريق الّذي يجب أن نتّبعه لنُحقِّق في ذواتنا «إنسان الإيمان». ساعتئذٍ، تُصبح نفوس المؤمنين مُشعّةً كالشّمس بنور الحقيقة السّاطع الضّياء، النّور الإلهيّ الّذي ظلَّل ناسوت المسيح عند لحظة التّجلّي على جبل ثابور: إنّ «إنسان الإيمان» هو الإنسان المتجلّي، الإنسان الّذي يلتحف المجد غير المخلوق، المجد الإلهيّ.

لذا، فإنّ المؤمن الّذي يعيش إيمانه هكذا بشكلٍ مكثَّف، والّذي يملك «معرفةً» شخصيّةً للمسيح والأسرار، يكون قدِ اكتسب فعلاً «معنًى مسيحيًّا» في الحياة، وهو نوعٌ من الموهبة الفائقة الطّبيعة، الّتي تُعطيه القدرة على أن يرى

ويحكم في كلّ شيءٍ من خلال نور المسيح: «كان النّور الحقيقيّ، الّذي يُنير كلّ إنسانٍ، آتيًا إلى العالم» (١: ٩)؛ وأيضًا: «أنا نور العالم: مَن يتبعني فلا يمشي في الظّلمة بل يكون له نور الحياة» (٨: ١٢).

٣) الإيمان النّاضج والمحبّة المسيحيّة

لقد أشرنا سابقًا إلى أنّ إنجيل يوحنّا هو إنجيل الإيمان بامتياز، وهو، في الوقت عينه، إنجيل الحبّ، إذ إنّ المحبّة الحقيقيّة، بالنّسبة للإنجيليّ الحبيب، تولد من الإيمان، الّذي ما هو إلاّ استمراريّةٌ لحبّ الله لنا؛ إنّه، أي الإيمان، الوحي والظّهور الملموس والوجوديّ لمحبّة الله الآب للبشريّة كلّها. هذه هي الخطوط العريضة الّتي سنكتشفها في دراستنا للنّقاط التّالية:

١. إكتشاف محبّة الله

إنّ النّصّ الأساسيّ الّذي يُظهر أنّ على الإيمان أن يتطوّر ليصلَ إلى معرفةٍ حقيقيّةٍ هو نصّ الرّسالة الأولى للإنجيليّ الحبيب، الّذي يُبيِّن أنّ موضوع الإيمان والمعرفة هو **محبّة الله لنا:** «ونحن **عَرَفنا المحبّة** الّتي يُظهرها الله بيننا **وآمنّا بها**. الله محبّة، فمَن أقام في المحبّة أقام في الله وأقام الله فيه» (١ يوحنّا ٤: ١٦).

هذا هو الموضوع الجوهريّ «لمعرفتنا» المسيحيّة، إذ إنّه ينطوي، تحديدًا، على الوحي المسيحيّ المتعلّق بطبيعة الله. فالله، قبل كلّ شيءٍ، ليس كما يدّعي الفلاسفة، بأنّه المسبّب الأوّل (أو المحرّك الأوّل) لكلّ الأشياء، بل إنّه خالق الكون والكلّيُّ القدرة. لم يخطر على بال كبار الفلاسفة وأعظمهم فكرًا ومنطقً ابأنّ الله محبّة،

وقد أحبّنا حبًّا شديدًا وما زال يُحبّنا كما نحن، بضُعفنا ومحدوديّتنا وخطيئتنا وأنانيّتنا... إنّه لا يريد ولا يطلب إلاّ خيرنا وسعادتنا؛ فالله لم يكن أبدًا أسير الانغلاق الأنانيّ على نفسه، ولم يكن، تاليًا، قابعًا في علياء سماواته متعاليًا ومتساميًا، لكنّه أراد أن يُشاركنا حياتنا وطبيعتنا بآلامها وضُعفها، فصار إنسانًا خاضعًا مثلنا لكلّ شيءٍ ما خلا الخطيئة، على حدّ تعبير القدّيس بولس (راجع عبرانيّين ٤: ١٥).

من هنا نستشهد بما قاله **القدّيس أغناطيوس الأنطاكيّ** بهذا الصّدد: «إنّ خروج ابن الله من الصّمت الأبديّ للجلالة الإلهيّة، ودخوله في ضَوضاء هذا العالم، ومكوثه في ما بيننا، كلّها إشاراتٌ تُسلِّط الأضواء على محبّته لنا؛ وهذا، بالتّحديد، ما أعلنه الإنجيليّ يوحنّا في رسالته الأولى حين قال: «لأنّه أحبّنا قبل أن نُحبّه» (٤: ١٩)».

ولكن، كيف تتجلّى هذه المحبّة؟ تأتي الإجابة عن هذا التّساؤل من الإنجيليّ يوحنّا نفسه الّذي قال في إنجيله المقدّس: «فإنّه هكذا أحبّ الله العالم حتّى بذل ابنه الوحيد، لكي لا يهلك كلّ مَن يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبديّة» (٣: ١٦)، وقد بلغ هذا الحبّ الإلهيّ لنا ذروته عند **الصّليب**: «بهذا قد عرفنا المحبّة: أنّ ذاك قد بذل نفسه لأجلنا» (١ يوحنّا ٣: ١٦). من هنا نقول إنّ موضع الجمجمة، الّذي «يُقال له بالعبريّة جُلجُثة» (يوحنّا ١٩: ١٧) يُمثّل **السّفارة الإلهيّة على الأرض**؛ فمَن يرغب في الحصول على تأشيرة دخولٍ إلى ملكوت الله، عليه أن يذهب إلى ذاك المكان الّذي أصبح نهرًا متدفّقًا بالحياة الوافرة الخارجة من جنب المصلوب (الدّم والماء = الإفخارستيّا والمعموديّة)،

ويجلس عند أقدام المصلوب، يُصغي إلى كلامه الّذي هو «روحٌ وحياة» (يوحنّا ٦: ٦٣)، ليكون، بالتّالي، عضوًا حقيقيًّا من أعضاء شعب الله الجديد المؤسَّس عند الصّليب (مريم أمّ يسوع، التّلميذ الحبيب والمريمات القدّيسات).

الإيمان يجعلنا نكتشف بُعدًا آخَرَ من أبعاد الحبّ الإلهيّ: **بُعد الشّركة والحبّ المتبادل بين الآب والابن**. إليك النّصوص اليوحنّاويّة الأساسيّة الّتي تتكلّم عن هذه العلاقة:

- «إنّ الآب يُحِبّ الابن، فجعل كلّ شيءٍ في يده» (٣: ٣٥)؛
- «لأنّ الآب يُحِبّ الابن ويُريه جميع ما يفعل» (٥: ٢٠)؛
- «إنّ الآب يُحبُّني، لأنّي أبذِلُ نفسي لأنالها ثانية» (١٠: ١٧)؛
- «كما أحبّني الآب، فكذلك أحببتُكم أنا أيضًا، أُثبتوا في محبّتي» (١٥: ٩).

وهكذا نؤكّد ونُشدِّد على أنّ «**الإيمان الحقيقيّ**» هو الإيمان الّذي يجب أن نُعبِّر عنه في «**المحبّة**» فقط. وهذا ما نرغب بإظهاره في تأمُّلنا التّالي والأخير حول الإيمان.

٢. الإيمان، الحياة البنويّة والمحبّة الأخويّة

فما هي، بالتّالي، ثمار الإيمان الحقيقيّ بالنّسبة للحياة المسيحيّة؟ نستطيع أن نختصر الإجابة بعبارتين أساسيّتين: حياة أبناء الله، وحياة المحبّة الأخويّة.

في مقدّمة الإنجيل، يَظهر التّعميق التّدريجيّ للحياة البنويّة كهدفٍ ينبغي أن يتحقّق في حياتنا الإيمانيّة: «وأمّا كلُّ الّذين قَبِلوه فأعطاهم سلطانًا أن يصيروا

أبناء الله، وهُمُ الّذين يؤمنون باسمه» (١: ١٢). لقد كشف لنا الله الآب بنوّة يسوع المسيح الإلهيّة، بحيث يتسنّى لنا نحن أيضًا، على مثاله وفيه، أن نحيا «كأبناء الله». يقول الإنجيليّ الحبيب شيئًا مشابهًا في رسالته الأولى: «الّذي رأَيناه وسمعناه نُخبركم به، لكي يكون لكم أيضًا شركةٌ معنا. وأمّا شركتنا نحن فهي مع الآب ومع ابنه يسوع المسيح» (١ يوحنّا ١: ٣).

هذا هو بالتّحديد معنى حضور المسيح في الجماعة المسيحيّة. في العشاء الأخير، وَعَدَ يسوع تلاميذه قائلاً: «لن أدعكم يتامى، فإنّي أرجع إليكم» (١٤: ١٨)؛ هذا الحضور السّرّيّ للمسيح في الرّوح، يُشير إلى أنّ أيّ إنسانٍ يدخل في علاقةِ حبٍّ شخصيّةٍ مع المسيح، فإنّه سيتجلّى، بلا محالةٍ، في حياة ذاك الإنسان البنويّة: «بعد قليلٍ لن يراني العالم، أمّا أنتم فسترونني لأنّي حيٌّ ولأنّكم أنتم أيضًا ستحيَون. إنّكم في ذلك اليوم تعرفون أنّي في أبي وأنّكم فيّ وأنّي فيكم... الّذي يُحبّني يُحبّه أبي، وأنا أيضًا أحبّه، وأُظهر له ذاتي» (١٤: ١٩-٢١). إذا أحبّ إنسانٌ يسوع وحَفِظَ وصيّته ومبدأه (أي المحبّة)، يقول يسوع: «سيُحبُّه أبي، وسنأتي إليه فنجعل لنا عنده مُقامًا» (١٤: ٢٣).

إنّ حضور الآب والابن هذا فينا سيكون منبع حياتنا المسيحيّة، وشركتنا الكنسيّة، ومحبّتنا الأخويّة كأبناء لله

لذلك نجد في السّياق عينه الآية الشّهيرة عن المحبّة الأخويّة، والّتي سنختم بها: «إنّي أُعطيكم وصيّةً جديدة أن يُحِبّ بعضُكم بعضًا، وأن يكون حبُّكم بعضُكم

لبعضٍ كما أحببتكم أنا. بهذا يعرف الجميع أنّكم تلاميذي إذا أحبّ بعضُكم بعضًا» (١٣: ٣٤-٣٥).

خلاصة

• تعليقاتٌ استهلاليّةٌ على المفردات اليونانيّة

- على النّقيض من الإزائيّين وبولس، لا يستخدم الإنجيل الرّابع الاسم (πίστις – إيمان) بل **فقط الفعل** (πιστεύω – آمن).

- الإيمان اليوحنّاويّ هو **فعلٌ** يقوم به الإنسان وليس مجرّد موضوعٍ أو شيءٍ يُمكن للإنسان أن يمتلكه.

- يتضمّن هذا الإيمان **علاقةً شخصيّةً بين يسوع والمؤمن**.

- **المفردات المرادفات** (هي ما يُطابق غيرها في المعنى من الألفاظ) للإيمان في الإنجيل الرّابع تتضمّن المفردات التّالية: «المعرفة»، «الرّؤية»، «التّقبُّل»، «المجيء إلى»، «القبول»، «الثّبات»، «المكوث»...

- **المفردات الأضداد** (هي المفردات الدّالة على معنيَين متباينَين) للإيمان تتضمّن المفردات التّالية: «عدم الإيمان»، «عدم التّقبُّل»، «الرّفض»، «الانكار»، «الابتعاد»، «عدم الثّبات»...

• ردود الفعل المُحتمَلة على وحي يسوع

- أولئك الّذين يسمعون كلام يسوع / أو يرَون آياته، **يرفضون أن يؤمنوا به**: «العالم»؛ «رؤساء الكهنة»؛ الجزء الأكبر من «اليهود» والفرّيسيّين (١٢: ٣٧)؛ حتّى «إخوة يسوع» (٧: ٥).

- أولئك الّذين يسمعون كلام يسوع / أو يرَون آياته، يبدأون مسيرةً إيمانيّة، إلاّ أنّ نقصًا في إدراك هُويّة يسوع يُسيطر على المشهد: «بعض الجموع» (٦: ٣٦)؛ بعضٌ من «التّلاميذ» الأوائل (٦: ٦٤)؛ بعضٌ من «اليهود» (٨: ٣١؛ ١١: ٤٥؛ ١٢: ١١).

- أولئك الّذين يؤمنون بيسوع، إلاّ أنّهم يخافون أن يعترفوا بهذا الإيمان علنًا: «نيقوديمس» (٣: ١-١٠)؛ بعضٌ من «اليهود» (١٢: ٤٢)؛ والدا المولود أعمى (٩: ١٨-٢٣).

- أولئك الّذين يلتقون يسوع، فيؤمنون به، فيُصبحوا تلاميذًا له: المجموعة الأساسيّة من التّلاميذ (١: ٥٠)؛ السّامريّون (٤: ٤١-٤٢)؛ الإنسان المولود أعمى (٩: ٣٥-٣٨)؛ توما (٢٠: ٢٤-٢٩).

- أولئك الّذين يؤمنون دون أن يرَوا آياتٍ، مستندين بذلك إلى سماعهم كلام يسوع أو شهادةٍ أخرى: المسؤول الملكيّ في كفرناحوم (٤: ٥٣)؛ مرتا (آمنت قبل أن يُقيم يسوع أخاها لعازر، ١١: ٢٧)؛ المؤمنون اللّاحقون وصولاً إلى يومنا الحاليّ (راجع حادثة توما، ٢٠: ١٩-٢٩، وأوّل خاتمةٍ للإنجيل: ٢٠: ٣٠-٣١).

• نتائج الإيمان بيسوع

- يصير «ابنًا لله» (١: ١٢)، و«ابنًا للنّور» (١٢: ٣٦)، بحيث «لا يمكث في الظّلام» (١٢: ٤٦).

- «لا يهلك» (٣: ١٦)، بل ينال «الحياة الأبديّة»، فعليًّا الآن، وليس فقط بعد الموت الجسديّ (٣: ١٥-١٦، ٣٦؛ ٥: ٢٤؛ ٦: ٤٠، ٤٧).

- «لا يُدان» (٣: ١٨)، «لا يأتي إلى دينونة» (٥: ٢٤)؛ «ينتقل من الموت إلى الحياة» (٥: ٢٤)، يعيش ولا يموت أبدًا (١١: ٢٥-٢٦).

- «يعرف» يسوع (٤: ٤٢؛ ٦: ٦٩)؛ لا يشعر أبدًا بالجوع والعطش (٦: ٣٥)؛ يحيا/يثبت في يسوع (٦: ٥٦؛ ١٥: ٤-١٠)؛ يملك «الماء الحيّ» (٧: ٣٨)؛ يتقبّل الرّوح (٧: ٣٩).

- يُصبح «تلميذًا» ليسوع (٨: ٣١)، و«صديقًا» له (١٥: ١٤-١٥)؛ يفعل الأعمال الّتي صنعها يسوع، أو حتّى «أعمالاً أعظم» (١٤: ١٢)؛ يرى «مجد الله» (١١: ٤٠)، ويرى «أمورًا أعظم» (١: ٥٠).

- ينال «حياةً» باسم يسوع (٢٠: ٣١).

• ثمار الإيمان (ماذا يعني أن ينال المؤمن «الحياة الأبديّة الآن» بشكلٍ ملموس؟)

- السّلام (١٤: ٢٧؛ ١٦: ٣٣؛ ٢٠: ١٩، ٢١، ٢٦): إنّه السّلام الفرديّ (في القلوب) والسّلام الجماعيّ (في العلاقات) على حدٍّ سواء.

o عدم الخوف (٦: ٢٠؛ ١٢: ١٥؛ ١٤: ٢٧).

o الاتّحاد مع الله، ومع الآخرين في الجماعة (١٠: ١٦؛ ١٧: ١١، ٢١-٢٢).

o خدمة الآخرين اقتداءً بيسوع النّموذج (١٣: ١٢-١٧).

o المحبّة الأخويّة الحقّة (١٣: ٣٤-٣٥؛ ١٥: ١٢-١٣؛ ١٧: ٢٦).

o الاعتراف بيسوع والآخرين كأحبّاء (١٥: ١٣-١٥).

o العيش في الفرح (١٤: ٢٨؛ ١٥: ١١؛ ١٦: ٢٠-٢٤؛ ١٧: ١٣؛ ٢٠: ٢٠).

o تقبّل المغفرة من الله ومسامحة الآخرين (٢٠: ٢٣).

- **إنّ الإيمان بيسوع ممكنٌ، فقط من خلال قوّة الله ودعوته:**

o «ما من أحدٍ يقدر أن يُقبل إليّ ما لم يجتذبه الآب الّذي أرسلني، وأنا أُقيمه في اليوم الأخير» (٦: ٤٤).

o «إنّه لا يقدر أحدٌ أن يُقبل إليّ إنْ لم يُعْطَ له ذلك من أبي» (٦: ٦٥).

§ خاتمة

لقد وصلنا هكذا إلى النّقطة المركزيّة **للاهوت يوحنّا الأخلاقيّ**. على عكس كُتّاب العهد الجديد الآخرين، لا يُقدِّم الإنجيليّ يوحنّا تعليمًا أخلاقيًّا مفصّلاً متضمِّنًا قوائم الفضائل الّتي يجب التّقيُّد بها، والخطايا الّتي يجب تجنُّبها؛

يبدو أنّه يعلم فضيلةً واحدةً فقط: **الإيمان الّذي يتجلّى في المحبّة**؛ ويبدو، تاليًا، أنّه لا يعرف إلاّ خطيئةً واحدةً فقط: **«إنكار الإيمان» الّذي يَظهر في رفض المحبّة، في الكراهيّة والبُغض والضّغينة**. وبالتّالي، **فإنّ الأخلاقيّة اليوحنّاويّة هي أخلاقيّةٌ إيمانيّة.**

لذا، فإنّ الإنجيليّ الحبيب يدعونا، قبل كلّ شيءٍ، إلى السَّير في نور المسيح وحقّه، وإلى عيش حياة البنوّة الإلهيّة، وإلى اتّخاذ حياة المحبّة والشّركة مع يسوع بن الله كمسلكيّةٍ حياتيّة، وعنوانٍ مُعاشٍ للمسيحيّة الحقيقيّة. وهكذا، فإنّ النّظرة اليوحنّاويّة للحياة المسيحيّة هي إدانةٌ واضحةٌ لكلّ أُفقيّةٍ أو دنيويّةٍ أرضيّة. فالأخلاق المسيحيّة، بالنّسبة للإنجيليّ يوحنّا، ليست مجرّد أخلاقٍ طبيعيّةٍ تتضمّن ببساطةٍ ضمانة علاقات العدل والصِّدق بين البشر، بل إنّها تسعى بالحريّ إلى تجاوز هذه الحقائق الإنسانيّة وتحويلها، للعيش في نور المسيح، كأبناء الله...

فالحبّ المسيحيّ هو أعمق بكثيرٍ من كونه مجرّد حبٍّ اجتماعيٍّ للجماعة، إذ إنّه تجلٍّ وإشعاعٍ لحبّ الله نفسه، لذلك يَظهر هذا الحبّ حبًّا لا مثيل له من حيث أصالته واختباره، ولا يمكن أن يكون مِثل هذا الحبّ إلاّ نبعًا للسّلام، للفرح الحقيقيّ الّذي ينبع من الدّاخل، للنّور: إنّه فجر العالم الجديد.

من هنا نُدرك أنّ الكلمات الأخيرة ليسوع في الإنجيل الرّابع هي دعوةٌ موجَّهةٌ لكلّ إنسانٍ إلى «الإيمان»، على مثال الدّعوة الّتي وجّهها يسوع القائم من بين الأموات إلى تلميذه توما بضرورة أن **يتحوّل إلى إنسان الإيمان**: «لأنّك رأيتني آمنت؟ طوبى للّذين آمنوا ولم يرَوا» (٢٠: ٢٩).

القسم الثّالث

«المعرفة» اليوحنّاويّة - «حياةٌ أبديّةٌ»

١) المعرفة في الإنجيل الرّابع

إنّ المعرفة، بحسب اللّاهوت اليوحنّاويّ، هي وسيلةٌ للدّخول في الخلاص والحياة (راجع ٨: ٣٢؛ ١٧: ٣). أن تعرف الله يعني أن تكون متّحدًا معه. يستخدم الإنجيليّ يوحنّا فعلين للدّلالة على المعرفة الخاصّة بيسوع، من جهة، والتّلاميذ، من جهةٍ أخرى: οἶδα / γινώσκω.

إنّ الفعل γινώσκω يعني باليونانيّة «التّوصُّل إلى المعرفة»، وهو، تاليًا، لا يشير مباشرةً إلى المعرفة بحدّ ذاتها، بل إلى تقدُّم الفكر الّذي يؤدّي بدوره إلى المعرفة. بتعابير أخرى، إنّ هذه المعرفة هي معرفةٌ إختباريّة ومنطقيّة، وهكذا، فإنّنا نلاحظ أنّ الفعل اليونانيّ المذكور أعلاه يُعبّر عن **اكتساب المعرفة وليس حيازتُها أو امتلاكها**. وبهذه الطّريقة، يُصبح الفعل γινώσκω الفعلَ الأكثر أهميّةً في المفردات الفلسفيّة الّذي يتحدّث عن **معرفة الحقيقة**، إذ إنّ **البحث عن الحقيقة، مبدأ كلّ الأشياء**، كان الموضوع المهيمن على الفلسفة اليونانيّة: فبالنّسبة لِما قبل السّقراطيّين كان هذا المبدأ في الطّبيعة، أمّا بالنّسبة لأفلاطون كان هذا المبدأ في عالم الأفكار. بالنّسبة لكلّ هؤلاء المفكّرين، تُعبّر أل γινώσκω عن جهد الرّوح للتّغلُّب على المظاهر واكتشاف الجوهر.

أمّا الفعل οἶδα، فبسبب جذره (-ιδ) نجده مرتبطًا ارتباطًا وثيقًا بالفعل «εἶδον» (رأى) من خلال المقولة: «أعرف، لأنّي رأيتُ». إنّ هذا الامتلاك للمعرفة لا يفترض دومًا رؤيةً بالعين المجرّدة، بل **معرفةً من خلال البصيرة أو الحدس**: إنّها المعرفة المملوكة والاستيعاب الكامل، بمعنى آخر، إنّها **المعرفة الدّاخليّة**.

في أوقاتٍ مختلفة، يستعمل يوحنّا الفعل γινώσκω بتعابير تشير إلى **أصل المعرفة: من أين تأتي المعرفة؟** نقتبس سؤال نثنائيل ليسوع: «من أين تعرفني؟» (١: ٤٨)؛ أو كلمة المسيح عن العلامة الّتي من خلالها يعرف النّاس تلاميذه: «إذا أحبّ بعضُكم بعضًا، عَرَفَ الجميع أنّكم تلاميذي» (١٣: ٣٥؛ راجع أيضًا ١ يوحنّا ٢: ٣، ٥؛ ٣: ٢٤؛ ٤: ١٣...). نقرأ أيضًا في الإنجيل: «وعَلِمَ جمعٌ كثيرٌ من اليهود أنّ يسوع هناك...» (١٢: ٩). تُشير هذه الآية اليوحنّاويّة أنّ المعرفة الّتي امتلكها الجمع مكتسَبة من خلال المعلومات؛ وأيضًا: «فاستخبرهم عن السّاعة الّتي فيها تعافى. فقالوا له: أمسِ في السّاعة الواحدة بعد الظّهر فارقته الحُمّى. **فعَلِمَ** الأب أنّها السّاعة الّتي قال له فيها يسوع: إنّ ابنك حيّ...» (٤: ٥٢-٥٣). تُبيِّن هذه الآية اليوحنّاويّة أنّ معرفة الأب قائمةٌ على حقيقةٍ أدلى بها شهود عَيان. نتبيّن من خلال الأمثلة اليوحنّاويّة هذه أنّ هذه المعرفة هي **معرفةٌ مكتسَبةٌ بالاختبار**.

لأكثر من مرّةٍ في الإنجيل الرّابع، يأتي استعمال الفعل γινώσκω كفعلٍ شرطيٍّ مقترنٍ بأداة شرطيّة (ἵνα) وذلك للتّأكيد على أنّ العمل المشار إليه من الفعل الأساسيّ **يهدف إلى أن يقود السّامعين إلى المعرفة**.

على العكس من ذلك، فإنّ الفعل οἶδα يشير إلى **هدفٍ تحقّق، كحقيقةٍ مُطلقةٍ وكاملة**. قال اليهود ليسوع: «كيف يعرف هذا الكتب ولم يتعلّم؟» (٧: ١٥)؛ ناهيك عن أنّ الإنجيليّ يوحنّا يستعمل عبارة οἴδαμεν ὅτι «نعلم أنّ» للتّعبير عن معرفةٍ عامّةٍ ومعترَفٍ بها من قِبَل الجميع (راجع ٣: ٢؛ ٤: ٤٢؛ ٩: ٢٠، ٢٤، ٢٩، ٣١؛ ١٦: ٣٠؛ ٢١: ٢٤).

٢) معرفة يسوع بين الطّبيعيّة والإلهيّة

يُشار في الإنجيل الرّابع إلى معرفة المسيح تارةً بالفعل γινώσκω وتارةً أخرى بالفعل οἶδα، ولكن مع تفضيلٍ ملحوظٍ وواضحٍ للفعل الأخير (٢٢ مرّة مقابل ١٢ مرّة للفعل الأوّل).

- **γινώσκω**

يُظهِر هذا الفعل **المعرفة الطّبيعيّة الّتي اكتسبها يسوع من خلال الوسائل الإنسانيّة الخاصّة بطبيعته البشريّة**: «ولَمّا عَلِمَ يسوع أنّ الفرّيسيّين سمعوا أنّه اتّخذ من التّلاميذ...» (٤: ١)؛ «هو عَلِمَ» أنّ المخلَّع «له مدّةٌ طويلةٌ على هذه الحال، قال له...» (٥: ٦)؛ «أدرك»، نظرًا للوضع المتواجد فيه، وقوع هذا الحدث أو ذاك: «وعَلِمَ يسوع أنّهم يَهُمُّون باختطافه ليُقيموه ملكًا، فانصرف وعاد وحدَه إلى الجبل» (٦: ١٥)؛ وأيضًا: «فعَلِمَ يسوع أنّهم يريدون أن يسألوه، فقال لهم: تتساءلون عن قولي: بعد قليلٍ لا تروني، ثمّ بعد قليلٍ تُشاهدونَني» (١٦: ١٩).

في مكانٍ آخر، لم يَعُدْ موضوع (subject) معرفة يسوع فعلاً خارجيًّا، بل أصبح يخصّ **النّاس أنفسَهم**. ومع ذلك، لا تُعبِّر هذه المعرفة عن المعرفة الإلهيّة، إذ إنّ القدّيس يوحنّا ينسب إلى يسوع معرفةً طبيعيّةً للبشر: «غير أنّ يسوع لم يطمئنّ إليهم، لأنّه كان يعرفهم كلَّهم ولا يحتاج إلى مَن يشهد له في شأن الإنسان، فقد كان يعلم ما في الإنسان» (٢: ٢٤-٢٥). تُشير هذه الكلمات اليوحنّاويّة إلى معرفةٍ فائقة الطّبيعة ليسوع. إلاّ أنّ استعمال يوحنّا للفعل γινώσκω مرّتين،

وليس للفعل οἶδα، يُشير إلى أنّه يرغب في تبيان النّظرة البشريّة المتفحّصة والمخترِقة (الّتي تخترق باطن الإنسان) ليسوع الّتي تعتمد على اختباره: مثل هذه المعرفة لا تختلف أساسًا عن تلك الّتي للبشر. في مَثَل الرّاعي الصّالح، يتحدّث يسوع مرّتين عن أنّه يعرف خرافه مستعملاً الفعل γινώσκω: «أنا الرّاعي الصّالح، أعرف خرافي وخرافي تعرفُني» (١٠: ١٤)؛ «إنّ خرافي تُصغي إلى صوتي، وأنا أعرفُها وهي تتبعُني» (١٠: ٢٧).

تُشير المعرفة في هذه الآيات اليوحنّاويّة إلى **معرفةٍ متبادلة بين الرّاعي وخرافه** –كتلك الّتي تكون عادةً بين الأصدقاء، **إذ إنّ هذا المَثَل مأخوذٌ من الحياة اليوميّة**. تولّد هذه المعرفة **انسجامًا متبادلاً، محبّةً حقيقيّةً وصِلَةً حميمة**. وهذا يشرح أيضًا أنّ **معرفة الابن من قِبَل الآب هي معرفةٌ طبيعيّةٌ**. لنقرأ معًا ما جاء في الإنجيل الرّابع في نصّ الرّاعي الصّالح: «كما أنّ أبي **يعرفُني** وأنا **أعرف** أبي...» (١٠: ١٥). تُبيِّن هذه الآية اليوحنّاويّة أنّ معرفة الآب للإبن، والإبن للآب، **تظهر كأنموذجٍ حيٍّ ومثاليٍّ للعلاقات البشريّة الصّحيحة الّتي يجب أن تكون سائدةً بين البشر**.

- **οἶδα**

إنّ استعمال هذا الفعل يؤدّي للوهلة الأولى إلى اتّجاهٍ آخر، إذ إنّه فعلٌ يُشير إلى المعرفة المُطلقة الكاملة، للتّأكيد على حقيقة أنّ يسوع يعلم الإلهيّات والأمور السّماويّة (راجع يوحنّا ٣: ١٢): فالمسيح، والمسيح نفسُه فقط، يُعلن بطريقةٍ مطلقةٍ، متحدِّثًا عن الله، قائلاً: «أمّا أنا فأعرفه» (٧: ٢٩؛ ٨: ٥٥).

- يفسِّر النّصّ الأوّل (٧: ٢٩) من أين تأتي هذه المعرفة المطلقة: «أمّا أنا فأعرفه، لأنّي من عنده». فالمسيح يعرف الآب بدون وسطاء، بسبب اتّحاده معه، وذلك لأنّه **في الآب**: «... كما أنّك فيّ، يا أبتِ، وأنا فيك...» (١٧: ٢١)؛ «أنا فيهم وأنتَ فيّ...» (١٧: ٢٣)؛ وهو المنتمي، أساسًا، إلى العالم الإلهيّ بكونه **لدى الله** (١: ١-٢)؛ وهو أيضًا **الآتي من الآب**: «فإنّ الآب نفسَه يُحبّكم، لأنّكم أحببتموني وآمنتم أنّي خرجتُ من لدن الله. خرجتُ من لدن الآب، وأتيتُ إلى العالم...» (١٦: ٢٧-٢٨؛ راجع أيضًا ١٧: ٨). علاوةً على ذلك، إنّ المسيح «**يعلم – οἶδα**» من أين أتى وإلى أين يذهب: «... فأنا أعلم من أين أتيتُ وإلى أين أذهب. أمّا أنتم فلا تعلمون من أين أتيتُ ولا إلى أين أذهب» (٨: ١٤). كاشفًا الأمور السّماويّة، يشهد المسيح على أمورٍ «**مرئيّة**»: «إنّنا نتكلّم بما **نعلم**، ونشهد بما **رأينا**» (٣: ١١)، إنّه «يعلم» أنّ شهادة الآب عنه هي صحيحة (٥: ٣٢)، وهو «يعلم» أيضًا أنّ الآب يستجيب دومًا له: «وقد **عَلِمتُ** أنّك تستجيب لي دائمًا أبدًا» (١١: ٤٢)، و «يعلم»، أخيرًا، أنّ وصيّته هي حياةٌ أبديّة: «وأنا **أعلم** أنّ وصيّته حياةٌ أبديّة» (١٢: ٥٠).

- لا تعتمد معرفة المسيح المطلقة على علاقته بأبيه السّماويّ فحسب، بل أيضًا على **العمل الخلاصيّ الّذي عَهِدَ به الآب إليه أن يُتمِّمه**. ففي ثلاثة نصوصٍ يوحنّاويّة، حيث يوجد الفعل οἶδα (٦: ٦١، ٦٤؛ ١٣: ١١) يكون فيها المفعول به **الوحي الآتي من يسوع**:

- **همهمة التّلاميذ:** «فعَلِمَ يسوع في نفسه أنّ تلاميذه يتذمّرون من ذلك» (٦: ٦١)؛

- **عدم إيمانهم:** «ولكنّ فيكم مَن لا يؤمنون. ذلك بأنّ يسوع كان «يعلم» منذ بدء الأمر مَنِ الّذين لا يؤمنون ومَنِ الّذي سيُسلمه» (٦: ٦٤)؛

- **حقيقة أنّ واحدًا من تلاميذه سيُصبح خائنًا له:** «فقد كان «يعرف» مَن سيُسلمُه، ولذلك قال: لستم كلُّكم أطهارًا» (١٣: ١١؛ راجع أيضًا ٦: ٦٤).

يُبيِّن الإنجيليّ يوحنّا من خلال هذه الآيات أنّ معرفة يسوع هي معرفةٌ فائقة الطّبيعة، لأنّها ليست معرفةً خارجةً عنه، بل هي جزءٌ لا يتجزّأ من كيانه. مثالٌ آخر من الإنجيل الرّابع يظهر في حادثة معجزة الخمسة الأرغفة والسّمكتين، في الحوار بين يسوع وفيلبّس: «وإنّما قال هذا ليمتحنَه، لأنّه كان «يعلم» ما سيَصنع» (٦: ٦).

إنّ أهميّة هذه المعرفة تظهر في الإنجيل الرّابع بالتّوافق مع «**ساعة**» يسوع الّتي تؤكّد معرفته الإلهيّة: «قبل عيد الفصح، كان يسوع يعلم بأنْ قد أتت ساعة انتقاله عن هذا العالم إلى أبيه» (١٣: ١)، و «كان يسوع يعلم أنّ الآب جعل في يدَيه كلّ شيء، وأنّه خرج من الله، وإلى الله يمضي» (١٣: ٣)؛ **وفي لحظة اعتقاله**، «كان يسوع يعلم جميع ما سيحدث له» (١٨: ٤)؛ **وعلى الصّليب**، «كان يسوع يعلم أنّ كلّ شيءٍ قد تمّ» (١٩: ٢٨). لقد أتمّ يسوع حقًّا تدبير الله الخلاصيّ، ليس كضحيّةٍ ضعيفةٍ وعاجزة، ولكن بمعرفةٍ سياديّة، مكّنَتْه من السّيطرة على الأحداث وقبولها بطواعيّة.

من هنا نلخِّص أنّ معرفة يسوع بحسب اللّاهوت اليوحنّاويّ هي:

– المعرفة الطّبيعيّة المألوفة للإنسان يسوع، الّتي تتضمّن في مفاهيمها ومعانيها الإنسانيّة التّعاطف والحدس (هو إدراك الأشياء من خلال شعورٍ داخليٍّ يَحِسُّ به الإنسان من دون معرفةٍ سابقة)، وهي المعرفة الّتي تستطيع أن تخترق أيضًا أعماق قلب الإنسان.

– المعرفة فائقة الطّبيعة والإلهيّة ليسوع بن الله، الكلمة الّذي صار بشرًا.

٣) معرفة التّلاميذ ليسوع

بعد أن قمنا بدراسة النّصوص المتعلّقة بموضوع معرفة يسوع، نرى الآن نصوصًا أخرى يتحدّث من خلالها الإنجيليّ يوحنّا عن معرفة التّلاميذ، بحيث نجد هنا التّمييز الواضح بين الفعلَين اليوحنّاويَّين اللّذين ذكرناهما آنفًا (γινώσκω \ οἶδα).

- γινώσκω

يُشير هذا الفعل عادةً إمّا إلى «**الفهم**» أو إلى «**الاعتراف**».

– في لحظة الدّخول إلى أورشليم، لم يفهم التّلاميذ معنى الحدث: «هذه الأشياءِ **لم يفهمْها** تلاميذه أوّل الأمر، ولكنّهم تذكّروا، بعدما مُجِّد يسوع، أنّها فيه كُتِبَت، وأنّها هي نفسُها له صُنِعَت» (١٢: ١٦).

- ولم يفهموا بالمقابل أيضًا معنى غسل الأرجل الّذي قام به يسوع في العشاء الأخير: «فلمّا غسل أقدامهم لَبِسَ ثيابه وعاد إلى المائدة فقال لهم: **أتفهمون** ما صنعتُ إليكم؟» (١٣: ١٢).

- ولم يُدركوا أيضًا كلمات يسوع ليهوذا بعد أن أخذ اللّقمة من يد المعلّم الّذي دعاه لأن يقوم بما هو مزمعٌ فعله: «فقال له يسوع: إفعل ما أنت فاعلٌ وعجِّل. **فلم يعلم** أحدٌ من الّذين على الطّعام لماذا قال له ذلك» (١٣: ٢٧-٢٨).

- وفي حواره مع فيلبّس، يُعلن يسوع قائلاً: «إنّي معكم منذ وقتٍ طويل، أفلا تعرفُني يا فيلبّس؟» (١٤: ٩).

- وعند رفع المسيح على الصّليب، سيعرف الجميع هُويّته: «متى رفعتُمُ ابن الإنسان، عَرَفتم أنّي أنا هو وأنّي لا أعمل شيئًا من عندي، بل أقول ما علّمني الآب» (٨: ٢٨): ففي العشاء الأخير، وعد الرّبّ تلاميذه قائلاً: «إنّكم في ذلك اليوم (بعد قيامته من بين الأموات) تعرفون أنّي في أبي وأنّكم فيّ وأنّي فيكم» (١٤: ٢٠)؛ راجع أيضًا حوار يسوع مع بطرس في حادثة غسل الأرجل (١٣: ٧).

- يُعلن يسوع، في خطاب الوداع قبل انطلاقه إلى مسيرة الآلام الخلاصيّة، أنّ المعرفة تقود إلى معرفة الآب من خلال الابن، إذ إنّه «الطّريق والحقّ والحياة. لا يمضي أحدٌ إلى الآب إلاّ بي» (١٤: ٦)، وأنّ هذه المعرفة أصبحت مُستعلَنةً بشخص الكلمة يسوع المسيح: «منذ الآن تعرفونه وقد رأيتموه» (١٤: ٧).

– وفي الصّلاة الكهنوتيّة، شدّد يسوع على أنّ التّلاميذ قد **عَرَفوا** أنّه مُرسَلٌ من الآب: «وأنّ الكلام الّذي بلّغتَنيه بلّغتُهم إيّاه، فقبلوه وعرفوا حقًّا أنّي من لدنك خرجت، وآمنوا بأنّك أنت أرسلتني» (١٧: ٨؛ أيضًا الآية ٢٥).

إنّ الوسيلة الّتي من خلالها وصل التّلاميذ إلى هذه المعرفة تكمن في التّعليم الّذي منحه يسوع لهم. إنّ الحالة الضّروريّة المطلوبة من قِبَل التّلاميذ هي **الإيمان**: بالنّسبة لنا، لقد وصلنا إلى الإيمان وإلى معرفة أنّك قدّوس الله (٦: ٦٩)؛ فالقاسم المشترك في العلاقة المتبادلة بين الإيمان والمعرفة يظهر جليًّا في نصوص الإنجيل الرّابع من خلال تعبير **الحياة الأبديّة**:

– «الحقّ الحقّ أقول لكم: مَن آمن فله الحياة الأبديّة» (٦: ٤٧)؛

– «والحياة الأبديّة هي أن يعرفوك أنتَ الإله الحقّ وحدك، ويعرفوا الّذي أرسلته، يسوع المسيح» (١٧: ٣).

تكمن طبيعة الحياة الأبديّة في الإنجيل الرّابع في معرفة الله من خلال شخص يسوع المسيح، أي إنّها معرفةٌ **بوساطةٍ جسديّةٍ** تظهر في اللّوغس (الكلمة) الّذي صار جسدًا (١: ١٤). فالمعرفة، بحسب لاهوت يوحنّا، هي علاقةٌ اختباريّة: **إنّها، في الأساس، معرفةٌ شخصيّة. فلم تَعُدِ الحياة الأبديّة**، من المنظار اللّاهوتيّ اليوحنّاويّ، **تحقيقًا للخلاص الأُخرويّ** (الإسكاتولوجيّ)، أي ما بعد الموت، بقدر ما أصبح الحصول عليها، بفضل عطيّة المسيح، هنا على الأرض، أي انّها **تحقيقٌ آنيٌّ** للإيمان بشخص يسوع المسيح.

قبل معموديّة يسوع، لم يكن يوحنّا المعمدان يعلم يسوع: «وأنا لم أكن أعرفُه» (١: ٣١، ٣٣)؛ هذا لا يعني بتاتًا أنّ يسوع لم يكن بالنّسبة للمعمدان شخصًا معروفًا، بل إنّ المعمدان لم يكن قد عَرَفَ يسوع بعد بصفته «المسيح»، إذ إنّه لم يكن يملك بعد نور الإيمان، ولم «يرَ» بعد في يسوع «المسيح» «المختار من الله»: فمشهد الأردن يكشف بالتّحديد إعطاء يوحنّا نعمة **الرّؤية الإيمانيّة**: «وأنا **رأيتُ وشَهِدت** أنّه هو ابن الله» (١: ٣٤).

بدورها، لم تعرف المرأة السّامريّة «عطيّة الله» (٤: ١٠)، ولم تستوعب تمامًا الهِبة الإلهيّة، الماء الحيّ الّذي يُعطيه يسوع. وحين عاد التّلاميذ من القرية، قال لهم يسوع: «لي طعامٌ آكلُه أنتم **لا تعرفونه**» (٤: ٣٢؛ راجع أيضًا ٤: ٢٢). في كلتا الحالتين، يتمّ تسليط الضّوء على الموضوع اليوحنّاويّ الخاصّ «بعدم القدرة على استيعاب الحقائق الإلهيّة»: فلا المرأة ولا التّلاميذ استطاعوا، داخليًّا، إدراك الحقائق الرّوحيّة المُستترة تحت رموز الماء والطّعام، **ممّا** يُعطي ليسوع فرصة تفسير المعنى (راجع ٤: ١٣-١٤، ٣٤).

تتضمّن الآية اليوحنّاويّة التّالية: «قال له توما: يا ربّ، إنّنا لا نعرف إلى أين تذهب، فكيف نعرف الطّريق» (١٤: ٥) مفهوم **عجز الإنسان عن اختراق الأسرار الإلهيّة**. كلام توما هذا جاء ردًّا على ما تكلّم به يسوع عن الطّريق إلى الآب (١٤: ٤).

بالطّريقة عينها، حين قال يسوع: «بعد قليلٍ لا ترونني» (١٦: ١٦)، كان جواب التّلاميذ: «ما هو هذا القليل الّذي يقول عنه؟ لسنا نعلم بماذا يتكلّم» (١٦: ١٨).

فلو كتب الإنجيليّ يوحنّا هنا عبارة «οὐκ γινώσκομεν - لا نعلم»، لوَرَدَ المعنى التّالي الّذي يُشير إلى الجُهد البشريّ في الفهم: «**لا يُمكننا أن نفهم**»، أي أنّهم «**حاولوا الفهم، ولكنّهم لم ينجحوا في إدراكه**»؛ أمّا العبارة «οὐκ οἴδαμεν»، فهي تُشير بكلّ وضوحٍ إلى «**الجهل التّامّ**»، وإلى «**الاعتراف بعدم القدرة على الفهم**».

يُعاود موضوع عدم قدرة التّلاميذ بالظّهور من جديد في الفصل العشرين من الإنجيل الرّابع: «ذلك بأنّهما لم يكونا قد فَهِما ما وَرَدَ في الكتاب من أنّه يجب أن يقوم من بين الأموات» (٢٠: ٩)؛ فعلى الرّغم من الوقت الطّويل نسبيًّا الّذي قضَوه برفقة يسوع، إلاّ أنّهم لم يتوصّلوا إلى اكتشاف معنى الكثير من أعماله وأقواله. فالآية اليوحنّاويّة الحالية، مع الفعل (οἶδα)، تؤكّد حقيقةَ أنّ التّلاميذ لم يفهموا شيئًا من الكتب المقدّسة. إنّ هذا الجانب المتعلِّق بغياب الرّؤية الدّاخليّة للتّلاميذ لا يزال يظهر بشكلٍ واضحٍ من خلال نصَّين يوحنّاويَّين آخرين يتحدّثان عن رؤيتين ليسوع القائم: الأولى، للمجدليّة عند قبر يسوع؛ والثّانية، للتّلاميذ على ضفاف بحيرة طبريّا، وفي كلتا الرّؤيتين، لم يتمّ التّعرُّف على يسوع:

- «قالت هذا ثمّ التفتت إلى الوراء، فرأت يسوع واقفًا، **ولم تعلم أنّه يسوع**» (٢٠: ١٤).

- «فلمّا كان الفجر، وقف يسوع على الشّاطئ، لكنّ التّلاميذ **لم يعرفوا أنّه يسوع**» (٢١: ٤).

استعمالٌ آخر للفعل (οἶδα) بصورةٍ إيجابيّةٍ يَرِد في الفصل الحادي والعشرين من الإنجيل الرّابع: «فقال لهم يسوع: تعالَوا افطُروا! ولم يجرؤ أحدٌ من التّلاميذ أن يسأله: مَن أنت؟ لِعلمهم أنّه الرّبّ» (٢١: ١٢). ففعل المعرفة الـمُستَعمل في هذه الآية «εἰδότες – لعلمهم» يعني فعلاً مستمرًا في الزّمن من تلك اللّحظة وإلى الـمُنتهى. انطلاقًا من هذه الآية اليوحنّاويّة الأخيرة، نستطيع أن نلحظ تغييرًا جذريًّا في معرفة التّلاميذ للرّبّ يسوع وقدِ انتقلت من المعرفة السّطحيّة إلى المعرفة الرّوحيّة، ومن الشّكّ إلى اليقين الإيمانيّ، وهذا يظهر جليًّا في صرخة التّلميذ الحبيب يوحنّا حين قال لبطرس من على قاربه: «**إنّه الرّبّ**» (٢١: ٧).

وقد يَرِد استعمال فعل المعرفة هذا للإشارة إلى معرفةٍ مطلقة، غير متزعزعة وثابتة. تظهر هذه المعرفة في تصرّفات مرتا الّتي أكّدت إيمانها بالقيامة، قائلة: «**أعلم** أنّه سيقوم في القيامة في اليوم الأخير» (١١: ٢٤)، وهي الّتي أعلنت قبلاً قائلة: «لكنّي ما زلتُ **أعلم** أنّ كلّ ما تسأل الله، فالله يُعطيك إيّاه» (١١: ٢٢). تظهر مثل هذه القناعة الرّاسخة بالإيمان في النّصوص اليوحنّاويّة الّتي ينطبق من خلالها الفعل οἶδα على **الشّهادة الحقيقيّة**، كما حدث مع الإنجيليّ يوحنّا حين رأى خروج الدّم والماء من جنب المصلوب المطعون بالحربة في مشهد الصّلب في مكان الجُمجُمة: «والّذي رأى شَهِد، وشهادتُه صحيحة، وذاك **يعلم** أنّه يقول الحقّ لتؤمنوا أنتم أيضًا» (١٩: ٣٥). يظهر أنّ شهادة الإنجيليّ يوحنّا انطلاقًا من هذه الآية لا تهتمّ بإبراز التّفصيل الماديّ (الفيزيائيّ) الّذي رآه على الصّليب، بقدر ما يرغب في إظهار **المعنى الرّمزيّ (المعموديّة والإفخارستيّا) الّذي يشدّ الانتباه إلى تدبير الخلاص، تأثيره وفعاليّته في حياة المؤمنينالإيمانيّة في الكنيسة،**

كما يظهر في خاتمة الإنجيل الرّابع: «وهذا التّلميذ هو الّذي يشهد بهذه الأمور وهو الّذي كتبها، **ونحن نعلم** أنّ شهادته صادقة» (٢١: ٢٤). تؤكّد هذه الآية بوضوحٍ **الخبرة الإيمانيّة المسيحيّة للكنيسة الرّسوليّة الأولى**، استنادًا إلى ضمير المتكلِّم «نحن» الّذي يُشير إلى تلاميذ يوحنّا.

٤) معرفة اليهود والعالم ليسوع

يمكننا تلخيص أساسيّات هذه المعرفة في ثلاث نقاطٍ جوهريّة هي:

١. يُشير الفعل γινώσκω إلى المعرفة الّتي ينبغي على اليهود **اكتسابها** عن المسيح وعن وحيه الإلهيّ: يجب عليهم «**الإعتراف**» بأنّ يسوع هو المسيح، بحيث يدعوهم يسوع إلى الإيمان: «إنْ لم أعمل أعمال أبي فلا تؤمنوا بي. وإنْ عملت فإنْ لم تُريدوا أن تؤمنوا بي، فآمنوا بالأعمال **لتعلموا وتُوقِنوا** أنّ الآب فيّ وأنّي في الآب» (١٠: ٣٧-٣٨؛ راجع أيضًا ١٤: ٣١؛ ١٧: ٢٣). إلاّ أنّ اليهود والعالم على السّواء لم «يعترفوا» بيسوع ولم يُدركوا حتّى هُويّته وكينونته:

- «كان في العالم، والعالم به كُوِّن، والعالم لم يعرفْه» (١: ١٠).
- «إنّ العالم لم يعرفْك، أمّا أنا فعرفتُك، وهؤلاءِ عرفوا أنّك أنت أرسلتني» (١٧: ٢٥).

وفي مواضعَ أخرى من الإنجيل الرّابع، يظهر فيها اليهود والعالم عاجزين عن «فهم» رسالة يسوع الخلاصيّة:

- «أجاب يسوع: أأنتَ معلِّمٌ في إسرائيل **وتجهل** هذه الأشياء» (٣: ١٠).

- «فلم يفهموا أنّه كلّمهم على الآب... لماذا **لا تفهمون** ما أقول؟ لأنّكم لا تُطيقون الاستماع إلى كلامي» (٨: ٢٧؛ ٤٣)؛ «ضرب يسوع لهم هذا المثل، **فلم يفهموا** معنى ما كلّمهم به» (١٠: ٦).

إنّهم (اليهود والعالم) لم يصلوا إلى «معرفة» الآب: «أنتم لم تعرفوه، أمّا أنا فأعرفُه. ولو قلتُ إنّي لا أعرفُه، لكنتُ مثلَكم كاذبًا. ولكنّي أعرفُه وأحفظ كلمته» (٨: ٥٥). نُلاحظ في هذه الآية اليوحنّاويّة الاستعمال الثّنائيّ المتميِّز للفعلين (غينوسكو وإيذا): فالفعل «غينوسكو» يُشير إلى المعرفة البشريّة الّتي لا يُمكنها أن تتعدّى سوى كونها «معرفةً محدودةً» ليس لها أيّ أُفُقٍ مفتوحةٍ على الكائن الإلهيّ الّذي وحده يستطيع أن يجلب هذه المعرفة لتكون حقيقةً مُعاشة. إنّ الحصول على المعرفة الفائقة الطّبيعة، إذًا، يتطلّب من الإنسان انفتاحًا على الكائن الإلهيّ الّذي يملك وحده القدرة على إشراكنا في كيانه وأبديّته. وبالتّالي، فإنّ معرفة الله هذه هي بالحقيقة شركةٌ وجوديّةٌ مع الإنسان واتّحادٌ مع الله.

٢. عندما يتمّ استعمال الفعل οἶδα بطريقةٍ إيجابيّة، بحيث يكون الفاعل (subject) اليهود، وهو دائمًا على شفاههم، يُعلنون بطريقةٍ كافيةٍ أنّهم «**يعرفون**» في المسائل الدّينيّة:

- «رابّي، نحن نعلم أنّك جئت من لدن الله معلِّمًا، فما من أحدٍ يستطيع أن يأتيَ بتلك الآيات الّتي تأتي بها أنت إلاّ إذا كان الله معه» (٣: ٢)؛

- «على أنّ هذا نعرف (οἴδαμεν) من أين هو (πόθεν)، وأمّا المسيح فلا يُعرَف – γινώσκει οὐδεὶς حين يأتي من أين هو. فرفع يسوع صوته وهو يُعلِّم في الهيكل قال: أجل، إنّكم تعرفونَني وتعرفون من أين أنا. على أنّي ما جئتُ من نفسي. فالّذي أرسلني هو صادق. ذاك الّذي لا تعرفونه أنتم» (٧: ٢٧–٢٨)؛

- «فدعَوا ثانيةً الرّجل الّذي كان أعمى وقالوا له: مجِّد الله، نحن نعلم أنّ هذا الرّجل خاطئ... نحن نعلم أنّ الله كلّم موسى، أمّا هذا فلا نعلم من أين هو» (٩: ٢٤، ٢٩).

٣. عندما يتمّ استعمال الفعل οἶδα بطريقةٍ سلبيّة، ذلك هو جهل اليهود في اتّخاذ الطّابع الكامل، أكثر من مجرّد «عدم الاعتراف» المعبَّر عنه بعبارة «οὐκ γινώσκω». باستثناء ١: ٢٦ و ٩: ٢٨ المسيح هو دائمًا مَن يُعلن جهل اليهود الكامل: «أنتم لا تعرفون الآب» و «لا تعرفونَني أنا أيضًا» (راجع ٧: ٢٨؛ ٨: ١٤، ١٩؛ ١٥: ٢١). إنّ مقولة اليهود أنفسهم عن يسوع بأنّهم «لا يعلمون من أين هو» (٩: ٢٩) لا تُشير إلى إعلان جهلهم المتعلِّق بهُويّة يسوع، بل للتّأكيد على أنّهم «لا يعرفون» من أين تأتي سلطة يسوع المتعلِّقة بالآيات الّتي يعملها (راجع ٩: ٣٠)، وهذا يفسِّر سبب رفضهم للمسيح وبقائهم قابعين في العمى الرّوحيّ الّذي يُعبَّر عنه بالجهل الكلّيّ لحقيقة يسوع وهُويّته الإلهيّة ورسالته الخلاصيّة.

القسم الرّابع

«ابن الإنسـان» اليوحنّاويّ

١) «ابن الإنسان» في اللّاهوت اليوحنّاويّ

١. نظرة عامّة

يرد هذا الإسم «ابن الإنسان» على لسان يسوع أكثر من خمسٍ وستّين مرّة في الأناجيل الإزائيّة الثّلاثة، بينما يرد ثلاث عشرة مرّةً في الإنجيل الرّابع (١: ٥١؛ ٣: ١٣-١٤؛ ٥: ٢٧؛ ٦: ٢٧، ٥٣، ٦٢؛ ٨: ٢٨؛ ٩: ٣٥؛ ١٢: ٢٣؛ ١٢: ٣٤ (مرّتان)؛ ١٣: ٣١). تُقسَم هذه الآيات اليوحنّاويّة إلى ثلاث مجموعاتٍ رئيسيّة: (١) «نزول» ابن الإنسان من السّماء» و«صعوده» إليها ثانيةً (٣: ١٣؛ ٦: ٦٢)؛ (٢) «ارتفاع» ابن الإنسان (٣: ١٤؛ ٨: ٢٨؛ ١٢: ٣٤)؛ (٣) «تمجيد» ابن الإنسان (١٢: ٢٣؛ ١٣: ٣١). كلّ هذا يؤكّد أنّ «ابن الإنسان» هو المسيح اليوحنّاويّ، ومُعطي الحياة، «خبز الحياة الحقيقيّ» (فصل ٦)، و«القاضي» (فصل ٥).

يأتي استعمال لقب «ابن الإنسان» ضمن محورَين أساسيَّين: (**١**) يشير إلى **اللّغة المكانيّة في يوحنّا**: نزوله من السّماء-صعوده إلى السّماء؛ (**٢**) **تمجيده** الّذي يتضمّن كلّ مسيرته التّصاعديّة من الأرض إلى السّماء، أي كلّ الأحداث الخلاصيّة الّتي أتمّها يسوع من أجل خلاص الإنسان: الآلام، والموت على الصّليب: «متى رفعتم ابن الإنسان، عَرَفتم أنّي أنا هو» (٨: ٢٨)، والقيامة والصّعود.

إنّ ابن الإنسان اليوحنّاويّ هو نفسُه ابن الله؛ فلقد نزل من السّماء ويصعد إليها من جديد (٣: ١٣؛ ٦: ٦٢). إنّه في اتّحادٍ جوهريٍّ مع الله الّذي يسكن فيه؛

إنّه النّموذج الأصليّ، لأنّ علاقته بالآب هي النّموذج للعلاقة الصّحيحة والثّابتة للإنسان مع الله؛ فالحياة الحقيقيّة للإنسان، بالنّسبة ليوحنّا، تتحقّق فقط من خلال أولئك الّذين يسكن فيهم المسيح: إنّه الكرمة، وهم الأغصان (١٥: ٥).

من هنا نخلص إلى القول إنّ المسيح كابنٍ للإنسان يُمثِّل، بطريقةٍ حصريّةٍ ومثاليّة، الإنسانيّةَ المخلَّصة والمُفتداة، فالله ينزل إلى العالم، ويصير إنسانًا، والإنسان يرتفع نحو الكمال الإلهيّ، ويصير إلهًا؛ فتمثيل «ابن الإنسان» اليوحنّاويّ للبشريّة في السّماء أمام الله يُشير إلى طبيعته الإلهيّة والإنسانيّة في آنٍ معًا. فلقد نزل إلى العالم وعانى الآلام والموت من أجل أن يجذب جميع البشر إليه: «وأنا إذا رُفعتُ من الأرض، جذبتُ إليّ النّاس أجمعين» (١٢: ٣٢)، وقد صعد إلى الله من أجل أن يكون البشر حيث يكون هو: «وإذا ذهبتُ وأعددتُ لكم مُقامًا، أرجِعُ فآخذُكم إليّ، لتكونوا أنتم أيضًا حيث أنا أكون» (١٤: ٣). هذا يُشير إلى فكرة تماسك المؤمنين بالمسيح ليكوّنوا معًا جسد المسيح، أي الكنيسة الّتي المسيح رأسُها، والمؤمنون أعضاؤها. ترد هذه الفكرة كثيرًا في الأناجيل. فعلى سبيل المثال: «الحقّ أقول لكم: كلّما صنعتم شيئًا من ذلك لواحدٍ من إخوتي هؤلاء الصّغار، فلي قد صنعتموه» (متّى ٢٥: ٤٠)؛ «مَن قبلكم قبلني أنا، ومن قبلني قبل الّذي أرسلني» (متّى ١٠: ٤٠)؛ «مَن سمع إليكم سمع إليّ. ومَن أعرض عنكم أعرض عنّي، ومَن أعرض عنّي أعرض عن الّذي أرسلني» (لوقا ١٠: ١٦)؛ «الحقّ الحقّ أقول لكم: مَن قَبِلَ الّذي أُرسله قبلني أنا، ومَن قبلني قبل الّذي أرسلني» (يوحنّا ١٣: ٢٠).

لقد فهم الآباء القدّيسون أنّ هذا اللّقب يؤكّد حقيقة تجسّده وتأنّسه. فكما أنّه هو ابن الله المولود من الآب قبل كلّ الدّهور، هكذا فإنّه هو هو نفسه ابن الإنسان

الّذي ولد من العذراء مريم في ملء الزّمان، إذ اتّخذ منها ناسوتًا كاملاً بفعل الرّوح القدس. فابن الله الكلمة **له ميلادان: الميلاد الأوّل** من الآب بحسب لاهوته، **والميلاد الثّاني** من العذراء القدّيسة مريم بحسب ناسوته، ولكنّه هو هو نفسه وليس آخر. لهذا قال بولس الرّسول: «إنّ يسوع المسيح هو هو أمس واليوم وللأبد» (عبرانيّين ١٣: ٨). أي أنّه هو نفسه الّذي ولد من الآب، وهو نفسه الّذي جاء إلى العالم وصنع الفداء، وهو نفسه الّذي سوف يأتي ليدين الأحياء والأموات ويملك إلى الأبد.

٢. البُعد الكريستولوجيّ «لابن الإنسان» اليوحنّاويّ

يكمن الهدف الرّئيسيّ من كريستولوجيا يوحنّا في تفسير العلاقة الحميمة بين يسوع والله، من جهة، والعلاقة الخلاصيّة بين يسوع وأولئك الّذين يؤمنون به، من جهةٍ أخرى. فمن خلال تحليل كلٍّ من تواجُدات هذا التّعبير (ابن الإنسان) في الإنجيل، نلاحظ أنّه مرتبطٌ ارتباطًا وثيقًا بمواضيعَ هامّةٍ كالوحي، والدّينونة (لأولئك الّذين لم يؤمنوا بيسوع)، وهِبَة الحياة (لأولئك الّذين يؤمنون به)، ستتجلّى تدريجيًّا لتجد اكتمالها في الصّلب. يُشكّل الفصل ١٢ من الإنجيل الذّروة في هذا الصّدد.

> «ورأيتُ في رؤى اللّيل فإذا بمِثل ابن إنسانٍ آتيًا على سحاب السّماء فبلغ إلى القديم الأيّام وقُرّب إلى أمامه. وأُوتيَ سلطانًا ومجدًا ومُلكًا، فجميع الشّعوب والأُمم والألسنة يعبدونه وسلطانه سلطانٌ أبديٌّ لا يزول ومُلكه لا ينقرض» (دانيال ٧: ١٣-١٤).

كان «ابن الإنسان» هذا جزءًا من التّوقُّعات اليهوديّة للزّمن الجديد، وخلاص شعب الله، تلك الّتي تنبّأ بها العهد القديم؛ فقد توقّع الكثير من اليهود «ابن الإنسان» ليكون هو نفسه المسيح، كما أكّد دانيال أنّه سيكون حاكمًا لملكوت الله المستقبليّ؛ مُطلقًا على نفسه لقب «ابن الإنسان»، ظهر يسوع على أنّه الملك الّذي سيحكم إلى الأبد، ذلك أنّ «ابن الإنسان» الدّانياليّ أُعطِيَ سلطان حكم العالم أجمع؛ لقد أعلن يسوع مرارًا أنّ الله أعطاه سلطان إجراء القضاء في القيامة لأنّه «ابن الإنسان» (راجع ٥: ٢٧)؛ لديه القدرة أيضًا على إعطاء الحياة لأولئك الّذين يأكلون جسده ويشربون دمه (راجع ٦: ٢٧، ٥٣).

إنّ مزايا «ابن الإنسان» كما تظهر في دانيال ٧ هي مزيجٌ من العناصر الإلهيّة والبشريّة على السّواء. فصورة «ابن الإنسان» في ذلك النّصّ الدّانياليّ تتحدّث عن كائنٍ بشريّ، لكنّ ركوبه على سحاب السّماء يشير إلى أمرٍ محصورٍ في العهد القديم بالله (راجع عدد ١٠: ٣٤؛ مزمور ١٠٣: ٣؛ أشعيا ١٩: ١)؛ وهكذا، فإنّ العبارة تمزج النّشاط البشريّ والإلهيّ على حدٍّ سواء؛ فما معنى كلّ هذا من حيث استخدام اللّقب؟

إنّه لمن الواضح أنّ يسوع تعمّد اختيار عبارةٍ غامضةٍ ومصطلحٍ من هذا النّوع، واستخدم هذا المصطلح لوصف خدمته كممثّلٍ للجنس البشريّ. إلاّ أنّه عندما اقترب من نهاية خدمته وضّح أنّ العبارة، نظرًا إلى ما تُبيّن من استخدامها الأسبق، تشير إلى شخصٍ معيّنٍ يمثّل السّلطان الإلهيّ الخلاصيّ كما يظهر في دانيال ٧ لدى رجوع المسيح للدّينونة؛ من هنا، فإنّنا نرى أنّ استعمال يسوع لهذا اللّقب هو للدّلالة على شخصه وسلطانه.

لهذا، فإنّ «ابن الإنسان» اليوحنّاويّ هو مخلِّصٌ إلهيٌّ (يُشبه ابن الإنسان السّماويّ في دانيال)؛ إنّه ممجَّدٌ في السّموات كقاضٍ اسكاتولوجيّ (كما ورد في ١ أخنوخ والإزائيّين). لذا فإنّ التّسميات الثّلاث الغالبة على ابن الإنسان في الإنجيل الرّابع هي: (١) شخصيّةٌ سماويّة؛ (٢) كاشفٌ (Revealer) لله؛ (٣) مخلّص: إنّه شخصيّةٌ سماويّة، اللّوغس (الكلمة) الإلهيّ النّازل من السّماء، وعلى هذا النّحو تَظهر مهمّته ككاشفٍ للأسرار السّماويّة عن الله (راجع ١: ١٨)، ويُصبح بالتّالي مخلّص العالم. «ابن الإنسان» هو، في المقام الأوّل، الكلمة المتجسّد وليس الإنسان يسوع النّاصريّ؛ هذا يعني أنّ الكلمة الإلهيّ نزل إلى الأرض كابن الإنسان متّخذًا كينونةً بشريّة، يسوع النّاصريّ، دون التّخلّي عن الألوهيّة أو العمل الإلهيّ للكلمة.

على الرّغم من كون «ابن الإنسان» اليوحنّاويّ القاضي، إلاّ أنّه لا يُمارس حقَّه كقاضٍ أو مُدَعٍّ؛ بدلاً من ذلك، **يحكم النّاس على أنفسهم** من خلال ردّهم على «ابن الإنسان»؛ وبالتّالي، فإنّ الإنجيل الرّابع لا يتصوّر حضورًا اسكاتولوجيًّا أو دينونةً نهائيّة، لأنّ يوم القضاء والخلاص يحدث في كلّ مرّةٍ يلتقي فيها الإنسان «ابن الإنسان»، إذ إنّه أتى ليكشف الله بسلطانٍ فريد، بحيث يحكم العالم على نفسه بناءً على قبول أو رفض هذا الكشف.

٣. استخدامات اللّقب في الإنجيل الرّابع

أ. السّماء المفتوحة (١: ٥١)

نلاحظ أنّ الفصل الأوّل من إنجيل يوحنّا مليءٌ بالتّسميات الّتي تنطبق على يسوع: الله (١: ١)، الابن (١: ١٨)، الحمل (١: ٢٩، ٣٦)، ابن الله (١: ٣٤)،

المسيح (١: ٤١)، وابن يوسف (١: ٤٥). يشير لقب «ابن الإنسان» إلى لغة يسوع، المتعلّقة بإعلان هُويّته. آمن نثنائيل بيسوع بناءً على معرفته الوثيقة به؛ إلاّ أنّ يسوع وعده بأنّه «سيُعاين أمورًا أعظم من ذلك»؛ مُشدّدًا على عبارة «الحقّ الحقّ أقول لكم»، وعد يسوع كلّ التّلاميذ بأنّهم «سيرَون السّماء مفتوحةً، وملائكة الله يصعدون وينزلون على ابن الإنسان». في هذه اللّغة تلميحٌ واضحٌ إلى رؤيا يعقوب: «فرأى حُلمًا كأنّ سُلَّمًا منتصبةً على الأرض ورأسها إلى السّماء وملائكة الله تصعد وتنزل عليها» (تكوين ٢٨: ١٢). إنّها استعارةٌ غنيّةٌ تتضمّن، على الأرجح، أفكارًا عدّة: يسوع هو الّذي يُجسّد في شخصه تقاطع الألوهيّة والإنسانيّة معًا؛ إنّه كلمة الوحي الإلهيّ الّذي يُخاطب البشريّة من خلال وجود المجد الإلهيّ. تُصوّر «السّماء المفتوحة» الحقيقة الإلهيّة المُنسكبة في العالم، والّتي تتضمّن الحكم (راجع أشعيا ٢٤: ١٨؛ يوحنّا ٥: ٢٧) والحياة (راجع تثنية ٢٨: ١٢؛ يوحنّا ٦: ٥٣): **يسوع مركز المجد الإلهيّ على الأرض –المكان الّذي تجتمع فيه السّماء والأرض معًا.**

ب. نيقوديمس (٣: ١٣-١٤)

ردًّا على استفسارات نيقوديمس، يُعلن يسوع أنّ شعب الملكوت يولد «من عَلُ» (أو «مرّةً ثانيةً») من خلال عمل الرّوح؛ يُشكّل هذا بالنّسبة إلى يسوع، أمرًا «سماويًّا»، والوحيد الّذي يُمكنه التّحدُّث عنه هو «الّذي جاء من السّماء، ابن الإنسان»؛ فالّذي «نزل من السّماء» هو، في الوقت عينه، الوحيد الّذي يُمكنه أن «يذهب دومًا إليها»: هذه هي بالتّحديد لغة النّزول والصّعود؛ «فابن الإنسان» هو شخصيّةٌ سماويّةٌ جاءت من السّماء (التّجسُّد؛ راجع ١: ١٤)، وتعود إلى السّماء (الصّعود؛ راجع ٢٠: ١٧).

ومع ذلك، فبين النّزول والصّعود يقع الحدث الخلاصيّ الحاسم: «الارتفاع»؛ على مثال الحيّة في البريّة (راجع عدد ٢١: ٤-٩)، «هكذا ينبغي أن يُرفَع ابن الإنسان»؛ لقد حَفِظَت حادثة البريّة هذه الّذين وضعوا ثقتهم بالله من خلال النّظر إلى الحيّة، ودانت، في الوقت عينه، أولئك الّذين رفضوا. بنفس الطّريقة، سيُخلِّص صليب يسوع أولئك الّذين يؤمنون، ويدين أولئك الّذين يرفضون الابن (راجع ٣: ١٦، ٣٦)، إذ إنّ الحياة تكون للّذين يؤمنون، والحكم للّذين لا يفعلون ذلك.

ت. الحكم (٥: ٢٧)

يتحدّث يسوع عن موضوعٍ مماثلٍ في يوحنّا ٥: ٢٤: «إنّ مَن يسمع كلامي ويؤمن بالّذي أرسلني، فله الحياة الأبديّة»، وفي الوقت عينه، يتحدّث عن إدانةٍ لأولئك الّذين لا يؤمنون في يوحنّا ٥: ٢٩: «... والّذين عملوا السّيّئات إلى قيامة دينونةٍ»؛ لقد أُعطِيَ ابن الله «سلطانًا أن يُجريَ الحكم لأنّه ابن الإنسان». هذا الحكم هو ذو طابعٍ اسكاتولوجيٍّ، لأنّه يحدث عندما تأتي السّاعة الّتي فيها سيسمع الأموات صوت ابن الإنسان ويقوموا، إمّا للحياة أو الإدانة، ذلك أنّ الابن يتمتّع بسلطان إعطاء الحياة (٥: ٢١) أو الإدانة لأنّه القاضي العادل (٥: ٢٧).

ث. الطّعام الحيّ (٦: ٢٧، ٥٣، ٦٢)

يقول يسوع لأولئك الّذين يبحثون عن الأرغفة، الّتي تُشبعهم لفترةٍ زمنيّةٍ محدَّدةٍ فقط، إنّ «ابن الإنسان» قادرٌ أن يُعطيكم «الطّعام الباقي لحياةٍ أبديّة» (٦: ٢٧)؛ في الواقع، إنّ «ابن الإنسان» هو نفسه خبز وليمة الفصح الحيّ:

إنّه «خبز الحياة» (٦: ٣٥). إنّ الحياة الأبديّة حاضرةٌ الآن، لكنّها، في الوقت عينه، اسكاتولوجيّة، لأنّها حياة القيامة في اليوم الأخير: «هذه هي مشيئة الّذي أرسلني أنّ كلّ مَن يرى الابن ويؤمن به تكون له حياةٌ أبديّةٌ وأنا أُقيمه في اليوم الأخير» (٦: ٤٠).

ثمّ يُحدِّد يسوع حقيقة هذا الطّعام الحيّ الّذي يُعطي حياةً أبديّة: يجب على الإنسان، يقول يسوع، «أن يأكل جسد ابن الإنسان ويشرب دمه» من أجل الحصول على الحياة (٦: ٥٣). يُشير «اللّحم والدّم» بوضوحٍ إلى إنسانيّة «ابن الإنسان»، من ناحية، وإلى «الحياة الأبديّة» (٦: ٥٤) الّتي تأتي من خلال الأكل والشُّرب، لتدلّنا على طبيعة «ابن الإنسان» السّماويّة؛ فالأكل والشُّرب من جسد «ابن الإنسان» ودمه هما وسيلتان أساسيّتان تُساعدان الإنسان على «الثّبات في يسوع ويسوع فيه» (٦: ٥٦)...

إنّه اتّحادٌ روحيّ، علاقةٌ حميمةٌ أصبحت ممكنةً بفضل ذبيحة الحمل الفصحيّ، من جهة، وتناولنا من هذه الذّبيحة، من جهةٍ أخرى.

إنّ أكل جسد «ابن الإنسان» وشرب دمه يُجذِّران المؤمن في طبيعة «ابن الإنسان» الممجَّدة، هو الّذي «سيرَوه صاعدًا إلى حيث كان أوّلاً» (٦: ٦٢)؛ عودته إلى السّماء، أي صعوده، تُمكّن الرّوح من إعطاء الحياة حتّى عندما لا يُفيد الجسد شيئًا في حدّ ذاته (٦: ٦٣)؛ «فابن الإنسان» الممجَّد والصّاعد يُعطي الحياة لتلاميذه بقوّة الرّوح من خلال أكل جسده وشرب دمه.

ج. أصالة الابن (٨: ٢٨)

يسوع هو «نور العالم» (٨: ١٢)، وَحْي الله وكلمته. إنّ هذه الحقيقة متجذِّرةٌ في العلاقة الفريدة الّتي تربطه بالآب (٨: ١٦)، من ناحية، وفي كونه «ليس من هذا العالم» (٨: ٢٣)، من ناحيةٍ أخرى. لقد نزل من السّماء كمُرسَلٍ من الآب. إلاّ أنّ كشف هذه العلاقة تجلّى على الصّليب، عندما رفعت البشريّة «ابن الإنسان»: «متى رفعتم ابن الإنسان، فحينئذٍ تعرفون أنّي أنا هو ولستُ أفعل شيئًا من عندي ولكن كما علّمني أبي أقول» (٨: ٢٨). في تلك اللّحظة بالذّات سيتمّ الكشف عن الأصل السّماويّ ليسوع والعالم يُدان.

ح. شفاء الأعمى منذ مولده (٩: ٣٥)

شفى يسوع في أورشليم رجلاً وُلِدَ أعمى. نتيجةً لذلك، قام قادة الهيكل، الرّافضون قبول المعجزة، باستبعاده وحرمه من حقّه كعضوٍ في شعب الله؛ حين وجده يسوع، سأله قائلاً: «أتؤمن بابن الإنسان؟» (٩: ٣٥). إنّ ربط لقب «ابن الإنسان» بالعمل الشّفائيّ يعكس الحقيقة الاسكاتولوجيّة الّتي سيفتتحها «ابن الإنسان»، إذ لن يكون هناك بعدُ من لعنةٍ أو عمًى، بل انكشاف مجد الله فقط. يرى هذا الرّجل الأعمى في «ابن الإنسان»: الحياة والفرح؛ فلقد قاد هذا العمل الشّفائيّ الأعمى تدريجيًّا إلى معرفةٍ أعمق ليسوع: «إنسانٌ يُقال له يسوع» (٩: ١١)؛ «إنّه نبيٌّ» (٩: ١٧)؛ «من الله» (٩: ٣٣)؛ «ابن الإنسان» (٩: ٣٥)؛ وبالتّالي، فإنّ شفاء المولود أعمًى يُعلِن عن شخص يسوع أنّه جاء ليفتح بصيرة الإنسان الدّاخليّة، لكي يتعرّف المؤمنون على أسرار الله؛ وفي الوقت عينه،

ليفضح عمى القيادات الدّينيّة المرائية والمتعجرفة، الّتي لم تستطع أن تكتشف عماها الرّوحيّ وخطاياها.

خ. إرتفاع «ابن الإنسان» وتمجيده (١٢: ٢٣، ٣٤)

قد أتت «السّاعة» الآن؛ إنّها اللّحظة الّتي فيها يرتفع «ابن الإنسان»، وهذا يشمل طبعًا التّمجيد (١٢: ٢٣) والموت (١٢: ٣٢-٣٤) معًا. إنّ ارتفاع «ابن الإنسان» على الصّليب ما هو إلاّ تمجيدٌ لاسم الآب (١٢: ٢٨)؛ وهو يعني أيضًا أنّ على «ابن الإنسان» أن يموت، مثل «حبّة الحنطة» المزروعة في الأرض، لإنتاج الحياة. يُمجِّد «ابن الإنسان» الآب من خلال الطّاعة المُنقادة كتعبيرٍ عن العلاقة الّتي يكنّها الابن للآب (١٢: ٢٧-٢٨)، وهذا بالطّبع يُمجِّد الآب. إنّ «ابن الإنسان» هو حمل الله الّذي يذهب إلى الذّبح، ويرتفع على الصّليب من أجل العالم في طاعةٍ كليّةٍ للآب؛ فينبغي، بالتّالي، على التّلاميذ الّذين يخدمون يسوع أن «يتبعوه» في تكريمهم للآب، الّذي سيُكرِّم في المقابل كلّ مَن يخدم يسوع (١٢: ٢٦).

د. مجد الابن (١٣: ٣١)

إنّ مجد «ابن الإنسان» يهدف دومًا إلى تمجيد الآب من خلال موته، وكردٍّ سيُمجِّد الآب بدوره الابن. هذه هي حميميّة العلاقة القائمة بينهما: «ابن الإنسان» يُطيع الآب، والآب يُحِبّ الابن (٥: ٢٠)، وهما يشتركان في مجد الفداء من خلال دعوة البشريّة لتكون جزءًا من الكيان الوحدويّ القائم بين الآب والابن: «وأنا قد أعطيتهم المجد الّذي أعطيته لي ليكونوا واحدًا كما نحن واحدٌ» (١٧: ٢٢).

إنّ مجد الآب والابن هو إدراج البشريّة السّاقطة في الجماعة الثّالوثيّة، الآب والابن والرّوح، وهو يُشكّل موضوعًا بارزًا في الخطاب الوداعيّ (١٣: ٣١؛ ١٧: ٢٦).

٤. «ابن الإنسان» في اللّاهوت اليوحنّاويّ

إنّ هُويّة يسوع كابنٍ هو الّذي نزل من السّماء، طائعًا الآب، من خلال ارتفاعه على الصّليب من أجل أن ينال المؤمنون به حياةً أبديّةً في القيامة، والعُصاة (رافضوا الإيمان به) الحُكم على ضوء مجد الله.

• «ابن الإنسان» النّازل من السّماء، شخصيّةٌ سماويّة

إنّ دور يسوع على أنّه «ابن الإنسان» يرتبط بعُمقٍ بعلاقته الفريدة مع الآب كابنٍ لله، إذ إنّه «ابن الله» الّذي يأتي إلى الأرض «كابن الإنسان»؛ فلقد أَرسل الله «ابن الإنسان» من السّماء إلى الأرض ليُتمِّم خلاص البشريّة من خلال طاعته وكونه، في الوقت عينه، نور الله في وسط العالم المظلم؛ «فابن الإنسان» نزل من حالة الوجود الأزليّ على أنّه «الله» (١: ١)، متّخذًا جسدًا بشريًّا وساكنًا في ما بيننا (١: ١٤)؛ فهو الّذي كان في حضن الآب (١: ١٨)، أتى إلى الأرض ليكشف الآب: «مَن رآني فقد رأى الآب» (١٤: ٩)، ويمنح العالم السّاقط مجد الله. من هنا نؤكّد أنّ «ابن الإنسان» ليس مجرّد إنسانٍ، كمثل أيّ إنسان، إنّه الآتي من السّماء والعائد إليها.

• «ابن الإنسان» هو «المرتفع» على الصّليب

لقد كان «ارتفاعه» على الصّليب نتيجةً حتميّةً لطاعته الكلّيّة للآب؛ فالابن يُحِبّ الآب، يثق به، وبالتّالي يُطيعه من خلال الخضوع لمشيئته وحُكمه،

أي من خلال فعل ما أمره به، وما جاء في صلاة يسوع الكهنوتيّة كان خير دليلٍ على تسليم الذّات الكلّيّ: «قد أتممتُ العمل الّذي أعطيتني لأعمله» (١٧: ٦)؛ هذه العلاقة الحميمة تحمل ثمرة الفداء في الصّليب؛ ومع ذلك، فإنّ صليب يسوع يُخلِّص ويَدين على حدٍّ سواء؛ فالصّليب يقود البعض إلى علاقةٍ وثيقةٍ مع الآب، بينما يَصدّ البعض الآخر؛ يثق البعض في يسوع، بينما يرفضه البعض الآخر. إنّ الصّليب هو عمل الله الخلاصيّ للمؤمنين، وهو، في الوقت عينه، دينونةٌ لأولئك الّذين يُحبُّون الظّلمة: «هذه هي الدّينونة: أنّ النّور قد جاء إلى العالم والنّاس أحبُّوا الظّلمة على النّور» (٣: ١٩).

• «ابن الإنسان» الصّاعد إلى السّماء، شخصيّةٌ اسكاتولوجيّة

ما مكث «ابن الإنسان» راقدًا في مثوى الأموات، لكنّه وُلِدَ من جديدٍ بقوّة القيامة؛ البذرة الّتي زُرِعَت في الموت، أنتجت حياةً جديدةً في القيامة. في هذا المعنى يظهر «ابن الإنسان» انسانًا من المستقبل؛ إنّه **الإنسانيّة الجديدة الّتي تتوقّع خليقةً جديدة**. تفتتح القيامة هذه الحقيقة الجديدة الّتي ستكتمل في السّماء الجديدة، والأرض الجديدة (رؤيا ٢١: ١)؛ «فابن الإنسان»، كإنسانٍ جديد، يعود إلى السّماء؛ إنّه يصعد إلى الآب؛ إنّه سيسكب من هناك الرّوح القدس على تلاميذه، فيمتلئوا من قوّة الرّوح ومواهبه ليُتمِّموا، على مثال معلّمهم، الرّسالة الموكلة إليهم. بقوّة ذلك الرّوح، سيكون «ابن الإنسان» حاضرًا، بطريقةٍ روحيّة، وسط تلاميذه (والجماعة المؤمنة في ما بعد) من خلال الأكل والشّرب من الجسد والدّم الإلهيَّين، أي من خلال الإفخارستيّا أو عشاء الرّبّ: هذه هي الحياة الجديدة والحقيقيّة،

الحياة الأبديّة للصّاعد الّذي سيُقيمنا من الموت في اليوم الأخير؛ «فابن الإنسان» هو الضّامن لقيامتنا الشّخصيّة، وهو حياة قيامتنا، وذلك بسبب قيامته الخاصّة.

٢) «إبن الإنسان» في اللّاهوت الإزائيّ

مستعملاً هذا اللّقب، يرغب يسوع في تسليط الأضواء على **هُويّته وكرامته السّماويّة**، وعلى **وجوده السّرمديّ**، وعلى كونه الوحيد القادر على **افتتاح الملكوت الممجَّد**. ولكن من أجل تحقيق هذا، يجب على ابن الإنسان أن يُصبح العبد المتألّم ويُسلَم للموت الاختياريّ الخلاصيّ ويقوم في اليوم الثّالث (راجع مرقس ٨: ٣١ = لوقا ٩: ٢٢؛ متّى ١٧: ١٢ = مرقس ٩: ١٢؛ متّى ١٧: ٩ = مرقس ٩: ٩؛ متّى ١٧: ٢٢ = مرقس ٩: ٣١ = لوقا ٩: ٤٤؛ متّى ٢٠: ١٨ = مرقس ١٠: ٣٣ = لوقا ١٨: ٣١؛ متّى ٢٠: ٢٨ = مرقس ١٠: ٤٥؛ متّى ٢٦: ٢٤ = مرقس ١٤: ٢١ = لوقا ٢٢: ٢٢؛ متّى ٢٦: ٤٥ = مرقس ١٤: ٤١؛ متّى ١٢: ٢٠ = لوقا ١١: ٣٠).

يُشهَد **للدّور الإسكاتولوجيّ لابن الإنسان** في بعض الأقوال الّتي تتكلّم عن «يوم ابن الإنسان» (لوقا ١٧: ٢٢)، «**مجيء ابن الإنسان**» (متّى ٢٤: ٢٧، ٣٧-٣٩)، وعن «**مجيء ابن الإنسان في مجد أبيه ومعه الملائكة القدّيسين**» (مرقس ٨: ٣٨). أهمّيّةٌ خاصّةٌ تُعطى في سياقنا الحاليّ لتصريح يسوع أمام رئيس الكهنة: «أنت قلت. وأقول لكم إنّكم منذ الآن ترَون ابن الإنسان جالسًا عن يمين القدرة وآتيًا على غمام السّماء» (متّى ٢٦: ٦٤). نلاحظ أنّ يسوع قد استشهد بكلمات دانيال عن ابن الإنسان الآتي على غمام السّماء (٧: ١٣-١٤)،

وربطها بالمزمور ١١٠ الّذي يتكلّم عن «الرّبّ» الجالس عن يمين الله (متّى ١٦: ٢٧ = مرقس ٨: ٣٨ = لوقا ٩: ٢٦؛ متّى ٢٤: ٣٠ = مرقس ١٣: ٢٦ = لوقا ٢١: ٢٧؛ متّى ٢٦: ٦٤ = مرقس ١٤: ٦٢ = لوقا ٢٢: ٦٩؛ متّى ٢٤: ٤٤ = لوقا ١٢: ٤٠؛ متّى ٢٤: ٢٧ = لوقا ١٧: ٢٤؛ متّى ٢٤: ٣٧ = لوقا ١٧: ٢٦؛ متّى ١٣: ٤١؛ متّى ١٦: ٢٨ = مرقس ٩: ١؛ متّى ١٩: ٢٨؛ متّى ٢٤: ٣٠؛ متّى ٢٤: ٣٩؛ متّى ٢٥: ٣١؛ لوقا ١٢: ٨؛ لوقا ١٧: ٢٢، ٣٠؛ لوقا ١٨: ٨؛ لوقا ٢١: ٣٦).

في كتابات العهد الجديد، تتمثّل المهمّة الإسكاتولوجيّة الرّئيسة الخاصّة بمجيء ابن الإنسان في **الدّينونة الأخيرة «للخراف والجداء»** (متّى ٢٥: ٣١-٤٦). إنّ انتقال الدّينونة إلى يسوع «الدّيّان»، الّتي غالبًا ما ينسبها العهد الجديد إلى الله نفسه، ترتبط ارتباطًا مباشرًا بمفهوم ابن الإنسان الإسكاتولوجيّ. نجد فكرة يسوع الدّيّان أيضًا في عظة القدّيس بطرس في بيت كورنيليوس في سفر أعمال الرّسل: «... وقد أوصانا أن نُبشّر الشّعب ونشهد أنّه هو **الّذي اقامه الله ديّانًا للأحياء والأموات**» (١٠: ٤٢)؛ وقد جاء على لسان القدّيس بولس أيضًا في خطبته في الأريوباغس الأثينيّ في سفر أعمال الرّسل أيضًا: «... لأنّه حدّد يومًا **يدين** فيه العالم **دينونة عدلٍ** عن يد رجلٍ أقامه لذلك، وقد جعل للنّاس أجمعين برهانًا على الأمر، إذ أقامه من بين الأموات» (١٧: ٣١)؛ ومن هنا نُدرك سبب دعوة القدّيس بولس يسوع «**الرّبّ الدّيّان العادل**» (٢ تيموثاوس ٤: ٨). وهناك مصطلحٌ أخر يتكلّم عنه القدّيس بولس في رسائله هو «**منبر المسيح**» أو «**كرسيّ القضاء**»: «لأنّه لا بدّ لنا جميعًا من أن يُكشَف أمرُنا أمام

منبر المسيح لينال كلّ واحدٍ جزاء ما عَمِلَ وهو في الجسد، أَخَيرًا كان أم شرًّا» (٢ كورنثس ٥: ١٠؛ راجع أيضًا ١ كورنثس ٤: ٥).

نلاحظ أيضًا أنّ الإنجيل الرّابع يولي أهميّةً خاصّةً لعمل يسوع كقاضٍ، وهو الإنجيليّ الّذي لم ينسَ **الطّبيعة الإسكاتولوجيّة للدّينونة** من خلال الإشارة إلى تعبير «**اليوم الأخير**»: «مَن أعرض عنّي ولم يقبل كلامي، فله ما يُدينُه: الكلام الّذي قُلتُه يدينه في **اليوم الأخير**» (١٢: ٤٨)، ناهيك عن أنّ هذا التّعبير اليوحنّاويّ مرتبطٌ ارتباطًا مباشرًا **بالقيامة في اليوم الأخير** (٦: ٣٩، ٤٠، ٤٤، ٥٤). فالله، وبحسب هذه النّصوص الإنجيليّة، قد أولى الرّبّ يسوع «سلطة إجراء القضاء لأنّه ابن الإنسان» (يوحنّا ٥: ٢٧)، وهو الّذي سيَدين العالم باسم الله.

«**ابن الإنسان**» و«**العبد المتألّم**»: لقد وحّد يسوع في مقاطعَ إنجيليّةٍ مختلفةٍ العنوان «ابن الإنسان» مع «العبد المتألّم». فعندما يُسمّي يسوع نفسه «ابن الإنسان» فإنّما يُصبح هذا الأخير إعلانًا للاتّضاع: «لأنّ ابن الإنسان لم يأتِ ليُخدَم، بل ليَخدُم، ويُقدِّم نفسه فداءً عن كثيرين» (مرقس ١٠: ٤٥). يشرح يسوع حياته البشريّة وموته بتعابيرَ تَصِفُ مَهمّة العبد المتألّم ورسالته الفدائيّة: «وبدأ يعلّمهم أنّ ابن الإنسان يجب عليه أن يُعانيَ آلامًا شديدة، وأن يرذله الشّيوخ وعظماء الكهنة والكتبة، وأن يُقتل، وأن يقوم بعد ثلاثة أيّام» (مرقس ٨: ٣١). نستطيع القول إذن إنّ العنوان «ابن الإنسان» يُطبَّق على حياة يسوع الأرضيّة الّتي تلفت الانتباه إلى تواضعه. إنّ مسلّمة تجسُّد ابن الإنسان وحقيقة أنّه يجب أن يُعانيَ الآلام وأن يُقتل يفرض علينا فكرة «التّواضع – الإتّضاع» كنتيجةٍ لذاك التّجسّد أو إخلاء «إفراغ» الذّات الّذي قام به الإله السّماويّ

(راجع فيلبّي ٢: ٦–١١): «إنّ للثّعالب أوجرة، ولطيور السّماء أوكارًا، وأمّا ابن الإنسان فليس له ما يضع عليه رأسه» (متّى ٨: ٢٠).

عودٌ على بدء نؤكّد أنّ «ابن الإنسان»، بحسب اللّاهوت الإزائيّ، هو: (١) المُعلِنُ ملكوت الله والغافرُ الخطايا على الأرض، (٢) العبد المتألّم المسيحانيّ، (٣) الممجَّد في السّماء كقاضٍ اسكاتولوجيّ. يظهر «ابن الإنسان» الإزائيّ كإنسانٍ (على مثال «ابن الإنسان» الحزقياليّ، حيث ورد هذا اللّقب ٩٣ مرّةً)، يسوع النّاصريّ، الّذي كلّفه الله ليُعلن ملكوته القريب، وأن يغفر الخطايا على الأرض. باصطدامه مع السّلطات الدّينيّة اليهوديّة، اختار «ابن الإنسان» الإزائيّ أن يتألّم، ليُتمِّم في نفسه ما جاء في نشيد العبد المتألّم الأشعيويّ (الفصل ٥٣). لقد أنقذ الله «ابن الإنسان» هذا بقيامته من بين الأموات وإعلائه إلى السّماء كقاضٍ اسكاتولوجيّ سيُنفِّذ الحكم النّهائيّ عند مجيئه الثّاني في نهاية الأزمنة.

خلاصة: «ابن الإنسان» ما بين الإزائيّين ويوحنّا

إنّ «ابن الإنسان» اليوحنّاويّ يختلف كثيرًا عن «ابن الإنسان» الإزائيّ. «فابن الإنسان» الإزائيّ هو الإنسان يسوع الّذي من النّاصرة، الّذي ارتفع إلى الحالة السّماويّة كقاضٍ اسكاتولوجيٍّ، وهو الّذي سيعود في المجد ليدين العالم. في المقابل، «ابن الإنسان» اليوحنّاويّ هو الكلمة الإلهيّ، الّذي نزل من السّماء وتجسّد في شخص يسوع، والّذي سيعود بعد أن يُتمِّم تدبير الآب الخلاصيّ إلى وطنه السّماويّ بشكلٍ دائم. إنّ «ابن الإنسان» اليوحنّاويّ، كقاضٍ اسكاتولوجيّ، اختار ألاّ يدين العالم بل يُخلّصه.

لذا نَخلُص إلى ما يلي: (١) لا يتأثّر «ابن الإنسان» اليوحنّاويّ بحزقيال أو الكتاب الرّابع من عزرا عزرا أو الإزائيّين؛ (٢) تأثيرٌ واضحٌ من «ابن الإنسان» الدّانياليّ (الفصل ٧). وبالتّالي، فإنّ المساهمة الفريدة للإنجيل الرّابع تكمن في أنّ «ابن الإنسان» اليوحنّاويّ لن يُمارس عمله كقاضٍ اسكاتولوجيّ، لكنّه سيعمل في العالم كمخلِّصٍ إلهيّ.

٣) اللّغة المكانيّة في الإنجيل الرّابع: التّزول/الصّعود

كما نجد قبر المسيح قرب الصّليب، كذلك يكون موضع الصّلب أيضًا قرب موضع القيامة. وفي أورشليم، بازيليك القبر المقدّس تسمّى أيضًا بازيليك القيامة. هذا ما يعطينا صورة عن النّظرة اليوحناويّة الّتي بحسبها كانت القيامة جزءًا لا يتجزّأ من الآلام، والّتي فيها يكون الموت عينه في نظر يوحنا ارتفاعًا في المجد، في ساعة الموت. فساعة يسوع تضمّ الزّمانين في السّرّ الفصحيّ: **فابن الانسان «نزل» في وسط الجنس البشريّ، ولكن ليحمل أَخِصّاءه في «صعوده» نحو الآب، ويُدخلهم إلى شكل جديد من الحياة** (١: ١١–١٣). فهذا الخطّ من العودة الصّاعدة يمرّ في ارتفاع الصّليب.

إنّ اللّقاء بين السّماء والأرض، بحسب يوحنّا، يبدأ في داخل تاريخنا. «فإلى العالم» جاء الكلمة لكي يخلق لنا مساحةً جديدة. هو مركز هذه المساحة لأنْ فيه قد فُتحت لنا السّماء منذ الآن؛ فلا مسافة يصعب اجتيازها بين «فوق» وبين «تحت». ويستطيع التّمثّل المصوَّر أن يفترق عن كلّ سندٍ ماديّ؛ وهذا ما نقدر أن نلاحظه مثلاً في المقابلة بين خبرين: لقاء يسوع مع نثنائيل (١: ٥١)

وحلم يعقوب (تكوين ٢٨: ١٢): في سفر التّكوين، «سلّمٌ منتصبٌ على الأرض ورأسه يلامس السّماء، وإذا ملائكة الله **صاعدون نازلون** عليه». عند يوحنّا، ألغيت بكلّ بساطةٍ هذه الصّورة الجميلة، صورة السّلّم السّماويّ: «الحقّ الحقّ أقول لكم: سترَون السّماء مُنفتحة، وملائكة الله **صاعدين نازلين** فوق ابن الانسان»؛ ولكن يبقى أنّ الملائكة يصعدون قبل أن ينزلوا، ساعة كنّا ننتظر عكس ذلك؛ فقد أخذت الصّورة من النّاس الّذين يتوسّلون السّلّم لكي يصعدوا على سقف البيت ثمّ لينزلوا من هناك. لا يهتمّ يوحنّا بماديّة هذه الصّورة. بل هو يريد قبل كلّ شيءٍ أن يبيّن أنّ حلم يعقوب صار حقيقةً مستمرّةً بالنّسبة إلى المؤمنين. فلغته الرّمزيّة تفترق كليًّا عن التّمثّلات المكانيّة لدى الغنوصيّين، لأنّ الولادة «من علُ» تتيح لنا أن نبقى في العالم دون أن نكون من العالم.

«فما من أحدٍ يقدر أن يصعد إلى السّماء إلاّ الّذي نزل من السّماء» (٣: ١٣)، هذا التّمثّل المصوّر «للنّزول من السّماء» هو بشكلٍ أكيدٍ عبارةٌ أساسيّةٌ في الخطبة حول خبز الحياة (ف ٦). وتجاه مَنّ البريّة، كشف يسوع خبزَ السّماء الحقيقيّ، لأنّه ينزل من السّماء ويعطي الحياة للعالم. في هذا النّصّ الكبير، ينطبق فعل «نزل» سبع مرّاتٍ على المسيح، إمّا شخصيًّا، وإمّا في رمز الخبز. وفي النّهاية، أعلن يسوع للسّامعين الّذين تشكّكوا: «فكيف لو رأيتم ابن الإنسان يصعد إلى حيث كان قبلاً؟» (٦: ٦٢)؟

إنّ هذا الصّعود لا بدّ أن **يمرّ عبر تمجيد الصّليب**. فبين التّجسّد وتمجيد الصّليب والحضور الإفخارستيّ نجد تواصلاً لا يحمل أيّة قطيعةٍ مكانيّة. ويُشرَح هذا التّمثّل المصوَّر بمجموعة الإنجيل الكبرى:

في **قسمٍ أول**، تظهر مسيرة المسيح بشكل نزول: منذ تجسّد الكلمة، يبدأ نزولٌ من السّماء حتّى النّزول إلى كفرناحوم من أجل الخطبة حول خبز الحياة الّتي هي النّقطة الأخيرة في التّجسّد؛ وفي **قسمٍ ثان**، يبدأ الصّعود، منذ الصّعود إلى أورشليم (٧: ١٠) حتّى الارتفاع على الصّليب، والصّعود النّهائيّ إلى الآب (٢٠: ١٧). **هذه المسيرة هي لاهوتيّة، أكثر منها جغرافيّة**، ولا تتضمّن أبدًا فصلاً مكانيًّا بين «عالمين اثنين». «فنزل وصعد» لا يدلاّن على مجرّد تنقّلٍ في المكان، بل دخول الكلمة دخولاً تدريجيًّا في عالمنا. ونبدأ فنتوقّف عند نصوصٍ تشير إلى صعود يسوع إلى أورشليم في عيد المظال: «... وحيث أنا ذاهبٌ فأنتم لا تستطيعون أن تأتوا... أنتم من أسفل وأنا من عَلُ. أنتم من هذا العالم، وأنا لست من هذا العالم» (٨: ٢١-٢٣). يسوع ينزل ويصعد بحسب هذه النّصوص. وحيث يمضي لا يستطيع اليهود اللّامؤمنون أن يتبعوه دون أن يمرّوا عبر **ارتدادٍ جذريّ** (٨: ٢١). غير أنّ هذا الوضع ليس بدون دواء، وكأنّه مصيرٌ رُسم مسبقًا لكلّ واحدٍ منهم. **فكلّ انسانٍ يستطيع بكامل حرّيته أن يختار طريقه مع المسيح. أمّا المؤمن الّذي ينخرط في هذا «الخروج» الجديد**، فعليه أن يُرفع هو أيضًا على الصّليب ليسعى «إلى الأمور الّتي في العُلى حيث المسيح قد جلس عن يمين الله. إرغبوا في الأمور الّتي في العُلى، لا في الأمور الّتي في الأرض» (كولسّي ٣: ١-٢) حيث تلتقي التّمثّلات اليوحنّاويّة والتّمثّلات البولسيّة.

وهكذا، فلم تعد القضيّة في أن نتمثّل السّماء كموضعٍ كونيّ، بل كحياةٍ حميمةٍ مع الله.

وما يلي من النّصّ يحدّد ارتفاع المسيح وارتفاع المسيحيّ في منظار شخصانيّ: «إنّ الّذي أرسلني هو معي، لم يتركني وحدي، لأنّي أعمل دائمًا ابدًا ما يُرضيه» (٨: ٢٩). نحن من فوق، «فوق المسيح»، حين نُنقل إلى هذا الشّكل الجديد من الحياة، ونصنع دومًا ما يُرضي الآب. فما تحقّق مرّةً واحدةً للجميع في شخص المسيح حين جمع العالم العلويّ والعالم السّفليّ، يجب على كلّ واحدٍ منّا أن يتركه يتحقّق في ذاته لئلاّ يبقى «وحده أبدًا». هكذا يتجاوز الإنجيل تمثّلات الغنوصيّة الثّنائيّة حيث يُقسَم الكون إلى منطقتين لا تتداخلان.

ونصل إلى الفصل الثّاني عشر حيث جاءت السّاعة بالنّظر إلى يسوع، لكي يواجه «رئيس العالم»: «اليوم دينونة هذا العالم. اليوم يُطرَد سيّد هذا العالم إلى الخارج. وأنا إذا رُفِعتُ من الأرض، جذبتُ إليّ الجميع» (١٢: ٣١-٣٢). نلاحظ أنّ دينونة هذا العالم تتمّ هنا دون أيّ حربٍ بين المخلّص ورئيس هذا العالم. فالمهمّ هو أنّ محنة الصّليب ليست سقوطًا في الهاوية، بل انطلاقةً إلى الحياة. إنّ هذا الارتفاع ضروريّ كما يُبيِّن ذلك الإنجيليّ الحبيب: «وكما رفع موسى الحيّة في البريّة، فكذلك يجب أن يُرفع ابن الإنسان، لتكون به الحياة الأبديّة لكلّ مَن يؤمن» (٣: ١٤-١٥)، **لأنّه بدون هذا الارتفاع يبقى عمل المسيح عملاً بشريًّا محضًا وذا بُعدٍ واحد. فلا يكفي أن ينزل ابن الانسان إلى وسط المعمعة البشريّة، بل عليه أن يصعد إلى حميميّة الآب.** وهذا الخطّ من الصّعود الّذي تحدّثنا عنه في البداية يمرّ في تمجيد الصّليب، لا في موضعٍ آخر. **هي ساعة العبور من هذا العالم إلى الآب.** والبداية الاحتفاليّة في الفصل الثّالث عشر تجمع السّمات الجوهريّة لهذا المقطع الّذي يشكّل السّرّ الفصحيّ:

«... كان يسوع يعلم بأنْ قد أتت ساعة انتقاله عن هذا العالم إلى الآب، وكان قد أحبّ خاصّته الّذين في العالم، فبلغ به الحبّ إلى أقصى حدودِه... وأنّه خرج من الله، وإلى الله يمضي» (١٣: ١-٣). قبل ذلك الوقت، وَعَدَ يسوعُ المؤمن أنّه يعبر من الموت إلى الحياة (٥: ٢٤). والآن يمرّ يسوع نفسه من هذا العالم المائت إلى حياة الآب الّذي هو حيٌّ دائمًا. هذا لا يُبرز فقط الانطلاق الاحتفاليّ، بل مجموعة مسيرة يسوع الّذي يقود أحصّاءه من أسفل إلى أعلى، نحو الآب، عبر الصّليب والقيامة. لا شكّ في أنّه ليس هناك من فصلٍ بين عالمين. فالابن لا يعود إلى حضن الآب وكأنّه يرذل تجسّده في العالم. بل بالأحرى هو يمضي إلى الآب حاملاً في طريقه البشريّة الّتي يبقى على الدّوام متضامنًا معها.

وظهورات القائم من الموت (الفصول ٢٠-٢١) لا تكشف لنا فقط قيامة يسوع، بل تكشف بشكلٍ خاصٍّ حضوره الّذي تجلّى والّذي لا يقدر أن يدركه سوى من ينظر إليه **نظرة الايمان**. لم تستوعب مريم المجدليّة بُعد حدث القيامة فأرادت أن تحتفظ به في وضع المائت. فاجتذبها يسوع إلى نمطٍ جديدٍ من العلاقات: «لا تُمسكيني، إنّي لم أصعد بعدُ إلى أبي، بل اذهبي إلى إخوتي، فقولي لهم إنّي صاعدٌ إلى أبي وأبيكم، وإلهي وإلهكم» (٢٠: ١٧).

لا يشير بلاغ يسوع هذا إلى الصّعود في اليوم الأربعين، كما يشدّد عليه بعض الشّرّاح. بل يشير إلى مجمل الواقع الفصحيّ في أعمق مدلوله. وصعود يسوع إلى ينبوع الحياة الّذي منه نزل إلى البشر، يتوخّى تبادلاً عجيبًا: يعطيهم سلطانًا به يصيرون أبناء الله. **فأخبار القيامة لا تكشف انفصالاً**، بل اتّحادًا مع المسيح القائم من الموت. لهذا لا يصحّ أن نتخيّل الظّهورات بصورةٍ مكانيّة،

وكأنّ المسيح ينتقل دومًا من عالمٍ إلى آخر، أو هو سيعتزل في سمائه بين ظهورين. بل هو الآن حاضرٌ في كلّ نقاط الكون، حاضرٌ بالضّرورة الّتي بها يكون الله حاضرًا لخليقته في كلّ مكان. ذاقت مريم المجدليّة طعمًا مسبقًا لهذا الحضور الجديد ساعة اللّقاء في البستان. ويتوضّح المعنى المكانيّ للألفاظ بشكلٍ أكبر أيضًا في خطب الوداع. هنا، يُستعاد موضوع الطّريق بحيث إنّ التّمثّل المكانيّ يُمّحى محوًا كليًا: «أنا هو الطّريق والحقّ والحياة. لا يمضي أحدٌ إلى الآب إلاّ بي» (١٤: ٦).

إذن، **يجب أن نطلب المسيح، نجده، نصعد، وفي النّهاية نقيم معه في حميميّة الآب**. ونستطيع أن نعبّر عمّا هو جوهريّ اليوم في **لغةٍ أنثروبولوجيّة**: فالمسيح يعيش خبرةً حميمةً مع الآب فيها يجتذب كلّ مَن يريد أن يتبعه. وننهي بشكلٍ موجزٍ مع مطلع الإنجيل اليوحنّاويّ، هذا النّصّ العظيم الّذي يبدأ وينتهي حين يرينا الكلمة لدى الله (١: ١) والابن في حضن الآب (١: ١٨). وبين هذين الانفتاحين على اللاّمحدود، تُصوَّر رسالةُ الكلمة وسط البشر: «كان في العالم، وبه كان العالم... جاء إلى خاصّته... وأعطى جميع الّذين قبلوه سلطانًا به يصيرون أبناء الله» (١: ١٠–١٢). هذه الحركة الرّمزيّة من النّزول من عند الله والصّعود إلى الله، تقابل النّصّ الشهير الّذي يعلن فيه يسوع: «خرجت من لدن الآب وأتيتُ إلى العالم. أمّا الآن، فإنّي أترك العالم وأمضي إلى الآب» (١٦: ٢٨). ومع ذلك، فالكلمة كان في العالم، والعالم وُجد به. فإنْ أتمّ الكلمة هذا العبور، فإنّه يجتذبنا معه إلى عالمٍ جديدٍ من الحياة. ونستطيع أن نكتشف في المطلع بنية «الآب– العالم– الآب»، ونستطيع أن نرسم هذا في خطٍّ قطعيّ موافقٍ يلامس

أساسُه الأرض ويمتدّ فرعاه إلى اللّامحدود. كلّ شيءٍ ينطلق من الله، وبالتّجسّد يعود كلّ شيءٍ إليه. ليس هناك من جهةٍ أولى هي الله، ومن جهةٍ ثانية هي العالم: **هناك الله الّذي يعمل في العالم**. بما أنّ الكلمة هو في بيته في كلّ مكان، فالثّنائيّة اليوحنّاويّة الظّاهرة ليست كونيّةً كما في الغنوصيّة:

> إنّها إسكاتولوجيّةٌ وأخلاقيّة، لأنّها تقيم في قلب كلّ إنسان، وهو ضعيفٌ وخاطئ، ولكنّه يستطيع أن يرتدّ إلى الله ويتّحد به؛ فالإنسان يستطيع أن يختار حرًّا طريق المسيح، ولكن عليه أن يتقبّل هذا التّحوّل الرّوحي الآتي «من فوق» كعطيّة الولادة الجديدة.

خاتمة

في الختام، حَرِيٌّ بنا أن نُثير أمرًا على جانبٍ كبيرٍ من الأهميّة والمعنى للكنيسة المعاصرة. هناك أربع نقاطٍ تكتسب أهميّةً خاصّةً لمسيرتنا الآنيّة مع الله، تأتي على النّحو التّالي:

١) «ابن الله» أصبح «ابن الإنسان» من أجل الكشف عن الآب. نحن نعرف الآب بشكلٍ واضحٍ وأساسيٍّ من خلال يسوع، «صورة الله غير المنظور» (كولسّي ١: ١٥). إنّ «ابن الإنسان» هو، بالتّالي، الجسر بين الله والبشريّة؛ إنّه التّقاطع بين السّماء والأرض، وأن تراه، أي أن تعرفه، يعني معرفة الآب (١٤: ٨-١٠).

٢) إنّنا، من خلال «ابن الإنسان»، متّحدون مع الآب، ومُختبِرون العلاقة الحميمة عينها الّتي تربط «ابن الإنسان» مع الآب. الآب يُحِبّنا مثلما يُحِبّ الابن: «أنّك أحببتهم كما أحببتني» (١٧: ٢٣). يسكن الآب فينا ونحن فيه تمامًا كما سكن الآب في الابن والابن فيه. لم يتخلَّ الآب والابن عنّا عندما عاد هذا الأخير إلى السّماء، لكنّه أرسل الرّوح القدس ليسكن فينا، ومن خلاله نختبر اتّحاد الله الثّالوث الوثيق ومحبّته. لذا فإنّ علاقتنا الحميمة مع الآب في الابن من خلال الرّوح حقيقيّةٌ وأصيلة، وهي مُتاحةٌ لكلّ أولئك الّذين يؤمنون بالّذي «رُفِعَ» على الصّليب من أجلنا لمجد الله.

٣) لا يزال «ابن الإنسان» حاضرًا في العالم من خلال قوّة الرّوح القدس عندما نأكل جسده ونشرب دمه على مائدة الرّبّ؛ فبينما لا يعني الجسد شيئًا، يُعطي الرّوح

حياةً أبديّةً من خلال هذا الأكل والشّرب. إنّ لغة يسوع الواقعيّة/الحقيقيّة تُزعج الكثيرين، كما فعل التّلاميذ مرّةً حين كلّمهم يسوع بهذا الوضوح (راجع ٦: ٦٠، ٦٦)، لأنّها لغةٌ تتطلّب اتّحادًا روحيًّا بين يسوع وتلاميذه من خلال الرّوح القدس، وإلاّ فإنّها لن تُدرَك بالمفاهيم الأرضيّة والمنطق البشريّ البحت. نتنعّم، بواسطة الرّوح، بالمغفرة الّتي أنتجها موت يسوع (الجسد والدّم) لنا، وننال أيضًا الحياة الأبديّة، الّتي اختبرناها باتّحادنا مع الله الثّالوث، من جهة، ومع أولئك الّذين يتّكؤون على مائدة الأكل والشّرب في ملكوت الله، أولئك المدعوّون إلى وليمة الحمل في أورشليم السّماويّة (راجع رؤيا ١٩: ٩)، من جهةٍ أخرى؛ هذه هي ميزة حياة الجماعة المسيحيّة: الغذاء الرّوحيّ، الّذي من خلاله نتذوّق طَعم الحياة الأبديّة في الزّمن الآني، ونحن ما زلنا نعيش بأجسادنا التّرابيّة المائتة.

٤) كما أنّ «ابن الإنسان» أُرسل إلى العالم من قِبَل الآب، فها هو الآن يُرسل تلاميذه. لقد كان «ابن الإنسان» مُطيعًا، فتجلّت هذه الطّاعة على الصّليب؛ وينبغي على أولئك الّذين يؤمنون به أن يتبعوه، حتّى لو بلغ بهم ذلك إلى الصّليب؛ تمامًا «كابن الإنسان»، نحن مُرسَلون إلى العالم من أجل العالم لمجد الله؛ فرسالته أضحت رسالتنا. أن نطيع الآب يعني أن يُشِعّ مجد الله في العالم. من هنا تتلخّص رسالتنا على النّحو التّالي: **مُخلَّصون من الآب، مُرسَلون من يسوع، ومُفوَّضون من الرّوح القدس.**

القسم الخامس

الرّسالة اليوحنّاويّة

بين فرح الزّارع والحاصد معًا (٤: ٣٦)

مقدّمة: خطوط «الرّسالة» العريضة كما رسمها الإنجيل الرّابع

الرّسالة هي مَهمّةٌ محدَّدةٌ أو هدفٌ، يسعى شخصٌ أو مجموعةٌ لاتمامه، وينطوي على أساليبَ للحركة متنوّعةٍ، سواءٌ أن تكون مُرسِلاً (الآب، يسوع) أو مُرسَلاً (التّلاميذ، المؤمنين)، المجيء والذّهاب، النّزول والصّعود، التّجميع عن طريق توجيه الدّعوة للاتّباع. يُقدِّم الإنجيل الرّابع، رسالة يسوع، بطريقةٍ تُعزِّز إيمان قارئيه بيسوع على أنّه المسيح.

يُصوِّر الإنجيل الرّابع رسالة يسوع، بناءً على ثلاثة تأكيداتٍ رئيسيّة: **(١)** يسوع، الابن المُرسَل من الآب؛ **(٢)** يسوع، الآتي إلى العالم والعائد إلى الآب؛ **(٣)** يسوع، المعلّم والرّاعي الاسكاتولوجيّ، الّذي يدعو الآخرين إلى أن يسيروا على خُطاه من أجل المساعدة في جمع الحصاد الاسكاتولوجيّ.

يُظهر عرض الإنجيل الرّابع لرسالة يسوع أنّ الإنجيليّ يوحنّا يُشدِّد على أن يفهم قارئ إنجيله ويُدرك أنّ يسوع شخصيّةٌ فريدةٌ بكلّ ما في الكلمة من معنى؛ فيسوع، وهو شخصٌ فريدٌ إذ يجمع في ذاته الألوهة فضلاً عن الإنسانيّة، دُعِيَ لتنفيذ رسالةٍ فريدةٍ بلغت ذروتها في ارتفاعه على الصّليب وتمجيده، وتأسيسه الجماعة المسيحانيّة الجديدة. إذًا، تكمن فرادة يسوع في شخصه وعمله الخلاصيّ (راجع ١: ١٤، ١٨؛ ٣: ١٦؛ ١٤: ٦). بالنّسبة إلى الإنجيليّ الرّابع يرتكز عمل الله للبشريّة في حدث صليب المسيح (راجع ٣: ١٦–١٧؛ ٤: ٣٤؛ ٦: ٥١–٥٨؛ ٨: ٢٨؛ ١٠: ١١، ١٥، ١٧–١٨؛ ١٢: ٣٢؛ ١٧: ٤؛ ١٩: ٣٠)، وفي كشفه الإلهيّ من خلال الكلمة والعمل (راجع ١: ١٤، ١٨)؛ راجع أيضًا «آيات» يسوع، وعبارة «أنا هو – ἐγώ εἰμι»).

يُشدِّد الإنجيليّ الرّابع على أنّ رسالة يسوع تهدف في أساسها إلى إعطاء الخلاص (غالبًا ما تُسمَّى «إعطاء الحياة»، راجع ٣: ١-١٧؛ ٦: ٥٣-٥٨؛ ١٠: ١٠؛ ١٧: ٢) ومغفرة الخطايا (راجع ١: ٢٩، ٣٦؛ ٢٠: ٢٣). حتّى آيات يسوع تتجاوز الأعمال الفعليّة له، لأنّها تعمل على كشف طبيعة مُرسِل يسوع، الآب، وعلى أصالة تمثيل يسوع للّذي أرسله.

أمّا بالنّسبة إلى رسالة التّلاميذ، فإنّ تأكيدَين رئيسيَّين يُعبِّران عن رؤية الإنجيل الرّابع لها: (١) اتّباع يسوع؛ (٢) وأن يكونوا مُرسَلين منه. ففي مقارنةٍ لرسالة يسوع مع تلك الّتي للتّلاميذ، فإنّ علاقة «الاتّباع والإرسال» تظهر: أن يكون التّلاميذ مُرسَلين، فهذا ينطوي على ثلاثة جوانب هامّة من رسالة يسوع المسيحانيّة وهي: (١) إلتزامٌ يعكس طاعة يسوع واتّكاله على مُرسِله (راجع ٢٠: ٢١: الابن المُرسَل)؛ (٢) إشتراكٌ في نهج يسوع الجديد (راجع ١٧: ١٨: يسوع الرّسالة)؛ (٣) مدعوّون إلى المساعدة في جمع الحصاد المسيحانيّ الاسكاتولوجيّ (راجع ٤: ٣٨: يسوع المعلّم والرّاعي الاسكاتولوجيّ).

من هنا سنؤكّد أنّ رسالة الجماعة المسيحيّة هي، على مثال تلك الّتي ليسوع، أن ترفع «خطيئة العالم» (راجع ١: ٢٩)، أن تَنقل البشر من الظّلمة إلى النّور: «أتيتُ أنا إلى العالم نورًا حتّى إنّ كلّ مَن يؤمن بي لا يمكث في الظّلام» (١٢: ٤٦)؛ إنّها، على مثال يسوع، مُرسَلَةٌ إلى العالم بوحيٍ من الله، وهي مثله أيضًا (راجع ١: ١١)، ستُقابَل بالرّفض من «اليهود» (الفصول ١-١٢)، وهذا يَظهر بشكلٍ جليٍّ في إصرار الإنجيليّ، في نهاية القسم الأوّل من إنجيله، أنّ الرّفض اليهوديّ للآيات الّتي فعلها المسيح، تُتمِّم بدورها نبوءة أشعيا (١٢: ٣٧-٤١)؛

ومن «العالم» (الفصول ١٣-٢١). إذ ذاك، سنُدرك أنّ عمل الجماعة، وفقًا للإنجيل الرّابع، يكمن في إمكانيّة اهتداء البشر وخلاصهم في العالم؛ كذلك، سنلحظ أنّ الإنجيليّ الرّابع قام بتبنّي استعارات الشّركة (الكرمة، القطيع)، الّتي كان ينسبها العهد القديم إلى شعب الله «إسرائيل»، ممّا يشير إلى ارتباطٍ تاريخيٍّ-خلاصيٍّ بين شعب العهد القديم والجماعة المسيحانيّة الجديدة: إنّه «إنجيليُّ شعب العهد».

إذًا، يُصوِّر الإنجيليّ الرّابع، رسالة الجماعة المسيحيّة، على أنّها جوهريًّا، رسالة يسوع الممجَّد، يقوم بها من خلال أتباعه، كما هو واضحٌ أيضًا في تعاليم بولس المتعلِّقة برئاسة المسيح على كنيسته، وهو حقٌّ يؤكّد قيادة يسوع لرسالة الكنيسة وتوجيهها، كما يظهر هذا واضحًا أيضًا في ختام إنجيل متّى: «فدنا يسوع وكلّمهم قائلاً: إنّي قد أُعطيتُ كلّ سلطانٍ في السّماء وعلى الأرض. فاذهبوا وتلمذوا كلّ الأُمم، مُعمِّدين إيّاهم باسم الآب والابن والرّوح القدس، وعلّموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيتكم به، وها أنا معكم كلّ الأيّام إلى انقضاء الدّهر.» (٢٨: ١٨-٢٠)، ذلك أنّ عمل الكنيسة لا يعتمد في أساسه على مفاهيم التّسويق أو الاستراتيجيّات البشريّة، بل جُلَّ ما تحتاج إليه الكنيسة المعاصرة أن تُخضع نفسها بوعيٍ ونضجٍ روحيٍّ لأهداف تاريخ الخلاص، من ناحية، وأن يعترفوا دومًا بسيادة الله في رسالتهم، من ناحيةٍ أخرى.

إنّ تأكيد الإنجيليّ الرّابع رفض يسوع من قِبَل شعبه، بما في ذلك صلبه، ينبغي أن يُعطي الكنيسة قوّةً جديدة، وخصوصًا في بعض أجزاء العالم حيث تعيش الكنيسة حالةً من الآلام والاضطهادات؛ فأن يجذب الله البشر إليه، وأن يمنحهم بدوره ليسوع (راجع ١٧: ٦، ٩، ١١-١٢)، هو في حدّ ذاته، تشجيعٌ للكنيسة

في إصرارها الثّابت على إعلان الإنجيل، الّذي يجب إيلاؤه مصداقيّةً من قِبَل أعضاء الكنيسة؛ فالمطلوب من أعضاء الكنيسة أن يتميّزوا بروح الخادم المتواضع (راجع ١٣: ١–١٥)، الحبّ المتبادل (راجع ١٣: ٣٥؛ ١٥: ١٣)، والوحدة (راجع ١٧: ٢١–٢٣): كلّ هذا يتطلّب من الكنيسة، المتابعة والاستمراريّة والمثابرة، في حال أرادت أن تكون رسالتها ناجحةً ومُثمرةً في العالم.

لا يمكن إحباط رسالة الله في هذا العالم؛ وهكذا، لا يجوز أبدًا أن يؤدّي رفض العالم للكنيسة ورسالتها إلى رفضٍ من جانب الكنيسة للعالم، لأنّ العالم يجب أن يبقى في عين الكنيسة موضع «حبّ الله الخلاصيّ»، وعلى أتباع يسوع، بالتّالي، أن يكونوا شهودًا حقيقيّين له في العالم والمحيط والبيئة الّتي يعيشون فيها (راجع ١٥: ١٨-٢٧)، لأنّهم، على مثال يسوع، أُرسِلوا إلى العالم (راجع ١٧: ١٨).

على الكنيسة أن تُبشِّر بيسوع على أنّه **الطّريق الوحيد إلى الآب** (راجع ١٤: ٦) وألاّ تتغافل عن إعلان هذه الحقيقة، بغضّ النّظر عن شعبيّة هذه الرّسالة في سياقها الحديث. من هنا، لا ينبغي أن تُمارَس رسالة الكنيسة كمشروعٍ فرديّ، بل بالحريّ أن تكون مُدعَّمةً بحياة الشّركة الجماعيّة، فيعكس أعضاؤها المحبّة والوحدة (راجع ١٣: ٣٤–٣٥؛ ١٥: ١٢؛ ١٧: ١١، ٢٠–٢٦)؛ على الجماعة المسيحيّة، إذًا، أن تتابع رسالتها لتمثيل المسيح، بنشاطٍ وهمّةٍ دائمة، في العالم.

إنّ نموذج رسالة الكنيسة يكمن في أن تكون **استمراريّةً** للعلاقة الّتي كانت قائمةً بين الله الآب كمُرسِل ويسوع كمُرسَل أثناء خدمته الأرضيّة (راجع ٢٠: ٢١)، وهذا يتمثّل في طاعة الكنيسة الّتي يجب أن تعكس، قبل كلّ شيء، صورة يسوع في اعتماده الكلّيّ على الله.

لذلك يجب استخلاص فهمنا لرسالة الكنيسة من فهمنا للابن؛ فالآب أرسل الابن ليكون مخلّص العالم، بتكفيره عن خطايانا، وإعطائنا الحياة الأبديّة؛ وبالتّالي، لا يُمكننا أن نكون نسخةً عنه في هذه الأمور، لأنّنا لسنا مخلّصين. ما يُمكن للكنيسة أن تقوم به يكمن في **طبيعة** العلاقة القائمة بين يسوع ومُرسِله، علاقة الطّاعة والاتّكال الكلّيّ على الّذي أرسله، فأضحت رسالته **نموذجًا حيًّا وحياتيًّا** لرسالتنا: «كما أرسلني الآب كذلك أنا أُرسلكم» (٢٠: ٢١). لذلك نؤكّد أنّ أتباع يسوع مدعوّون إلى أن يقتدوا بتفاني يسوع ونكرانه لذاته في سبيل أن يُعليَ مجد الّذي أرسله، وأن يَخضعوا، مُستَسلمين إراديًّا واختياريًّا، لمشيئة مُرسِلهم، وأن يُمثِّلوه بدقّةٍ ويعرفوه معرفةً وثيقةً، أي أن يكونوا «سفراء» له في هذا العالم (راجع ٢ كورنثس ٥: ٢٠).

لكن، بما أنّ المسيح فريدٌ من ناحية عمل الفداء، ينبغي إيجاد نموذجٍ للكنيسة يتمثّل في مجيء يسوع للخدمة: «فإنّ ابن الإنسان لم يأتِ ليُخدَم بل ليَخدُم وليبذل نفسه فداءً عن كثيرين» (مرقس ١٠: ٤٥)، «فإنّه مَن أكبر المتّكِئ أمِ الّذي يخدم؟ أليس المتّكِئ؟ فأنا بينكم كالّذي يخدم» (لوقا ٢٢: ٢٧). إذًا، إنّ الكنيسة مُرسَلةٌ إلى العالم، على مثال يسوع، للخدمة. لا بدّ، في هذا السّياق عينه، أن نُشير إلى **تجسيد رسالة الكنيسة**، كما ورد عند بولس الرّسول: إنّها، أوّلاً، «رسولةٌ»

خلاصٍ إلى العالم: «لأنّي إذ كنتُ حرًّا من الجميع جعلتُ نفسي عبدًا للجميع لأربح الأكثرين... صرتُ كلًّا للكلّ لأخلّص الكلّ» (١ كورنثس ٩: ١٩-٢٢)؛ وهي، ثانيًا، تتّخذ من تواضع المسيح نموذجًا حياتيًّا لها: «لكنّه أخلى ذاته آخذًا صورة عبدٍ صائرًا في شِبه البشر، وموجودًا كبشرٍ في الهيئة فوضع نفسه وصار يُطيع حتّى الموت موت الصّليب» (فيلبّي ٢: ٧-٨).

من هنا نقول إنّ الدّراسة الحاليّة للرّسالة في الإنجيل الرّابع تُشير إلى مسيرةٍ تدريجيّةٍ من الاتّباع الحرفيّ ليسوع إلى ذاك الرّوحيّ. إنّ هذا النّوع الأخير من الاتّباع، الّذي يُعتبر هامًّا بالنّسبة إلى مؤمني اليوم، سيقودهم إلى الحياة، الّتي تتميّز بروحانيّتها النّسريّة المحلِّقة، الّتي تتجلّى في إنكار الذّات والمحبّة والعلاقات الموحِّدة (راجع ١٢: ٢٦؛ ١٣: ١٢-١٥). كلّ هذا يؤكّد حقيقة أنّ الرّوح القدس ويسوع الممجَّد هما اللّذان يقودان الجماعة المسيحانيّة والتّلاميذ المنفردين (راجع الفصول ١٣-٢١).

إستنادًا إلى ما تقدّم، فإنّ هذا القسم من الكتاب، يبحث في أربعة مواضيع مختلفة، تأتي على الشّكل التّالي:

- **الباب الأوّل: خارطة الرّسالة**
- **الباب الثّاني: مفردات الرّسالة**
- **الباب الثّالث: رسالة يسوع**
- **الباب الرّابع: رسالة التّلاميذ**

الباب الأوّل

«خارطة الرّسالة»

نودّ في هذا القسم من الكتاب أن نبحث موضوع الرّسالة في الإنجيل الرّابع من وُجهة نظر اللّاهوت الكتابيّ، بحيث سنرى في سياق دراستنا هذه بُعدًا ثُنائيًّا لها: (١) مبادرة الآب بإرسال الابن؛ (٢) مبادرة الابن بإرسال التّلاميذ. يتضمّن البُعد الثّاني بُعدًا إكليزيولوجيًّا (كنسيًّا) يركّز على أهميّة أن تُدرك الكنيسة (رسالة الكنيسة التّبشيريّة: ٤: ٣٤-٣٨؛ ١٢: ٢٠-٢٢؛ صلاة يسوع الكهنوتيّة في الفصل ١٧؛ ٢٠: ٢١) هُويّة مُرسِلها، يسوع المسيح، المصلوب والقائم من بين الأموات. كما أنّ الإنجيل الرّابع يتكلّم عن أوجُهٍ عدّة للرّسالة: «رسالة يوحنّا المعمدان»، «رسالة يسوع»، «رسالة الرّوح» و«رسالة التّلاميذ». على الرّغم من أنّ الإنجيليّ يتكلّم في إنجيله عن هذه الأوجه الّتي ذكرناها، إلاّ أنّه يؤكّد، في الوقت عينه، أنّ الله هو مصدر الرّسالة بكلّيّتها في الإنجيل الرّابع: إنّه مركز الرّسالة ومحورها.

يُشكّل يسوع النّموذج التّبشيريّ الحيّ للمسيحيّين أجمعين؛ فعندما يقبل المسيحيّون حقيقة أنّهم مُرسَلون من قِبَل الله في مَهمّةٍ أو رسالةٍ معيّنة، يكتشفون، بالتّالي، أصالتَهم الحقيقيّة كبشرٍ ينتمون ليس فقط للعالم الأرضيّ الزّائل، بل أيضًا للعالم الإلهيّ الخالد. إنّ فكرة الإرسال اليوحنّاويّ مرتبطةٌ ارتباطًا متينًا بأفكارٍ تتحدّث بكلماتِ الله، تعمل أعمال الله، تفعل إرادة الله، وتنتهج حياةً نابعةً من الآب.

يستعمل يوحنّا مفرداتٍ لغويّةٍ مختلفةٍ تُعبِّر أيضًا عن موضوع الرّسالة « θερίζειν- يحصد»؛ « συνάγω- يجمع»؛ وأخيرًا « καρπός- ثمر» (راجع ٤: ٣٤-٣٨). تشير فكرة «الحصاد» إلى تدخُّل الله الاسكاتولوجيّ في العالم؛ بينما نستطيع أن نرى أنّ موت يسوع غالبًا ما يرتبط في الإنجيل الرّابع بفكرة «جمع» أبناء الله (٦: ١٢-١٣؛ ١١: ٥٢؛ ١٧: ٢١؛ ١٩: ٢٣-٢٤؛ الفصل ٢١)؛ ولا شكّ في أنّ تعبير «الثّمر» هو الكلمة المفتاح لمفهوم الرّسالة في الإنجيل الرّابع (٤: ٣٦؛ ١٢: ٢٤؛ ١٥: ١-٨).

إنّ هذه المقاطع اليوحنّاويّة تؤكّد على استمراريّة رسالة يسوع في العالم من خلال تلاميذه، **الّذين يجب أن يكونوا في كلّ شيءٍ أتباعه – معلّمي الحقّ، يُظهرون حياة الله وشخصيّته**. إنّه يُرسلهم ليكونوا المنقذين في عالمهم الخاصّ الهزيل والضّعيف. وهذا يُعيدنا إلى النّصّ اليوحنّاويّ الشّهير، حين أعلن يسوع أنّه أُرسل ليُخلِّص العالم لا ليدين العالم (٣: ١٦-١٧). وبما أنّ التّلاميذ مُرسَلون كما أُرسِل يسوع، دون أيّ تقليلٍ أو تخفيفٍ من هدف الرّسالة، فإنّ كلّ ما طلبه الآب من يسوع حين أرسله إلى العالم، يطلبه يسوع أيضًا من تلاميذه حين يُرسلهم، بما في ذلك خلاص العالم وليس إدانته.

نخلص إلى القول إنّ أفضل وصفٍ يُمكن تقديمه لمفهوم الرّسالة في الإنجيل الرّابع يرتبط بموضوع جمع شعب الله، المتفرّقين في جميع أنحاء العالم؛ إنّها نتيجةٌ لموت يسوع، ويُمكن تحقيقها بالتّالي فقط عندما يُمجَّد يسوع؛ ثمّ يبدأ الزّمن الجديد الّذي فيه يتمّ تجميع أبناء الله المُبعثرين، زمن دعوة الخراف الخاصّة بيسوع ووَحدتها في قطيعٍ واحد.

يُمكننا، بناءً على كلّ ما تقدّم، التّشديد على أربع نقاطٍ أساسيّةٍ تَصِف تعليم الإنجيل الرّابع عن الرّسالة:

١. ابن الإنسان والمكانيّة اليوحنّاويّة نزول/صعود (٣: ١٣؛ ٦: ٣٣، ٣٨، ٤١، ٥٠، ٦٢؛ راجع أيضًا ٣: ٣١ («الّذي يأتي من العلاء»)؛ ٨: ٢٣ («... أنا من فوق»).

٢. كريستولوجيّة الآب–الابن: «قد خرجتُ من الآب وأتيتُ إلى العالم، وأيضًا أترك العالم وأمضي إلى الآب» (١٦: ٢٨؛ راجع أيضًا ٨: ١٤؛ ١٣: ١–٣؛ ١٦: ٥، ١٠).

٣. مفهوم الكلمة–اللّوغس في مقدّمة الإنجيل.

٤. الرّابي الموثوق، الّذي يجمع حوله حلقةً من الأتباع المكرّسين والمُخلِصين (١: ٣٧–٤٣؛ ٦: ٦٠–٧١؛ الفصول ١٣–١٧؛ ٢٠–٢١).

نستطيع أن نُميِّز أنماطًا متنوّعةً من الرّسالة بحسب الإنجيل الرّابع، بحيث لا نَحُدّ موضوع الرّسالة بالشّعب اليهوديّ باعتباره شعب الله المختار، بل أصبح يتعدّاه، ليتكوّن شعب الله المختار من كلّ أُمّةٍ تؤمن باسم ابن الله الوحيد. لذلك، نُعطي أهميّةً خاصّةً لدعوة التّلاميذ الأوّلين (١: ٢٩–٥١)، المناقشة المبرمجة في الفصل ٣، قصّة رسالة المرأة السّامريّة (٤: ١–٤٢)، التّلميحات الثّلاثة الخاصّة برسالة الأُمم «الوثنيّين» (٧: ٣٥؛ ١٠: ١٦؛ ١١: ٥١–٥٢)، وافتتاحيّتها بمجيء اليونانيّين (١٢: ٢٠–٣٦)، الخطاب الوداعيّ (فصول ١٣–١٦)، صلاة يسوع الكهنوتيّة (الفصل ١٧)،

تكليف التّلاميذ (٢٠: ٢١-٢٣)، وصيد السّمك «١٥٣ سمكة» كرمزٍ لرسالة الكنيسة بعد القيامة (٢١: ١-١٤). **كلّ هذا يُشير إلى أنّ الرّسالة في لاهوت الإنجيل الرّابع هي رسالةٌ خلاصيّةٌ وكنسيّة.**

الباب الثّاني

«مفردات الرّسالة»

تُقسَم المُفردات اليوحنّاويّة المتعلّقة بالرّسالة إلى قسمين أساسيَّين:

القسم الأوّل: يتضمّن تعابيرَ تدلّ على فعاليّةٍ ديناميكيّةٍ تشمل حركة الانتقال من مكانٍ إلى آخر: «أرسل» (ἀποστέλλω ، πέμπω)، «جاء» (ἔρχομαι ومشتقّاتها)، «ينطلق، يذهب، يمضي» (πορεύομαι ، ὑπάγω)، «يصير» (γίνομαι)، «ينزل» (καταβαίνω)، «يصعد» (ἀναβαίνω)، «ينتقل» (ματαβαίνω)، «تَبِعَ» (ἀκολουθέω)، «يُحضر، يقود» (ἄγω)، وأخيرًا «يجمع» (συνάγω).

أمّا **القسم الثّاني** من المفردات اليوحنّاويّة المتعلّقة بالرّسالة، فهي تُشير إلى الـمَهمّة أو العمل الخاصّ بالّذي قد تمّ إرساله لتنفيذه وتحقيقه. كثيرًا ما تُستخدم بالاقتران مع الكلمات المُبيَّنة أعلاه (٤: ٣٤، ٣٨؛ ٥: ٣٦؛ ٦: ٢٩، ٣٨؛ ٧: ٣١؛ ٨: ٢٩؛ ٩: ٤؛ ١٠: ٣٦-٣٨؛ ١٧: ٣-٤)، بحيث تدلّ هذه المفردات على اكتمال العمل وإتمامه (ἔργον ، ἐργάζομαι ، κόπος، κοπιάω ، ποιέω)، الّتي قد تُفسَّر، في علم المصطلحات اليوحنّاويّ، من حيث عمل الآيات (σημεῖον). مُفرداتٌ أخرى تتضمّن تعابير «يحصد» (θερίζω) و «يحمل أو يجمع ثمرًا» (φέρω καρπόν -συνάγω). تُشير هذه المُفردات في استعمالها بحسب الإنجيل الرّابع إمّا إلى يسوع أو إلى تلاميذه. هذا ما سيُظهره بالتّحديد جدول النّصوص الإنجيليّة وثيقة الصّلة بموضوع الرّسالة:

١) نشاطٌ يتضمّن حركة الانتقال من مكانٍ إلى آخر

١. أرسل

أ. يسوع (٣: ١٧، ٣٤؛ ٤: ٣٤؛ ٥: ٢٣، ٢٤، ٣٠، ٣٦، ٣٧، ٣٨؛ ٦: ٢٩، ٣٨، ٣٩، ٤٤، ٥٧؛ ٧: ١٦، ١٨، ٢٨، ٢٩، ٣٣؛ ٨: ١٦، ١٨، ٢٦، ٢٩، ٤٢؛ ٩: ٤، ٧؛ ١٠: ٣٦؛ ١١: ٤٢؛ ١٢: ٤٤، ٤٥، ٤٩؛ ١٤: ٢٤؛ ١٥: ٢١؛ ١٦: ٥؛ ١٧: ٣، ٨، ١٨، ٢١، ٢٣، ٢٥؛ ٢٠: ٢١).

ب. التّلاميذ (٤: ٣٨؛ ١٧: ١٨؛ ٢٠: ٢١).

ت. بشكلٍ عامّ (١٣: ١٦، ٢٠).

٢. أتى، ذهب، صار

أ. يسوع (١: ٩، ١٤، ١٧؛ ٣: ٢، ١٩، ٣١؛ ٤: ٢٥؛ ٥: ٤٠، ٤٣؛ ٦: ١٤؛ ٧: ٢٧، ٢٨، ٣١، ٣٣، ٤١، ٤٢؛ ٨: ١٤، ٢١، ٢٢، ٤٢؛ ٩: ٣٩؛ ١٠: ١٠؛ ١١: ٢٧؛ ١٢: ١٣، ١٥، ٤٦، ٤٧؛ ١٣: ٣؛ ١٤: ٢، ٣، ٤، ٥، ١٢، ١٨، ٢٨؛ ١٦: ٥، ٧، ١٠، ١٧، ٢ ٧، ٢٨، ٣٠؛ ١٧: ٨، ١١، ١٣؛ ١٨: ٣٧؛ ٢١: ٢٢).

ب. التّلاميذ (١: ١٢، ٣٩؛ ٤٦، ٤٧؛ ٤: ٣٨؛ ٥: ٤٠؛ ٦: ٣٥، ٣٧، ٤٤، ٤٥، ٦٥؛ ٧: ٣٧؛ ١٤: ٦؛ ١٥: ١٦).

٣. نزل، صعد، انتقل

أ. يسوع (٣: ١٣؛ ٦: ٣٣، ٣٨، ٤١، ٤٢، ٥٠، ٥١، ٥٨، ٦٢؛ ١٣: ١؛ ٢٠: ١٧).

ب. التّلاميذ (لا استعمال).

٤. يتبع، اتّباع

أ. يسوع (لا استعمال).

ب. التّلاميذ (١: ٣٧، ٣٨، ٤٠، ٤٣؛ ٨: ١٢؛ ١٠: ٤، ٥، ٢٧؛ ١٢: ٢٦؛ ١٣: ٣٣، ٣٦، ٣٧؛ ١٨: ١٥؛ ٢٠: ٦؛ ٢١: ١٩، ٢٠، ٢٣).

٥. أحضر، قاد، جَمَع

أ. يسوع (١٠: ١٦؛ ١١: ٥٢).

ب. التّلاميذ (١: ٤٢؛ ٦: ١٢-١٣).

٢) انجاز مَهمّة

١. عمل (فعل أو اسم)، فَعَلَ أو صَنَعَ

أ. يسوع (٢: ١١، ١٨، ٢٣؛ ٣: ٢؛ ٤: ٦، ٣٤، ٤٥، ٤٦، ٤٨، ٥٤؛ ٥: ١١، ١٥، ١٦، ١٧، ١٩، ٢٠، ٢٧، ٣٠، ٣٦؛ ٦: ٢، ٦،

١٤، ٣٠، ٣٨، ٣٩، ٤٠؛ ٧: ٣، ٤، ٢١، ٢٣، ٣١؛ ٨: ٢٨، ٢٩؛ ٩: ٣، ٤، ١٦، ٣٣؛ ١٠: ٢٥، ٣٢، ٣٣، ٣٧، ٣٨؛ ١١: ٣٧، ٤٥، ٤٦؛ ١٢: ١٨، ٢٤، ٣٧؛ ١٣: ٧، ١٢، ١٥؛ ١٤: ١٠، ١١، ١٢، ١٣، ١٤، ٣١؛ ١٥: ٢٤؛ ١٧: ٤؛ ٢٠: ٣٠؛ ٢١: ٢٥).

ب. التّلاميذ (٦: ٢٨–٢٩؛ ١٤: ١٢؛ ١٥: ٥، ٨، ١٦).

٢. آية، آيات

أ. يسوع (٢: ١١، ١٨، ٢٣؛ ٣: ٢؛ ٤: ٤٨، ٥٤؛ ٦: ٢، ١٤، ٢٦، ٣٠؛ ٧: ٣١؛ ٩: ١٦؛ ١١: ٤٧؛ ١٢: ١٨، ٣٧؛ ٢٠: ٣٠).

ب. التّلاميذ (لا استعمال).

٣. حَصَدَ، جَمَعَ ثمرًا

أ. يسوع (٤: ٣٨؛ ١٢: ٢٤).

ب. التّلاميذ (٤: ٣٦، ٣٨؛ ١٢: ٢٤؛ ١٥: ٨).

الباب الثّالث

«رسـالة يسوع»

ما هي رسالة يسوع بحسب الإنجيل الرّابع؟ إجاباتٍ مختلفةً أُعطيَت عن هذا السّؤال. فقد ركّزت بعض الدّراسات للرّسالة في الإنجيل الرّابع على موضوع «إرسال الابن»؛ دراساتٌ أخرى شدّدت على المجيء والعودة، النّزول والصّعود، أو على المعلّم والرّاعي الاسكاتولوجيّ؛ آخرون وجدوا في «الآيات» اليوحنّاويّة محورًا أساسيًّا لتصوير يسوع على أنّه المسيح.

١) شخص يسوع

يظهر يسوع في الإنجيل الرّابع بطبيعته الإلهيّة، بالإضافة إلى سِماتٍ وخصائصَ إنسانيّةٍ، تؤهّله لحمل رسالةٍ فريدةٍ من نوعها.

١. ألوهيّة يسـوع وفرادتُه

أ. الوجود الأزليّ ليسـوع

تحتلّ الإشارات المتعلّقة بألوهيّة يسوع الإنجيل بأكمله. انطلاقًا من الإشارة الذّهبيّة لطبيعة يسوع الإلهيّة وأصله السّماويّ (١: ١–٢)، أكّد الإنجيليّ الرّابع أنّ الكلمة «صار جسدًا» (١: ١٤)، إذ لم يكن هذا الكلمة كائنًا بشريًّا اعتياديًّا، إنّه، كان منذ البدء، الله (١: ١). بصرف النّظر عن التّأكيدات الصّريحة بشأن الوجود الأزليّ ليسوع (١: ١٥، ٣٠؛ ٨: ٥٨؛ ١٧: ٥، ٢٤)، فإنّ هذه الفكرة تتضمّن

حتميّة «مجيء يسوع» في الإنجيل الرّابع (٥: ٤٣؛ ٦: ١٤؛ ٧: ٢٨؛ ٩: ٣٩؛ ١٠: ١٠؛ ١١: ٢٧؛ ١٢: ٤٦؛ ١٥: ٢٢؛ ١٨: ٣٧)، في إشارةٍ إلى «كينونة يسوع الإلهيّة» (٦: ٤٦؛ ٧: ٢٩؛ ٩: ٣٣؛ ١٦: ٢٧، ٢٨؛ ١٧: ٨)، أو إلى «إرساله» (٣: ١٧؛ ٤: ٣٤؛ ٥: ٢٣، ٢٤، ٣٠، ٣٦، ٣٧، ٣٨...)، انطلاقًا ممّا قاله يسوع نفسه لليهود: «قبل أن يكون إبراهيم، أنا كائن» (٨: ٥٨)، وأيضًا أنّ أشعيا قد «رأى مجده» (١٢: ٤١). إنّ الكلمة كان أيضًا «عند الله» (١: ١-٢)، وهذه حقيقةٌ من شأنها أن تجعل يسوع المؤهَّل الوحيد الّذي يُمكنه أن يتكلّم للبشر عن الله: «الله لم يره أحدٌ قطّ. الابن الوحيد الّذي في حِضن الآب هو أخبر» (١: ١٨).

ب. معرفة يسوع وعبادته ربًّا وإلهًا

يظهر يسوع ليكون معروفًا في الإنجيل الرّابع كـ «ربٍّ» (٦: ٦٨؛ ١١: ٣، ١٢، ٢١، ٢٧، ٣٢؛ ١٣: ٦، ٩، ٢٥، ٣٦؛ ١٤: ٥، ٨، ٢٢؛ ٢١: ١٦، ١٧، ٢٠، ٢١)، ومعبودًا أيضًا كـ «ربٍّ» (٩: ٣٨)، وهو، في الوقت عينه، «الرّبّ والإله» (٢٠: ٢٨).

ت. اعتماد يسوع الاسم الإلهيّ

يُقدِّم إنجيل يوحنّا يسوع أيضًا كمُعتمدٍ على الاسم الإلهيّ «أنا هو» في إشارةٍ محتَمَلةٍ لنصوصٍ متعدِّدةٍ من سِفر أشعيا النّبيّ (٤٣: ١٠-١٣، ٢٥؛ ٤٥: ١٨؛ ٤٨: ١٢؛ ٥١: ١٢؛ ٥٢: ٦)، والّتي تُمثِّل بدورها تطوُّرًا لاهوتيًّا بارزًا لنصّ

سِفر الخروج: «فقال الله لموسى: **أنا هو مَن هو**» (٣: ١٤). تُستَعمل عبارة « ἐγώ εἰμι– أنا هو» بأسلوبين مختلفين في الإنجيل الرّابع: يشير الأوّل إلى المُطلق والكلّيّة (٦: ٢٠؛ ٨: ٢٤، ٢٨، ٥٨؛ ١٣: ١٩؛ ١٨: ٥)؛ بينما يشير الثّاني إلى استعمالها كصفةٍ للاسم (٦: ٣٥، ٥١؛ ٨: ١٢؛ ١٠: ٧، ٩، ١١، ١٤؛ ١١: ٢٥؛ ١٤: ٦؛ ١٥: ١، ٥).

بالإضافة إلى التّخصيص الإلهيّ الذّاتيّ ليسوع، من خلال عبارة «أنا هو» الواردة في الإنجيل الرّابع، فإنّ يسوع يردِّد مرارًا وتكرارًا «**حقيقة مساواته بالله**». ففي ٥: ١٧-١٨، يرتبط عمل يسوع بعمل الله في الخلق (راجع أيضًا ١: ٣)، علاوةً على أنّه ادّعى بأنّ «الله أبوه، معادلاً نفسه بالله»؛ بينما في ٨: ٥٨، يتكلّم يسوع بوضوحٍ عن وجوده الأزليّ (راجع أيضًا ١: ١-٢؛ ١٧: ٥، ٢٤)؛ وأخيرًا، في ١٠: ٣٠، يُعلن يسوع صراحةً «أنا والآب واحدٌ» (راجع أيضًا ١٠: ٣١-٣٩). إنّ علاقة يسوع الفريدة بالآب مؤكَّدةٌ أيضًا في ١٤: ٩-١١، ٢٠، ٢٣. ناهيك عن أنّ امتلاك يسوع للمعرفة فائقة الطّبيعة من خلال بعض الأحداث الّتي ذُكرت في الإنجيل: نثنائيل تحت شجرة التّين (١: ٤٨)؛ طبيعة موت يسوع (٢: ١٩راجع أيضًا ١٢: ٢٤)؛ قيامة لعازر (١١: ١٤)؛ خيانة بطرس (١٣: ٣٨)؛ وأخيرًا طريقة موت بطرس (٢١: ١٨-١٩).

ث. فرادة يسوع والبنوّة الفريدة

يستخدم الإنجيليّ الرّابع تعبير « μονογενής – وحيد» للإشارة إلى فرادة يسوع (١: ١٤، ١٨؛ ٣: ١٦، ١٨). إنّه تعبيرٌ كريستولوجيٌّ بامتياز، وبخاصّةٍ

لأنّه مرتبطٌ ارتباطًا وثيقًا بحدثَين أساسيَّين يُسطِّران تاريخ الخلاص برمّته: الأوّل، حدث التّجسّد الإلهيّ للكلمة (١: ١٤، ١٨)، والثّاني، حدث الصّلب–الموت الخلاصيّ (٣: ١٦، ١٨).

لكن حتّى عندما لا يُستَخدم هذا التّعبير، يَصِف الإنجيل الرّابع يسوع، ويسوع وحده، «بالابن»، ابن الآب (٣: ١٧، ٣٥، ٣٦؛ ٥: ١٩، ٢٠، ٢١، ٢٢، ٢٣، ٢٥، ٢٦؛ ٦: ٤٠؛ ٨: ٣٥، ٣٦؛ ١٤: ١٣؛ ١٧: ١)، ابن الله (١: ٣٤، ٤٩؛ ٣: ١٨؛ ٥: ٢٥؛ ١٠: ٣٦؛ ١١: ٤، ٢٧؛ ١٩: ٧؛ ٢٠: ٣١). إنّ لتعبير «الابن» أهمّيّةً كُبرى في العهد القديم وبخاصّةٍ في النّصوص المسيحانيّة: «أنا أكون له أبًا وهو يكون لي ابنًا» (٢ صموئيل ٧: ١٤)، وأيضًا: «قال لي: أنتَ ابني، وأنا اليوم ولدتُك» (مزمور ٢: ٧). علاوةً على ذلك، حين يتحدّث يسوع، في ٢٠: ١٧، عن عودته إلى الآب، لا يجمع نفسه مع تلاميذه في ما يتعلّق بالآب، بل يُبقي على امتيازٍ بين علاقته هو بالله وعلاقة تلاميذه به، في إشارةٍ إلى «أبي وأبيكم وإلهي وإلهكم».

ج. مسيحانيّة (Messiahship) يسوع

يَنسِب الإنجيليّ الرّابع مصطلح Χριστός إلى يسوع، وليسوع وحده (١: ٤١؛ ٤: ٢٥، ٢٩؛ ٧: ٢٦، ٢٧، ٣١، ٤١، ٤٢؛ ٩: ٢٢؛ ١٠: ٢٤؛ ١١: ٢٧؛ ١٢: ٣٤؛ ٢٠: ٣١). غالبًا ما يرتبط هذا المصطلح بالتّوقّعات المسيحانيّة اليهوديّة، إلاّ أنّه لمن الجدير بالأهمّيّة ملاحظة أنّ الإنجيليّ الرّابع يسعى لفصل **مسيحانيّة يسوع عن الإيحاءات السّياسيّة**، وبخاصّةٍ بعد معجزة الخمس خبزاتٍ والسّمكتين: «وإذ علم يسوع أنّهم مزمعون أن يأتوا ويختطفوه ليُقيموه ملكًا، انصرف من جديدٍ

إلى الجبل وحده» (٦: ١٥)، وأيضًا أثناء محاكمة يسوع أمام بيلاطس: «أجاب يسوع: إنّ مملكتي ليست من هذا العالم. لو كانت مملكتي من هذا العالم، لكان خدّامي يُقاتلون عنّي لئلّا أُسلَم إلى اليهود. والآن فإنّ مملكتي ليست من هنا. فقال له بيلاطس: أفَمَلِكٌ أنت إذن؟ أجاب يسوع: أنت تقول: إنّي ملكٌ. إنّي لهذا وُلِدت، ولهذا أتيت إلى العالم لأشهد للحقّ. فكلّ مَن هو من الحقّ يسمع صوتي» (١٨: ٣٦-٣٧).

٢. إنسانيّة يسوع

في الوقت عينه، يُصوَّر يسوع، في الإنجيل الرّابع، على أنّه يجمع في نفسه السِّمات الإنسانيّة مع تلك الإلهيّة:

أ. سِمات الإنسان المختلفة

وهكذا، فإنّ الإنجيليّ الرّابع يُبيِّن يسوع متواجدًا في عرسٍ مع أُمِّه وتلاميذه (٢: ١-٢؛ راجع أيضًا ٢: ١٢). يظهر يسوع أيضًا مُرهَقًا، عَطِشًا، يسأل شرابًا (٤: ٦-٧؛ ١٩: ٢٨). ثمّ نراه يبكي أمام قبر صديقه لعازر (١١: ٣٥). مات (١٩: ٣٠) ودُفِن (١٩: ٣٨-٤٢).

ب. تسميّاتٌ إنسانيّة

يرد الاسم «الانسانيّ» ليسوع Ἰησοῦς ٢٤٤ مرّةً في الإنجيل الرّابع. مرّتين يَذكر فيهما الإنجيل يسوع على أنّه «ابن يوسف» (١: ٤٥؛ ٦: ٤٢). يُدعى في كثيرٍ

من الأحيان «المعلِّم – ῥαββί» (١: ٣٨، ٤٩؛ ٣: ٢؛ ٤: ٣١؛ ٦: ٢٥؛ ٩: ٢؛ ١١: ٨؛ «رابّوني – ῥαββουνί»: لقبٌ ورد على لسان مريم المجدليّة أثناء زيارتها القبر الفارغ في ٢٠: ١٦؛ «διδάσκαλος»: ١: ٣٨؛ ٣: ٢؛ ٨: ٤؛ ١١: ٢٨؛ ١٣: ١٣–١٤؛ ٢٠: ١٦). إنّه يُدعى أيضًا «السّيّد – κύριος» (٤: ١١، ١٥، ٤٩؛ ٥: ٧؛ ١١: ٣٤، ٣٩)؛ أمّا تسميّة «الإنسان – ἄνθρωπος» فتُشير إلى يسوع (٤: ٢٩؛ ٥: ١٢؛ ٧: ٤٦؛ ٨: ٤٠؛ ٩: ١١، ١٦، ٢٤؛ ١٠: ٣٣؛ ١١: ٤٧، ٥٠؛ ١٤: ٥؛ ١٨: ١٤، ١٧، ٢٩).

ت. لقب «ابن الإنسان»

هناك أيضًا خلطٌ بين العناصر الإنسانيّة والإلهيّة في لقب «ابن الإنسان» (١: ٥١؛ ٣: ١٣، ١٤؛ ٥: ٢٧؛ ٦: ٢٧، ٥٣، ٦٢؛ ٨: ٢٨؛ ٩: ٣٥؛ ١٢: ٢٣؛ ١٣: ٣١). يقترن هذا اللّقب كثيرًا في يوحنّا بارتفاع يسوع وبتمجيده (٣: ١٤؛ ٨: ٢٨؛ ١٢: ٢٣، ٣٤؛ ١٣: ٣١)، ويرتبط أيضًا بفكرة النّزول/الصّعود (١: ٥١؛ ٣: ١٣).

٢) الآيات والأعمال

يُمكن أن تُسمّى المعجزات العظيمة في يوحنّا إمّا «آياتٍ» أو «أعمالاً». وفقًا لطبيعة الأشياء، فإنّ بإمكان التّعبيرين المذكورين أن يُطبَّقا على المواضيع عينها، بالتّوازي مع الآيات التّاليّة:

- «فقال له إخوته: تحوَّل من هنا وَأْتِ اليهوديّة لكي يرى تلاميذك هناك الأعمال الّتي تعملها» (٧: ٣)؛ «غير أنّه آمن به من الجمع كثيرون وكانوا يقولون: ألعلّ المسيح، متى جاء، يأتي بآياتٍ أكثر ممّا أتى به هذا؟» (٧: ٣١).

- «أجاب يسوع: لا هذا خَطِئَ ولا أبواه؛ ولكنْ لكي تظهر أعمال الله فيه. فما دام النّهار ينبغي أن أعمل أعمال الّذي أرسلني: فاللّيل يأتي فلا يستطيع أحدٌ فيه عملاً» (٩: ٣-٤)؛ «فقال بعض الفرّيسيّين: إنّ هذا الرّجل ليس من الله لأنّه لا يحفظ السّبت. فقال آخرون: كيف يقدر رجلٌ خاطئٌ أن يصنع مثل هذه الآيات؟ فوقع بينهم شقاق» (٩: ١٦).

- «فأجابهم يسوع: لقد قلتُه لكم وما تُصدِّقون. والأعمال الّتي أعملها باسم أبي تشهد لي» (١٠: ٢٥)؛ «فأجابهم يسوع: إنّي أريتُكم أعمالاً حسنةً كثيرةً من عند الله فلأيّ عملٍ منها تُريدون رجمي» (١٠: ٣٢)؛ «فإنْ كنتُ لا أعمل أعمال أبي فلا تُصدِّقوني. ولكنْ إذا كنتُ أعملُها ولا تُريدون أن تُصدِّقوني فصدِّقوا هذه الأعمال فتعلموا حقّ العلم أنّ الآب فيّ وأنّي في الآب» (١٠: ٣٧-٣٨)؛ «فأقبل إليه كثيرون، وكانوا يقولون: إنّ يوحنّا لم يأتِ بآيةٍ قطُّ غير أنّ كلّ ما قاله في هذا الرّجل كان حقًّا. فآمن به هناك كثيرون» (١٠: ٤١).

- «ولكنّهم مع كلّ ما صنع من الآيات على عيونهم، لم يؤمنوا» (١٢: ٣٧)؛ «ولو لم أعمل بينهم هذه الأعمال الّتي لم يعملْها أحدٌ آخَر، لَما كانت عليهم خطيئة. أمّا الآن، وقد رأَوها، فإنّهم ما ينفكّون يُبغضوني ويُبغضون أبي» (١٥: ٢٤).

تكشف «الأعمال» عن معنًى عميقٍ في «الآيات» بقدر ما تُنشئ وحدةً وجوديّةً وعمليّةً بين الله وابنه، وذلك لأنّها ترتبط ارتباطًا وثيقًا بمشيئة الآب، من جهة، وبرسالة الابن، من جهةٍ أخرى، وهي، بالتّالي، تحقيق «العمل» (بالصّيغة المفردة) الّذي ينبغي على الابن أن يُتمِّمه على الأرض: «فقال لهم يسوع: إنّ طعامي أن أعمل مشيئة الّذي أرسلني وأُتمِّم عمله» (٤: ٣٤)؛ وأيضًا: «أنا قد مجّدتُك على الأرض، قد أتممتُ العمل الّذي أعطيتَني لأعملَه» (١٧: ٤). فإذا ما أخذنا في الاعتبار مختلف النّصوص الّتي تُشير إلى «أعمال» يسوع، فإنّه سيتبيّن أنّ لها، في أغلب الأحيان، **مَهمّة حمل الشّهادة ليسوع بصفته مبعوثًا من الله:** «وأمّا أنا فلي شهادةٌ أعظم من يوحنّا، لأنّ الأعمال الّتي أعطاني الآب أن أُتمِّمها، هذه الأعمال بعينها الّتي أنا أعملها تشهد لي بأنّ الآب قد أرسلني» (٥: ٣٦؛ راجع أيضًا ١٠: ٢٥، ٣٧-٣٨؛ ١٤: ١١؛ ١٥: ٢٤). إنّها تشهد بثقةٍ (١٠: ٣٨؛ ١٤: ١١) وبإقناع (١٥: ٢٤) أنّ يسوع مرسَلٌ من الآب (٥: ٣٦؛ ٩: ٤) أو أنّ الآب «في يسوع» (١٠: ٣٨؛ ١٤: ١١). فأعمال يسوع تتمّ «باسم الآب»: «أجابهم يسوع: قد قلتُ لكم ولستم تؤمنون، الأعمال الّتي أنا أعملها باسم أبي هي تشهد لي» (١٠: ٢٥؛ راجع أيضًا ٥: ١٧، ١٩). وهذا في الحقيقة يعني أنّ الآب يعمل في الابن، كما يقول يسوع نفسه: «... الآب المقيم فيّ هو يعمل الأعمال» (١٤: ١٠).

هكذا نُدرك أنّ «الأعمال» هي جزءٌ من مفهوم «الرّسالة»، في المعنى اليوحنّاويّ العميق الخاصّ بإرسال الابن من قِبَل الآب.

ويمكن للمرء أن يرى أيضًا جانبًا آخر من لاهوت «الأعمال» هو إيقاظ الإيمان والحثّ عليه أو إذا قوبِلَت بعدم الإيمان الّذي يتعارض مع الشّهادة للأعمال، فإنّ بإمكانها الكشف عن خطيئة عدم الإيمان (راجع ١٠: ٢٥-٢٦؛ ١٥: ٢٤).

تحثّ «الآيات» الإنسان إلى تحفيز التّفكير (٣: ٢؛ ٧: ٣١؛ ٩: ١٦؛ ١١: ٤٧)، ولكن كأحداثٍ مرئيّةٍ وعجيبة: «ولـمّا كان في أورشليم في عيد الفصح، آمن كثيرون باسمه، حين شاهدوا آياتِه الّتي صنعها» (٢: ٢٣؛ راجع أيضًا ٦: ٢، ١٤). إلاّ أنّها، في الوقت عينه، غير فعّالةٍ في تحقيق الإيمان المسيحيّ الكامل إذا اعتُبِرَت أنّها أحداثٌ خارجيّةٌ فقط أو في حال سعى إليها الإنسان كمشاعر إيمانيّة عاطفيّة: «فقال له يسوع: إنْ لم تُعاينوا آياتٍ وعجائبَ لا تؤمنون» (٤: ٤٨). إنّها تكشف عن معناها الحقيقيّ فقط حين تكون مُفعمةً بالإيمان الحيّ، وحين يُدرك المرء معناها الدّاخليّ غير المنظور من خلال الحدث الظّاهريّ المنظور (٣: ١١؛ ٦: ٢٦؛ ١١: ٤، ٤٠). وهكذا، فإنّ «الآيات» تُظهر المؤمن الحقيقيّ في مجد المسيح، لكنّها تبقى حدثًا مُدهشًا سطحيًّا للإيمان الضّعيف والمشكّك، وهي لا تستطيع في هذه الحالة أن تقود الإنسان إلى الإيمان الكامل، إذ إنّها بحاجةٍ إلى قلبٍ منفتحٍ تمامًا على عمل الله في حياة الإنسان: «ومع أنّه كان قد صنع أمامهم آياتٍ عديدة، فلم يؤمنوا به» (١٢: ٣٧).

من هذه المنطلقات المتعدّدة الجوانب نصل إلى القول **إنّ «الآيات» تبقى محصورةً بعمل يسوع العلنيّ على الأرض**. لذا، فهي تنتهي في الفصل ١٢: ٣٧ باستعادةٍ لعمل يسوع كنورٍ للعالم، وهي لن تُذكَر بعدُ إلاّ في الفصل ٢٠: ٣٠. **أمّا «الأعمال» فهي تُعزِّز «عمل» يسوع، أي «تدبيره الخلاصيّ»**،

الّذي يُتمُّه بموته على الصّليب: «أنا قد مجّدتُك على الأرض، قد **أتممتُ العمل** الّذي أعطيتَني لأعمله» (١٧: ٤)، وأيضًا: «فلمّا أخذ يسوع الخلّ قال: «قد تمّ». وأمال رأسه وأسلم الرّوح» (١٩: ٣٠).

١. الآيات

أ. بُنية الآيات في الإنجيل الرّابع

مقدّمة الإنجيل (١: ١–١٨)

- **كتاب «الآيات»** (١: ١٩–١٢: ٥٠): آيات المسيح

١) الآيات الافتتاحيّة (الجليل/اليهوديّة/الجليل)

١. تحويل الماء إلى خمر (٢: ١–١١)

٢. تطهير الهيكل (٢: ١٤–١٧)

٣. شفاء ابن عامل الملك (٤: ٤٦–٥٤)

٢) الآيات العكسيّة (اليهوديّة/الجليل/اليهوديّة)

٤. شفاء المخلّع (٥: ١–١٥)

٥. إطعام الجمع الكثير (٦: ١–١٥)

٦. شفاء الأعمى منذ مولده (ف. ٩)

٣) الآية الحَدَث (اليهوديّة)

٧. قيامة لعازر (ف. ١١)

٤) خاتمة: رفض جماعة العهد القديم آيات يسوع المسيانيّة: «وإذ كان قد صنع أمامهم مثل تلك الآيات لم يؤمنوا به» (١٢: ٣٧)

• **كتاب «المجد»** (فصول ١٣-٢١): الحقيقة الّتي تُشير إليها الآيات

١) مؤثِّرات تمجيد يسوع على جماعة العهد الجديد (فصول ١٣-١٧)

٢) الحقيقة الّتي تُشير إليها الآيات: صلب يسوع وقيامته من بين الأموات (فصول ١٨-١٩)

٣) الظّهورات القياميّة ليسوع القائم، وتكليف جماعة العهد الجديد (فصول ٢٠-٢١)

٤) خاتمة: جماعة العهد الجديد تشهد على آيات يسوع المسيانيّة: «وآياتٍ أُخَر كثيرةً صنع يسوع أمام التّلاميذ لم تُكتَب في هذا الكتاب، وإنّما كُتبَت هذه لتؤمنوا بأنّ يسوع هو المسيح ابن الله ولكي تكون لكم إذا آمنتم الحياةُ باسمه» (٢٠: ٣٠-٣١).

خاتمة (ف. ٢١).

ب. لاهوت «الآيات» اليوحنّاويّة

يرد تعبير «آية – σημεῖον» سبع عشرة مرّةً في الإنجيل الرّابع. تُعتبر الآيات أعمالاً شعبيّةً، ذات دلالاتٍ لاهوتيّةٍ عميقة، تُعبِّر عن حقيقة يسوع الإلهيّة، قام بها أمام تلاميذه، لتقودهم إلى الإيمان بيسوع الّذي هو «المسيح، ابن الله» (٢٠: ٣١). بإمكان الآيات أن تتحدّث وتشهد للمؤمنين اللّاحقين فقط بقدر ما يراها التّلاميذ بأعين الإيمان الحيّ، مُدركين مجد يسوع فيها (راجع ٢: ١١).

لذا، فإنّنا نجد في كلّ حالة أنّ المصطلح «آية» يرتبط ارتباطًا وثيقًا في الإنجيل الرّابع بالأفعال التّالية، الّتي تُبيِّن بوضوحٍ بارز المعنى الكامل والعميق للآيات اليوحنّاويّة على أنّها عمل يسوع، الّذي لا ينفصل البتّة عن عمله كمُوحٍ لرسالة الله الآب الّتي فوّضه بها حين أرسله إلى العالم، فاديًا ومخلّصًا، وليس بإمكان الإنسان أن يقبلها أو يفهمها إلاّ بالإيمان فقط:

- «**فعل** – ποιεῖν» (٢: ١١، ٢٣؛ ٣: ٢؛ ٤: ٥٤؛ ٦: ٢، ١٤، ٣٠؛ ٧: ٣١؛ ٩: ١٦؛ ١٠: ٤١؛ ١١: ٤٧؛ ١٢: ١٨، ٣٧؛ ٢٠: ٣٠).
- «**رأى** – ἰδεῖν» (٤: ٤٨؛ ٦: ٢٦).
- «**أظهر** – δείκνυμι» (٢: ١٨).

من هنا نُدرك أنّ الآيات في الإنجيل الرّابع هي أفعال يسوع وهي ليست مجرّد كلمات؛ إنّها أحداثٌ تكشف وحي الله، وتؤدّي إلى إظهار مجد الله، كما يتّضح ذلك في معجزة قانا الجليل: «هذه الآية الأولى فعلها يسوع في قانا الجليل، وأظهر مجده فآمن به تلاميذه» (٢: ١١)، وهي، تاليًا، ليست مجرّد أقوالٍ تفوّه بها يسوع.

لذا، فإنّ الآيات اليوحنّاويّة تهدف إلى إثبات أصالة يسوع المسيحانيّة (Messianic)، وإظهاره كممثّلٍ حقيقيٍّ لله (راجع ٥: ١٧-٤٧؛ ٦: ٢٥-٥٩؛ ٧: ١٤-٢٤؛ ٩: ٣-٥، ٣٥-٤١؛ ١١: ٢٥-٢٧، ٤٠)، وتكشف عن مجد الله في شخص يسوع (راجع ١: ١٤). وعليه، فإنّ قبول النّاس لحقيقة آيات يسوع هذه ينبغي أن تقودهم بكلّ تأكيدٍ إلى قبولهم برسالة يسوع المسيانيّة (راجع ٢٠: ٣٠-٣١). وهذا صحيحٌ سواءٌ بالنّسبة إلى مستمعي يسوع الأصليّين، من جهة، وقارئي الإنجيل الرّابع، الّذي يشهد لهم بشأن آيات يسوع، من جهةٍ أخرى.

يعكس الإنجيل الرّابع أيضًا التّوقّعات اليهوديّة أنّ من شأن مجيء النّبيّ والمسيح أن يؤدّي إلى اجتراح الآيات الّتي تُثبت مَهمّتهما الإلهيّة: «فلمّا شاهد النّاس الآية الّتي صنعها يسوع قالوا: إنّه حقًّا النّبيّ الآتي إلى العالم» (٦: ١٤)؛ وأيضًا: «غير أنّه آمن به من الجمع كثيرون وكانوا يقولون: ألعلّ المسيح، متى جاء، يأتي بآياتٍ أكثر ممّا أتى به هذا؟» (٧: ٣١).

لنَعُدْ إلى «الآية الأولى» الّتي صنعها يسوع في عرس قانا الجليل، حيث يظهر المعنى العميق للحدث في التّصريح الختاميّ لكاتب الإنجيل بقوله: «أظهر مجده» (٢: ١١). على هذا النّحو، تُشير «الآية» القانويّة إلى أنّ إظهار يسوع لمجده قد أصبح منظورًا لتلاميذه من خلال الإيمان. إنّ حادثة إحياء لعازر تؤكّد هذا التّفسير، حيث يقول يسوع لمرتا أخت لعازر، وهو على وشك أن ينطق بكلمته القديرة الواهبة الحياة: «ألم أقل لكِ إنّك إنْ آمنتِ فسترَين مجد الله» (١١: ٤٠). يتكلّم يسوع في هذه الآية عن «مجد الله»، بينما يُشير الإنجيليّ في ٢: ١١ إلى «مجد يسوع»، وهذا يعني بوضوحٍ بارز أنّ **قوّة الله حاضرةٌ وفاعلةٌ في شخص يسوع،**

وأنّ الله، تاليًا، هو أصل مجد يسوع الخاصّ وهدفه. إنّ إحياء لعازر يُظهر أيضًا مجد يسوع، كما يَرِد ذلك في الآية الافتتاحيّة للحدث: «ليس هذا المرض للموت بل لأجل مجد الله لكي يُمجَّد ابن الله به» (١١: ٤). في عمل يسوع، أصبح مجد الله (أو مجده الخاصّ) متجلّيًا لكلّ مَن يُدركه بأعين الإيمان. وهنا تظهر حقيقةٌ كريستولوجيّةٌ ساطعة الضّياء تكمن في أنّ **ابن الإنسان على الأرض هو مكان حضور الله وعمله، وفيه يتحقّق عمل الله الاسكاتولوجيّ**.

فالآيات الّتي تُظهر يسوع واهبًا للحياة (شفاء ابن عامل الملك في كفرناحوم؛ شفاء مخلَّع بيت حِسدا وإحياء لعازر)، تُعطي ضماناتٍ إيجابيّةً على حضور الخلاص الاسكاتولوجيّ في شخصه. فالحياة الّتي أعطاها يسوع لهؤلاء الرّجال، الّذين أُغلِقَت أمامهم أبواب الحياة، هي رمزٌ وضمانةٌ «للحياة الأبديّة» المنتظرَة في الزّمن الآتي، الّتي فَهِمَها الإزائيّون (متّى، مرقس ولوقا) على أنّها الحياة المستقبليّة مع الله، بينما يراها يوحنّا حاضرةً بالفعل في شخص يسوع، بحيث يستطيع هو أن يهبَها للمؤمنين به في الزّمن الحاضر؛ فبما أنّ «الآيات» تكشف حقيقة شخص يسوع على أنّه «القيامة والحياة»، فهي تُبيِّن أيضًا أنّ هِبَته للحياة هي في الواقع حاضرة؛ فبقدر ما تُظهر هذه «الآيات» جانب الحياة الجسديّة الّتي نالت الشّفاء على يد يسوع، بالقدر ذاته تُمثِّل أيضًا **استعادة الموتى روحيًّا الحياة الإلهيّة** الّتي يحملها يسوع في ذاته وينقلها للمؤمنين به (٥: ٢٥-٢٦).

وعليه، فإنّ «الآيات» ترتبط ارتباطًا وثيقًا «بعمل» يسوع على الأرض وهدفها الرّئيسيّ يكمن في إظهار مجد يسوع، مجد وحيدٍ من الآب في زمن تجسّده (١: ١٤)، ذلك أنّها لا تهدف إلى تسليط الضّوء على المسيرة التّاريخيّة الّتي ظهر يسوع

من خلالها كمخلّص، لكنّها تهدف ببساطةٍ إلى **إيقاظ الإيمان في كينونة يسوع على أنّه «المسيح، ابن الله»** (٢٠: ٣٠-٣١). فالآيات، إذًا، هي إشعاع المجد المنظور في الابن المتجسّد. الإنجيل الرّابع مقتنعٌ أنّ الخلاص الموعود والحقيقيّ قد تحقّق في شخص يسوع، ولذلك يرى في أعماله وفي تصرّفاته حلولَ الله الفعليّ بشكلٍ كاملٍ ونهائيّ.

٢. الأعمال

يُغيّر يوحنّا مفهومه للآيات ابتداءً من الفصل الخامس من إنجيله ويبدأ بالحديث عن أعمال يسوع فتُصبح الآيات في الدّرجة الثّانية؛ إنّ هذا التّغيير في التّعابير ليس نتيجة الصّدفة، فالأعمال تدلّ على مرحلةٍ جديدةٍ من الوحي تختلف عن المرحلة الأولى الّتي سيطرت فيها الآيات، إذ إنّه يكشف عن حقيقة يسوع: إنّه ابن الإنسان (٥: ٢٧؛ ٦: ٢٧، ٥٣، ٦٢). في هذا الإطار نستغرب لدى قراءة الإنجيل الرّابع أنّ يسوع لا يُسمّي المعجزة الّتي يعملها: آية؛ فكلمة آية نجدها في تعليق الإنجيليّ أو على لسان النّاس. يُفضّل يسوع أن يُسمّي معجزاته أعمالاً لذلك يقول لليهود: «إنّ الأعمال الّتي أعطى ليَ الآب أن أُتمِّمها، هذه الأعمال بعينها الّتي أنا أعملها هي تشهد لي بأنّ الآب قد أرسلني» (٥: ٣٦). إنّ الأعمال هي الوسيلة الفُضلى الّتي تكشف عن هُويّة يسوع وهي تلقي الضّوء على المعنى الحقيقيّ لشخصيّته ولعلاقته بالآب (١٠: ٢٥، ٣٨؛ ١٤: ١١؛ ١٥: ٢٤) الّتي تدخل في إطار رسالته الخلاصيّة (٥: ٣٦؛ ١٤: ١٢؛ ١٥: ٢٢).

وعليه، فإنّنا نؤكّد أنّ «أعمال» يسوع الّتي تشمل «كلامه» أيضًا تُشكِّل نطاقًا أوسع من «آياته»: فكلّ ما عمله يسوع وقاله أثناء حياته الأرضيّة يتلخّص في كلمة «عمل – ἔργον»، الّتي تتضمّن في طيّاتها مجموعةً واسعةً من النّشاطات، ذلك أنّ الله يعمل في الابن، والابن مطيعٌ بالكلّيّة للآب.

٣. طبيعة «عمل» يسوع في الإنجيل الرّابع

إنّ السّؤال الّذي يتعلّق بطبيعة عمل يسوع بحسب نظرة الإنجيل الرّابع يُصبح ذا أهمّيّةٍ على ضوء الرّباط القائم بين أعمال يسوع وأتباعه: «الحقّ الحقّ أقول لكم: إنّ مَن يؤمن بي يعمل الأعمال الّتي أنا أعملها ويعمل أعظم منها لأنّي ماضٍ إلى أبي» (١٤: ١٢).

أ. «هِبَة الحياة»

يتناول الفصل الثّالث من الإنجيل الرّابع موضوع طبيعة «عمل» يسوع بشكلٍ مباشر: «فإنّه لم يُرسِلِ الله ابنه إلى العالم ليدين العالم بل ليُخلِّص به العالم» (٣: ١٧؛ راجع أيضًا ١٢: ٤٧: «... لأنّي لم آتِ لأدين العالم بل لأُخلِّص العالم»). ربّما هو الإنجيليّ نفسُه الّذي يَصِف هدف رسالة يسوع كالتّالي: «... لكي لا يهلك كلّ مَن يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبديّة» (٣: ١٦). تُعتبر هِبَة الحياة الّتي يمنحها يسوع هدفَ رسالته المُعلَن باستمرارٍ في الإنجيل الرّابع في اتّجاهاتٍ مختلفةٍ كحديث يسوع عن خبز الحياة (٦: ٥٧–٥٨)، حديث الرّاعي الصّالح (١٠: ٧–١٠)، وحديث الوداع قبل انطلاقه إلى الآلام الخلاصيّة (١٧: ٢–٣). من الجدير بالملاحظة أنّ كلّ هذه النّصوص (٣: ١٦–١٧؛ ٦: ٥٧–٥٨؛ ١٠: ٧–١٠؛ ١٧: ٢–٣)

تُشير إلى هِبَة **يسوع لحياته الخاصّة في إطار تحقيق التّدبير الإلهيّ، أعني به الخلاص**: «قال له يسوع: أنا الطّريق والحقّ والحياة. لا يأتي أحدٌ إلى الآب إلاّ بي» (١٤: ٦).

إنّ «هِبَة» الآب لابنه الوحيد في يوحنّا ٣: ١٦، الّتي قد تكون إشارةً ممكنةً إلى نصّ التّكوين ٢٢: ١-١٩ الّذي يصف أمر الله لإبراهيم بتقدمة ابنه اسحق كذبيحة، تتبع بصعوبةٍ إشارة يسوع إلى الحيّة في البريّة: «وكما رفع موسى الحيّة في البريّة هكذا ينبغي أن يُرفع ابن الإنسان، لكي لا يهلك كلُّ مَن يؤمن به بل تكون له الحياة الأبديّة» (٣: ١٤-١٥). «ارتفاع» ابن الإنسان هذا، الّذي لا يزال إلى حدٍّ ما غامضًا في الفصل الثّالث، سيكون في الفصول التّاليّة أكثر وضوحًا: إنّه يُشير إلى موت يسوع على الصّليب: «وأنا إذا ارتفعتُ عن الأرض جذبتُ إليّ الجميع. وإنّما قال هذا ليدُلَّ على أيّة ميتةٍ كان مُزمعًا أن يموتها» (١٢: ٣٢-٣٣). إنّ التّصريح المُعلَن من قِبَل يسوع في ٦: ٥٧-٥٨، والمتعلِّق «بخبز الحياة» الّذي نزل من السّماء، يأتي مسبوقًا بإشارةٍ إلى جسد ابن الإنسان ودمه (٦: ٥٣-٥٦). يحتوي كلٌّ من المقطعَين اليوحنّاويَّين ٣: ١٣-١٧ و ٦: ٥٣-٥٨ على مصطلحٍ هامٍّ في لاهوت الإنجيل الرّابع هو النّزول/الصّعود. يُفكِّر الإنسان بمقدّمة الإنجيل الرّابع، حيث ترتبط النّعمة المُعطاة من الله عن طريق موسى بتلك المُعطاة من الله عن طريق يسوع: «لأنّ النّاموس أُعطِيَ بموسى وأمّا النّعمة والحقّ فبيسوع المسيح حَصَلا» (١: ١٧). كذلك تربط المقدّمة كريستولوجيّة «اللّوغس» ولاهوته بما جاء على لسان أشعيا النّبيّ القائل: «كذلك تكون كلمتي الّتي تَخرج من فمي لا ترجع إليّ فارغةً بل تُتِمّ ما شئتُ فيما أرسلتُها له» (٥٥: ١١).

المقطع الثّالث الّذي يتكلّم عن «هِبَة» يسوع لحياته الخاصّة، يوحنّا ١٠: ٧-١٠، يُشير إلى أنّ يسوع يُعطي حياته الخاصّة للآخرين من خلال مصطلح «الرّاعي الصّالح» الّذي يبذل نفسَه في سبيل الخراف (١٠: ١١-١٨؛ ١٥: ١٣؛ راجع أيضًا **أشعيا ٥٣؛ حزقيال ٣٤؛ زكريّا ٩-١٤**).

نلاحظ أخيرًا أنّ يسوع يتنبّأ قبل صلاته الكهنوتيّة، قائلاً: «ها إنّها تأتي ساعةٌ وقد أتت، تتفرّقون فيها كلّ واحدٍ منكم إلى خاصّته وتتركوني وحدي ولا أكون وحدي لأنّ الآب هو معي» (١٦: ٣٢).

إنّ تمجيد الابن المذكور في ١٧: ١-٥ يُعيدنا إلى التّصريحات الواردة في ١٢: ٢٣-٣٣. «فارتفاع» الابن المذكور في ٣: ١٤ و ٨: ٢٨ يُحدِّد بوضوحٍ طبيعة الموت الّذي كان يسوع مزمعًا أن يموتها. فالمقطع التّمهيديّ «قد أتتِ السّاعة الّتي يُمجَّد فيها ابن الإنسان» (١٢: ٢٣)، يحمل أيضًا تشابهًا لغويًّا مع المقطع ١٧: ١-٥: «يا أبتِ قد أتتِ السّاعة، مجِّد ابنك ليُمجِّدك ابنُك». يتنبّأ يسوع بعد هذا المقطع مباشرةً قائلاً: «الحقّ الحقّ أقول لكم: إنّ حبّة الحنطة الّتي تقع في الأرض إنْ لم تَمُتْ فإنّها تبقى وحدها وإنْ ماتت أتت بثمرٍ كثير» (١٢: ٢٤). لذا، فإنّ الإنجيل الرّابع يُقدِّم رسالة يسوع باعتبارها جانبًا من جوانب «هِبَة الحياة» من خلال بذل حياته الخاصّة في سبيل الآخرين.

ب. الوحي والخلاص

تعتمد صورة الإنجيل الرّابع في ما يختصّ بعمل يسوع على الأهميّة الكبيرة الّتي يوليها الإنجيليّ يوحنّا في تقديمه لشخص يسوع. بالنّسبة للإنجيليّ يوحنّا...

فإنّ محنة البشر تكمن في الاغتراب عن الله، الّذي يجعل الإنسان يعيش حالةً من الشّك والظّلمة وجهل الله.

فالبشريّة ليست بحاجةٍ إلى ذبيحة استرضاء بل إلى واحٍ، ونورٍ، ومعرفةِ الله. يسوع يُحقّق في شخصه جميع هذه الاحتياجات، لا من خلال الصّليب فحسب، بل من خلال تدبيرٍ يمتدّ من التّجسُّد إلى التّمجُّد. الصّليب يُمثّل ببساطةٍ الانتقال إلى المجد، إذ إنّه يُشكّل نقطة الانطلاق في طريق يسوع للمجد، وهو، في الوقت عينه، الغاية المركزيّة لكشف محبّة الله للبشريّة. وبالتّالي، **فإنّ الإنجيليّ الحبيب يُقدّم صليب يسوع وموته كتقدمةٍ قربانيّةٍ ذاتيّة:** «... والخبز الّذي سأُعطيه أنا هو جسدي الّذي **سأبذُله** من أجل حياة العالم» (٦: ٥١)، وأيضًا: «كما أنّ الآب يعرفني وأنا أعرف الآب **وأبذل نفسي** عن الخراف» (١٠: ١٥).

يُشكّل هذان النّصّان اليوحنّاويّان دليلاً قاطعًا على أنّ موت يسوع يدخل في إطار محبّة الله للإنسان، أو عِشق الله للإنسان (١٣: ١)، إنْ جاز التّعبير، من خلال التّفاني الذّاتيّ للرّاعي الصّالح، حمل الله الرّافع خطيئة العالم (١: ٢٩). يسوع هو حمل الله، ابن الله المُرسَل ليُحقّق في شخصه مشيئة الآب ويُخلّص (أو يُحرّر أيضًا) البشريّة السّاقطة بتكفيره الذّاتيّ عن خطايا العالم بأسره. من هنا نرى أنّ الإنجيليّ يوحنّا أدرك أنّ الصّليب هو ذروة عمل الوحي الّذي فيه يُظهر الله نفسَه للبشر، مانحًا إيّاهم حياته الإلهيّة.

إنّ الخلاص بالإيمان بالكلمة والخلاص بذبيحة الحمل (أو بالدّم) هما مرحلتان أساسيّتان في تدبير الخلاص. بالإشارة إلى رسالة القدّيس يوحنّا الأولى: «وهو كَفَّارةٌ لخطايانا وليس لخطايانا فقط بل لخطايا العالم كلّه أيضًا» (٢: ٢) نؤكّد أنّ الفكر اليوحنّاويّ يَعتبر الخطيئة كسرًا للشّركة مع الله، وتتطلّب بالتّالي تضحيّةً كَفّاريّة (ἱλασμός).

«العمل» الرّئيس الّذي جاء يسوع ليُحقّقه هو **أن يوحي، أن يكشف**. لقد تمّ إنجاز هذا العمل بواسطة الآيات والأحاديث الّتي فسّرت تلك الآيات. لذا، فإنّ الخطيئة في المفهوم اليوحنّاويّ هي **الجهل**، بينما الخلاص اليوحنّاويّ هو **الكشف عن معرفة الله**.

إنّ الأفعال الّتي يستخدمها الإنجيليّ يوحنّا لوصف هذا «الوحي»، فهي التّاليّة: «φαίνω» (يُضيء، ١: ٥)؛ «φωτίζω» (يُنير، ١: ٩)؛ «ἀποκαλύπτω» (يكشف، يَعلن ١٢: ٣٨)؛ «δείκνυμι» (يُري، يُبيِّن ٢: ١٨؛ ٥: ٢٠؛ ١٠: ٣٢؛ ١٤: ٨، ٩؛ ٢٠: ٢٠)؛ أمّا الفعل الأكثر استعمالاً في الإنجيل الرّابع فهو «ὁράω» (رأى، ١: ١٨، ٣٤، ٣٩، ٥٠؛ ٣: ١١، ٣٢، ٣٦؛ ٤: ٤٥؛ ٥: ٣٧؛ ٦: ٢، ٣٦، ٤٦؛ ٨: ٣٨، ٥٧؛ ٩: ٣٧؛ ١١: ٤٠؛ ١٤: ٧، ٩؛ ١٥: ٢٤؛ ١٦: ١٦، ١٧، ١٩، ٢٢؛ ١٩: ٣٥، ٣٧؛ ٢٠: ١٨، ٢٥، ٢٩).

§ خاتمة

يتّضح ممّا تقدّم سابقًا أنّ الإنجيليّ الرّابع يعتبر طبيعة عمل يسوع فريدةً ويفصله، تاليًا، عن نشاط أتباعه. بحسب الإنجيليّ الرّابع، كان صليب يسوع وموته جزءًا لا يتجزّأ من تحقيق رسالة الابن المُرسَل من الآب، بالإضافة إلى أنّها كانت محطّةً لعودة يسوع إلى الّذي أرسله. إنّها أيضًا تمجيد الابن: «قد أتتِ السّاعة ليتمجّد ابن البشر» (١٢: ٢٣؛ راجع أيضًا ١٧: ١) وعودته إلى مجد وجوده الأزليّ: «والآن مجّدني عندك يا أبتِ بالمجد الّذي كان لي عندك من قبل كون العالم» (١٧: ٥؛ راجع أيضًا ١٧: ٢٤).

٣) مَهمّة يسوع

لفهمٍ أعمق لرسالة يسوع، علينا أن نُدرك بعضًا من خصائص شخصه، كالتّالي:

- يسوع، الإبن المُرسَل؛
- يسوع، الآتي إلى العالم والّذي يعود إلى الآب، متضمّنًا فكرة النّزول/ الصّعود؛
- يسوع، الرّاعي–المعلّم الإسكاتولوجيّ.

١. استعراضٌ للنّصوص المتضمِّنة المصطلحات

إنّ المراجع الأولى الّتي تعرض طريقة حركة رسالة يسوع موجودةٌ بالفعل في مقدّمة الإنجيل. حيث يُقدِّم الإنجيليّ يسوعَ على أنّه «النّور الحقيقيّ **الآتي إلى العالم**»،

حتّى الآتي «إلى خاصّته» (١: ٩، ١١؛ راجع أيضًا ١٢: ٤٦). يسوع أيضًا هو «اللّوغس – الكلمة» الصّائر جسدًا، الّذي يجلب نعمةً وحقًّا (١: ١٤، ١٧). تظهر هذه اللّغة ثانيةً («الآتي إلى العالم») في شهادة يسوع أمام بيلاطس: «قال له بيلاطس: أملكٌ أنت إذن؟ أجاب يسوع: أنت تقول إنّي ملك. إنّي لهذا وُلِدتُ **ولهذا أتيتُ إلى العالم لأشهد للحقّ**» (١٨: ٣٧).

هناك مقاطع يوحنّاويّة أخرى تُشير ببساطةٍ إلى «مجيء» يسوع: «... لم آتِ من عندي ولكنّ الّذي أرسلني هو حقّ...» (٧: ٢٨)، وأيضًا: «... إنّي أعلم من أين جئتُ وإلى أين أذهب» (٨: ١٤)؛ «أنا أتيتُ باسم أبي» (٥: ٤٣)؛ «المجيء» في المبادرة الذّاتيّة للمرء يتناقض مع كونه مُكلَّفًا من قِبَل شخصٍ آخر: «... لأنّي من الله خرجتُ وأتيتُ، ولم آتِ من نفسي، بل هو أرسلني» (٨: ٤٢). إنّ الاستشهادات اليوحنّاويّة الّتي تُعلن أهداف مجيء يسوع إلى العالم تتلخّص إمّا في حفظ أو جلب حياةٍ وافرةٍ لأولئك الّذين يؤمنون باسم يسوع أو في الحكم على الّذين لا يؤمنون:

> **«هكذا أحبّ الله العالم حتّى إنّه بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كلّ مَن يؤمن به بل تكون له الحياة الأبديّة. فإنّ الله لم يُرسلِ ابنه إلى العالم ليدين العالم، بل ليُخلِّص به العالم. مَن آمن به فلا يُدان ومَن لا يؤمن به فقد دِيْن منذ الآن لأنّه لم يؤمن باسم ابن الله الوحيد»** (٣: ١٦–١٨)؛ **«وقال يسوع: إنّ لدينونةٍ أتيتُ إلى هذا العالم حتّى يُبصر الّذين لا يُبصرون ويَعمى الّذين يُبصرون»** (٩: ٣٩)؛ **«أنا الباب، إنْ دخل أحدٌ بي يخلص، ويدخل ويخرج ويَجِد مرعًى. السّارق لا يأتي إلاّ ليسرق ويذبح ويُهلك، أمّا أنا فإنّما أتيتُ لكَيما تكون لهم الحياة، وتكون**

لهم أوفر» (١٠: ٩-١٠)؛ **«وإنْ كان أحدٌ يسمع أقوالي ولا يؤمن بها فأنا لا أدينه، لأنّي لم آتِ لأدين العالم، بل لأُخلِّص العالم»** (١٢: ٤٧).

على هذا الأساس، يُرسِّخ الإنجيل الرّابع مفهوم مجيء يسوع في كونه «مُرسَلاً». ففي مُناظراته وجدالاته مع اليهود، يؤكّد يسوع غالبًا وبثباتٍ أنّه «مُرسَلٌ»، ليَحميَ نفسه من تُهمة أنّ رسالته كانت تنصيبيًا ذاتيًّا. هذا التّوكيد يأتي بناءً على الصّيغة اليوحنّاويّة «الآب الّذي أرسلني» (٥: ٣٦-٣٨؛ ٦: ٣٨-٣٩؛ ٧: ١٦-١٨، ٣٣؛ ٨: ١٨، ٢٦، ٢٩، ٤٢؛ ٩: ٤؛ ١٢: ٤٤-٤٥، ٤٩)؛ في وقتٍ لاحق، يُشير يسوع إلى كونه «مُرسَلاً» في ما يتعلّق بإرساله للتّلاميذ: «كما أرسلني الآب كذلك أنا أُرسِلُكم» (٢٠: ٢١؛ راجع أيضًا الفصل ١٧).

هناك مصطلحاتٌ عدّة تختصّ بموضوع الرّسالة تُشكِّل كتلةً مع خصائص شخص يسوع في الإنجيل الرّابع. على سبيل المثال، **كابنٍ للإنسان، يسوع ينزل من السّموات ويصعد إليها** (٣: ١٣-١٥؛ ٦: ٦٢؛ ٢٠: ١٧)؛ **كخبزٍ للحياة، يسوع ينزل من السّموات** (٦: ٢٩-٥٩). تُطبَّق على يسوع أيضًا إشاراتٌ إلى «مجيء» النّبيّ والمسيح (٤: ٢٥؛ ٦: ١٤؛ ٧: ٢٧، ٣١، ٤١-٤٢؛ ١١: ٢٧؛ ١٢: ١٣، ١٥ نقلاً عن مزمور ١١٨: ٢٥-٢٦ وزكريّا ٩: ٩). أمّا خطاب يسوع الوداعيّ فهو يتضمّن العديد من الإشارات إلى «**الذّهاب إلى الآب**».

٢. طرق حركة رسالة يسوع

أ. الرّسالة وشخص يسوع

يُمكننا تصنيف الإشارات إلى مجيء يسوع إلى أربعة أساليب هي: «مجيئه إلى العالم» (٣: ١٩؛ ٩: ٣٩؛ ١١: ٢٧؛ ١٢: ٤٦؛ ١٦: ٢٨؛ ١٨: ٣٧)؛ «مجيئه من عند الآب» (٨: ٤٢؛ ١٣: ٣؛ ١٦: ٢٧-٢٨، ٣٠؛ ١٧: ٨)؛ «مجيئه» (٥: ٤٣؛ ٧: ٢٨؛ ٨: ١٤؛ ١٠: ١٠؛ ١٢: ٤٧؛ ١٥: ٢٢)؛ وأخيرًا «نزوله من السّموات» (٣: ١٣؛ ٦: ٣٣، ٣٨، ٤١-٤٢)؛ بالإضافة إلى هذه الأساليب المذكورة، يُمكننا أن نلاحظ العلاقة بين المصطلحات التّاليّة: الإرسال والمجيء (٧: ٢٨-٢٩؛ ٨: ٤٢؛ ١٧: ٨)؛ المجيء والنّزول (٣: ١٣؛ ٦: ٣٣، ٣٨، ٤١-٤٢)؛ المجيء والذّهاب (أيضًا العودة؛ ٣: ١٩؛ ٨: ١٤؛ ١٢: ٣١؛ ١٣: ١، ٣؛ ١٤: ١٢، ٢٨؛ ١٦: ٥، ١٠، ١٧، ٢٨)؛ وأخيرًا النّزول والصّعود (٣: ١٣؛ ٦: ٦٢)؛ يُمكننا أيضًا ملاحظة الرّابط بين هذه المصطلحات وموضوعَي «الارتفاع»، أي الصّليب (٣: ١٤؛ ٨: ٢٨؛ ١٢: ٣٢، ٣٤) و«المجد» (٧: ٣٩؛ ١٢: ١٦، ٢٣؛ ١٣: ٣١-٣٢؛ ١٧: ١، ٥، ٢٤)؛ كلّ هذا يُظهر أنّ أهداف مجيء يسوع تكمن في شهادته (١٨: ٣٧) على أنّه «نور» (١٢: ٤٦)، وفي كونه أيضًا «واهبًا للحياة والخلاص» (٣: ١٦-١٧؛ ١٠: ٩-١٠).

تُعتبر خصائص شخص يسوع من الرّكائز الأساسيّة لفهم رسالة يسوع في الإنجيل الرّابع. لذا يُمكننا تسليط الأضواء على ألقاب يسوع الثّلاثة: «المسيح» وهو لقبٌ لم يُقابَل بالتّرحيب من قِبَل اليهود بحسب الإنجيل الرّابع، الّذين رفضوا

فكرة أن يكون يسوع هو المسيح المنتظَر (٧: ٢٦-٢٧، ٣١، ٤١-٤٢؛ ٩: ٢٢؛ ١٠: ٢٤؛ ١٢: ٣٤)، بينما قَبِلَه المؤمنون بيسوع، فكانت مرتا أخت لعازر النّاطقة باسمهم حين أعلنت: «نعم يا سيّد، أنا مؤمنةٌ أنّك المسيح ابنُ الله الآتي إلى العالم» (١١: ٢٧؛ راجع أيضًا ٢٠: ٣١). بالإضافة إلى هذا اللّقب، نُشير إلى لقبَين كريستولوجيَّين هامَّين هما «ابن الإنسان» و «ابن الله».

كلّ هذه الألقاب تجعلنا نركِّز على حقيقةٍ أساسيّةٍ هي أنّ يسوع هو **حامل الخلاص الإسكاتولوجيّ وأنّ مجيئه يُشكِّل الحدث الإسكاتولوجيّ، إذ إنّه حقّق النّبوءات المسيانيّة الّتي تنبّأ بها كلٌّ من موسى والأنبياء**: «فوجد فيلبُّس نثنائيل فقال له: إنّ الّذي كتب عنه موسى في النّاموس والأنبياء، قد وجدناه، وهو يسوع بن يوسف الّذي من النّاصرة» (١: ٤٥)؛ «أنتم تبحثون في الكتب لأنّكم تحسبون أنّ لكم فيها حياةً أبديّة، فهي الّتي تشهد لي» (٥: ٣٩)؛ وأخيرًا: «فلو كنتم تُصدِّقون موسى لكنتم تُصدِّقونَني، لأنّه كتب عنّي» (٥: ٤٦). **إنّه يُحقِّق الكتب المقدّسة** (٤: ٢٥-٢٦) وكذلك **التوقّعات اليهوديّة الخاصّة «بالمخلِّص الثّاني»** الّذي يمنح الخبز من السّماء كما فعل يومًا موسى (٦: ٣١-٣٢). مجيء يسوع هو بالتّحديد «يوم المسيح»: «إبراهيم أبوكم ابتهج حتّى يرى يومي فرآه وفَرِح» (٨: ٥٦). ثمّ إنّ مجيء يسوع يُشكِّل الحكم على العالم ودينونته: «وهذه هي الدّينونة: أنّ النّور قد جاء إلى العالم والنّاس أحبُّوا الظّلمة أكثر من النّور، لأنّ أعمالهم كانت شرّيرة» (٣: ١٩؛ راجع أيضًا ٣: ٣٦؛ ٥: ٢٤-٢٥؛ ٦: ٤٧؛ ٨: ٥١؛ ٩: ٣٩؛ ١١: ٢٥-٢٦).

ب. طرق الحركة وخصائص شخص يسوع

لفهمٍ أعمق، نضع أمام القارئ رسمًا بيانيًّا لطرق الحركة وخصائص شخص يسوع في الإنجيل الرّابع، على الشّكل التّالي:

طريقة الحركة	خصائص شخص يسوع
الإرسال	ابن الآب (٣: ١٦–١٧؛ ٥: ٢٣، ٣٠، ٣٦؛ ١٠: ٣٦؛ ١٢: ٤٩؛ ١٤: ٢٤؛ ١٧: ٣، ١٨، ٢١، ٢٣، ٢٥؛ ٢٠: ٢١؛ راجع أيضًا ٧: ٢٨–٢٩؛ ٨: ١٦، ١٨، ٢٦، ٢٨–٢٩)
المجيء إلى العالم	الكلمة/النّور (١: ٩؛ ٣: ١٩؛ ٨: ١٢؛ ١٢: ٤٦)
العودة إلى الآب	(٧: ٣٣؛ ٨: ١٤؛ الفصول ١٣–١٧)
الآتي	المسيح، النّبيّ (٤: ٢٥؛ ٦: ١٤؛ ٧: ٢٧، ٣١، ٤١–٤٢؛ ١١: ٢٧؛ ١٢: ١٣، ١٥)
النّزول	خبز الحياة (٦: ٣٠–٥٩)
النّزول والصّعود	إبن الإنسان (٣: ١٣؛ ٦: ٦٢؛ ٨: ٢٨)
الدّعوة للاتّباع	الرّابّي/المعلّم (١: ٣٧–٤٣؛ ٨: ١٢؛ ١٠: ٤، ٥، ٢٧؛ ١٢: ٢٦؛ ٢١: ١٩–٢٣)
التّجميع	الرّاعي الإسكاتولوجيّ (١٠: ١٦؛ ١١: ٥١–٥٢)

ت. طرق الحركة وأهداف رسالة يسوع

يَظهر من بعض الآيات اليوحنّاويّة أنّ هناك تداخلاً بين مصطلحات الرّسالة والأهداف المرتبطة بها، وبخاصّةٍ ما ورد في المقاطع التّاليّة (٣: ١٧؛ ١٢: ٤٧).

طريقة الحركة	خصائص شخص يسوع
الإرسال	االخلاص/الدّينونة (٣: ١٦-١٧)
المجيء إلى العالم	كشف الآب (١: ١٤، ١٨)
العودة إلى الآب	الدّينونة (٩: ٣٩)؛ الخلاص/الدّينونة (١٢: ٤٧)؛ الحياة الوافرة/الخلاص (١٠: ٩-١٠)؛ الشّهادة للحقّ (١٨: ٣٧)
الآتي	تحقيقُ توقُّعات العهد القديم (٤: ٢٥؛ ٦: ١٤؛ ٧: ٢٧، ٣١، ٤١-٤٢؛ ١١: ٢٧؛ ١٢: ١٣، ١٥)
النّزول	هبة الحياة (٦: ٣٣، ٤٠، ٤٤، ٤٧، ٥٠-٥٨)
النّزول والصّعود	من الألم إلى المجد (٣: ١٣؛ ٦: ٦٢؛ ٢٠: ١٧)
الدّعوة للاتّباع	إعادة «إسرائيل» (الفصول ١؛ ١٠؛ ١٥)؛ دعوة النّاس إلى الإيمان (١: ٣٧-٤٣؛ ٨: ١٢؛ ١٠: ٤، ٥، ٢٧؛ ١٢: ٢٦؛ ٢١: ١٩-٢٣)
التّجميع	الوَحدة الإسكاتولوجيّة لشعب الله (١٠: ١٦؛ ١١: ٥١-٥٢)

يبدو أنّ مصطلحات «الرّسالة» عادةً ما تكون مرتبطةً بالإبن الّذي يُتمِّم أعمال الآب، وتُركِّز على الطّريقة الّتي يحمل فيها يسوع رسالته، وتَشدّ الانتباه أيضًا إلى نوعيّة العلاقة القائمة بين يسوع ومُرسِله، أي الآب: كابنٍ مُطيعٍ في اعتمادٍ كلّيٍّ على الآب. نادرًا ما يكون الهدف في صِلةٍ مع مصطلحات الرّسالة. إلاّ أنّ هناك استثناءً أساسيًّا يرد في الفصل الثّالث من الإنجيل الرّابع: «هكذا أحبّ الله العالم حتّى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كلّ مَن يؤمن به بل تكون له الحياة الأبديّة. فإنّ الله لم يُرسِلِ ابنه الوحيد إلى العالم ليدين العالم، بل ليُخلِّص به العالم» (٣: ١٦–١٧). حتّى إنّ هذا التّصريح لم يَرِد على لسان يسوع نفسه، بل على الأرجح ورد على لسان الإنجيليّ الرّابع، كما في معظم المراجع اليوحنّاويّة الّتي تشير إلى موضوع إرسال الابن في الإنجيل الرّابع.

بينما نلاحظ نُدرةً في المراجع اليوحنّاويّة الّتي تشير إلى أهداف رسالة يسوع في علاقتها بمصطلحات «الإرسال»، يسترعينا الانتباه إلى كثرتها بارتباطها الوثيق بتعابير «**المجيء**»:

- إنّه، في ١: ٩، **عطيّة النّور لكلّ إنسان**: «كان النّور الحقيقيّ الّذي يُنير كلّ إنسانٍ آتٍ إلى العالم»؛ إنّه، في ١: ١٤، ١٨، **كشف يسوع لأبيه وبخاصّةٍ كشف مجد أبيه**، وهما موضوعان يوحنّاويّان مرتبطان بمصطلحات «المجيء» (صار – ἔρχομαι/γίνομαι – أتى): «والكلمة صار جسدًا وحلّ فينا وقد أبصرنا مجده مجد وحيدٍ من الآب، مُمتلئًا نعمةً وحقًّا»؛ «الله لم يره أحدٌ قطّ، الابن الوحيد الّذي في حضن الآب هو **خبَّر**».

- نلاحظ أيضًا أنّ «**الدّينونة أو الحكم**» هو هدفٌ خاصٌّ بمجيء يسوع: «إنّي **لدينونةٍ أتيتُ** إلى العالم» (٩: ٣٩)، وأيضًا في موضعٍ آخر من الإنجيل يقول السّيّد المسيح: «لو **لم آتِ** وأُكلِّمْهم لم تكن لهم خطيئة» (١٥: ٢٢).

- إنّه، وفق ١٠: ٩-١٠، **عطيّة الخلاص المجّانيّ والحياة الوافرة الحقيقيّة** الّتي لا يُوفِّرها لنا إلاّ واحدٌ هو يسوع المسيح، طريقنا الوحيد إلى الآب: «أنا الباب، إنْ دخل أحدٌ بي يخلُص، ويدخل ويخرج ويجد مرعًى. السّارق لا يأتي إلاّ ليسرق ويذبح ويُهلك، أمّا أنا فإنّما أتيتُ لكيما تكون لهم الحياة، وتكون لهم أوفر» (راجع أيضًا ١٢: ٤٧).

- إنّه، بحسب ١٨: ٣٧، **شهادة يسوع للحقيقة**: «إنّي لهذا وُلِدتُ ولهذا أتيتُ إلى العالم **لأشهد للحقّ**».

نلاحظ أيضًا أنّ أهداف رسالة يسوع ترتبط بمصطلحاتٍ أخرى تتعلّق بالرّسالة في الإنجيل الرّابع، كالتّالي:

- موضوع **إعادة «إسرائيل»**، الّذي يشير إلى الخلاص التّاريخيّ الّذي تمّ بيسوع المسيح، كلمة الله الحيّ. نجد أنّ هذا الموضوع الأخير متجذِّرٌ في الإنجيل الرّابع من خلال تسميّة نثنائيل من قِبَل يسوع («إسرائيليٌّ حقيقيّ – ἀληθῶς Ἰσραηλίτης»، ١: ٤٧)، واعتراف نثنائيل بيسوع («أنتَ ملك إسرائيل – σὺ βασιλεὺς τοῦ Ἰσραήλ»، ١: ٤٩)؛ كما يُمكننا أن نلحظ أيضًا الرّمزيّة المُحتَمَلة للعدد «١٢» في ٦: ٦٧، ٧٠ وهو عدد أسباط إسرائيل الاثني

عشر؛ وأخيرًا، تطبيق صورة «الكرمة» (تُستَعمل هذه الصّورة في العهد القديم لإسرائيل) على يسوع في الفصل ١٥ من الإنجيل، وأغصانها على تلاميذه.

- أمّا الموضوع الثّاني فيكمن في «**دعوة النّاس إلى الإيمان**»، مع مزيدٍ من التّلميحات إلى تدريبهم وإرسالهم إلى العالم لنشر كلمة الخلاص من خلال الإيمان بيسوع المسيح.

٤) عرض الإنجيل الرّابع لرسالة يسوع: يسوع هو المسيح

يتّضح من الفصل ٢٠: ٣٠-٣١ ماهيّة الهدف الّذي يبتغي الإنجيل الرّابع تبيانه. هناك يُقال إنّ الإنجيليّ اختار آياتٍ ليُقنع قارئيه أنّ المسيح، ابن الله، هو يسوع. يظهر أنّ يوحنّا تابع هذا الهدف من خلال توفير ثلاث صور ليسوع: يسوع هو الإبن المُرسَل من الآب؛ يسوع هو الآتي إلى العالم والعائد إلى الآب (موصوفة أيضًا بمصطلحات النّزول/الصّعود)؛ وأخيرًا يسوع هو المعلّم-الرّاعي الإسكاتولوجيّ. هذه الصّور الثّلاث تُوضِّح نوعيّة شخص يسوع.

١. الآتي

إنّ مصطلحات الرّسالة وبخاصّةٍ المصطلح «ἔρχομαι - جاء»، الّذي يتمّ تطبيقه على يسوع مرّاتٍ عدّة في الإنجيل الرّابع للإشارة إلى الانتظار المسيحانيّ؛ فمصطلحات «الآتي» و «الماسيّا» أو «المسيح» غالبًا ما توجد معًا، وسيتمّ، بالتّالي، التّطرُّق إليها معًا:

- «قالت له المرأة (السّامريّة): إنّي أعلم أنّ الماسيّا الّذي يُقال له **المسيح يأتي**، فمتى جاء ذاك، فهو يُخبرنا بكلّ شيء» (٤: ٢٥).

- «ولكنْ هذا قد عرفناه من أين هو، وأمّا **المسيح فمتى جاء** فلا يعلم أحدٌ من أين هو» (٧: ٢٧)؛ «فآمن به كثيرٌ من الجمع وقالوا: إذا **جاء المسيح** أفلعلّه يعمل آياتٍ أكثر ممّا عَمِلَ هذا؟» (٧: ٣١)؛ «وقال آخرون: هذا هو المسيح! وآخرون قالوا: ألعلّ **المسيح** من الجليل **يأتي؟**» (٧: ٤١)؛ «ألم يَقُلِ الكتاب إنّه من نسل داود من قرية بيت لحم حيث كان داود، يأتي المسيح؟» (٧: ٤٢).

- «قالت له: نعم يا سيّد، أنا مؤمنةٌ أنّك **المسيح** ابن الله **الآتي إلى العالم**» (١١: ٢٧).

كما يستعمل الإنجيليّ يوحنّا أيضًا هذه الألقاب وسواها منفردةً كالآتي: «Ἰησοῦς Χριστός – يسوع المسيح» (١: ١٧؛ ١٧: ٣)؛ «Μεσσίας – ماسيّا» (١: ٤١؛ ٤: ٢٥)؛ «Χριστός – المسيح» (٤: ٢٥، ٢٩؛ ٧: ٢٦، ٢٧، ٣١، ٤١، ٤٢؛ ٩: ٢٢؛ ١٠: ٢٤؛ ١١: ٢٧؛ ١٢: ٣٤؛ ٢٠: ٣١)؛ «هذا هو في الحقيقة **النّبيّ الآتي** إلى العالم» (٦: ١٤)؛ أخيرًا، تعبير «**الرّاعي–الملك**»، المُقتبَس عن العهد القديم (١٢: ١٣، ١٥).

دراسة هذه المقاطع المتّصلة تكشف أنّ الإنجيليّ الرّابع يستعمل تعابير الشّخصيّات التّمثيليّة ليقود قارئيه في تفكيرهم الخاصّ، في ما إذا كان يسوع هو في الحقيقة المسيح أم لا!

إنّ أوّل شخصٍ أشار في الإنجيل الرّابع إلى يسوع على أنّه المسيح هو أندراوس (١: ٤١). في ٤: ٢٩، تساءلت المرأة السّامريّة قائلةً: «لعلّه هو المسيح؟». في عيد المَظال، تداول أُناسٌ من أورشليم بشأنه قائلين: «ألعلّ الرّؤساء عرفوا يقينًا أنّ هذا هو المسيح حقًّا؟» (٧: ٢٦). تجدر الإشارة إلى أنّ الاهتمامات الأساسيّة للشّعب قد جعلت وُجهة سَير هذه التّصريحات تتلاقَ لسببَين هامَّين:

- **الأوّل: يتعلّق بأصل المسيح** («... وأمّا المسيح فمتى جاء فلا يعلم أحدٌ من أين هو»، ٧: ٢٧).
- **الثّاني: آيات يسوع المسيانيّة** («... إذا جاء المسيح أفلعلّه يعمل آياتٍ أكثر ممّا عَمِلَ هذا؟»، ٧: ٣١).

هذه الاهتمامات، بدورها، تُشبه الطّرح النّهائيّ لهدف الإنجيل برمّته: «وآياتٍ أُخَرَ كثيرةً صنع يسوع أمام تلاميذه لم تُكتَب في هذا الكتاب، وأمّا هذه فقد كُتِبَت لتؤمنوا بأنّ يسوع هو المسيح ابن الله، ولكي تكون لكم إذا آمنتم الحياة باسمه» (٢٠: ٣٠-٣١)، حيث يُعطَى المسيح لقب «ابن الله» وحيث تَرِد آياته كدليلٍ قاطعٍ وجازمٍ على مسيانيّة يسوع.

بالإضافة إلى كلّ ما تقدّم، يؤكّد يوحنّا أنّ مصير جميع أولئك الّذين يعترفون بيسوع على أنّه المسيح سيكون بالفعل إخراجهم من المجمع: «... لأنّ اليهود كانوا قد تعاهدوا أنّه إنِ اعترف أحدٌ بأنّه المسيح يُخرَج من المجمع» (٩: ٢٢). إنّ قارئي الإنجيل كانوا على بيّنةٍ من العداء الّذي يكنّه رؤساء اليهود ليسوع وإصرارهم على معاقبة كلّ مَن يؤمن به بطرده من المجمع من خلال مطالبتهم:

«حتّى متى تُعلِّق أنفسنا؟ إنْ كنتَ أنت المسيح، فقُل لنا علانيّة» (١٠: ٢٤)؛ فالقارئ اليوحنّاويّ شَهِدَ طوال الإنجيل وحتّى هذه اللّحظة رفض القيادة الدّينيّة اليهوديّة لآيات يسوع وأعماله المسيانيّة، أي أنّ يسوع هو المسيح من عند الله. لذا يتّضح أنّ مطالبتهم في ١٠: ٢٤ لم تكن سوى اعترافًا مُرائيًا. أمّا مرتا فتُمثِّل، من ناحيةٍ أخرى، اعترافًا إيمانيًّا بيسوع على أنّه «المسيح»، لتُصبح، بالتّالي، مثالاً عمليًّا لكلّ أولئك الّذين يَصِلون إلى الاستنتاج المنشود من قِبَل الإنجيليّ: «أنا مؤمنةٌ أنّك المسيح ابن الله الآتي إلى العالم» (١١: ٢٧). أخيرًا، واحدٌ آخَر، ربّما يكون الأبرز، يكمن في اعتراض الجمع على مسيانيّة يسوع: كيف يمكن للمسيح أن «يُرفَع»، أي أن «يُصلَب»، في الوقت الّذي يُعلن فيه الكتاب أنّ المسيح يحيا إلى الأبد (راجع ١٢: ٣٤)؟

تأخذ كلّ هذه التّصريحات معناها الكامل على ضوء الهدف المُعلَن في خاتمة الإنجيل: «وأمّا هذه الآيات فقد كُتِبَت لتؤمنوا بأنّ يسوع هو المسيح ابن الله، ولكي تكون لكم إذا آمنتم حياةٌ باسمه» (٢٠: ٣١). يهدف هذا التّصريح الأخير إلى فهمٍ أعمق لبُنية الإنجيل الرّابع المُرتكزة على: تدوين الآيات المسيانيّة (راجع أشعيا ١١: ٢؛ ٤٢: ١-٩؛ ٦١: ١-٢؛ متّى ١١: ٢-٦؛ لوقا ٧: ١٨-٢٣)؛ إبراز طبيعة يسوع الإلهيّة وأصله الإلهيّ (راجع ١١: ٤٢؛ ١٦: ٢٧، ٣٠؛ ١٧: ٨)؛ وإظهار واحدٍ من الأهداف الرّئيسيّة لرسالته: إعطاء الحياة.

٢. يسوع، الإبن المـُرسَل

أ. عمل المُرسَل

يهتـمّ الإنجيـل الرّابع بتبيـان الارتبـاط الوثيـق القائـم بيـن تعبيري «الارسال» و «الابن» بعلاقتهما الأساسيّة مع «الآب» من خلال الكثير من المقاطع اليوحنّاويّة الّتي تُركّز على هذا الموضوع (راجع ٣: ١٦-١٧؛ ٥: ٢٣، ٣٠، ٣٦؛ ٧: ٢٨-٢٩؛ ٨: ١٦، ١٨، ٢٦، ٢٨-٢٩؛ ١٠: ٣٦؛ ١٢: ٤٩؛ ١٤: ٢٤؛ ١٧: ٣، ١٨، ٢١، ٢٣، ٢٥؛ ٢٠: ٢١). في أماكن أخرى من الإنجيل، يظهر المصطلح «الابن» في ترابطٍ مع المصطلح «يأتي من» (٨: ٤٢؛ ١٣: ٣؛ ١٦: ٢٨؛ ١٧: ٨) و»يمضي إلى» (١٤: ١٢، ٢٨؛ ١٧: ١١، ١٣).

وعليه فإنّنا نؤكّد أنّ عمل المُرسَل يكمن في أن يُمجِّد الّذي أرسله (أي «الآب») ويُكرمه (٥: ٢٣؛ ٧: ١٨)؛ أن يعمل مشيئة الّذي أرسله (٤: ٣٤؛ ٥: ٣٠، ٣٨؛ ٦: ٣٨-٣٩) ويُتمِّم أعماله (٥: ٣٦؛ ٩: ٤)؛ أن يتكلّم كلام الّذي أرسله (٣: ٣٤؛ ٧: ١٦؛ ١٢: ٤٩؛ ١٤: ١٠، ٢٤)؛ وأن يُقدِّم تقريرًا عن عمله للّذي أرسله (الفصل ١٧)؛ إنّه يشهد لمُرسِله (٥: ٣٦؛ ٧: ٢٨ = ٨: ٢٦)، ويُمثِّله بدقّةٍ (١٢: ٤٤-٤٥؛ ١٣: ٢٠؛ ١٥: ١٨-٢٥)، ويُمارس السّلطة الموكلة إليه من قِبَل المُرسِل (٥: ٢١-٢٢، ٢٧؛ ١٣: ٣؛ ١٧: ٢؛ ٢٠: ٢٣)؛ وأخيرًا، أن يكون المُرسَل على معرفةٍ وثيقةٍ بالمُرسِل (٧: ٢٩)، وأن يحيا مع مُرسِله في علاقةٍ حميمة (٨: ١٦، ١٨، ٢٩؛ ١٦: ٣٢)، متّبعًا مثال مُرسِله (١٣: ١٦).

ب. مبادئ المُرسَل

• أن يطلب المُرسَل مجد الّذي أرسله

فإذا ما تعمّقنا في حياة يسوع ورسالته لوجدنا أنّ يسوع حقّق هذا المطلب على نحوٍ كامل: «إنّ مَن يتكلّم من عنده إنّما يطلب مجد نفسه، فأمّا الّذي يطلب مجد الّذي أرسله فهو صادقٌ وليس فيه جورٌ» (٧: ١٨؛ راجع أيضًا ٨: ٥٠، ٥٤؛ ١١: ٤، ٤٠). كثيرًا ما يرتبط موضوع «المجد» في الإنجيل الرّابع بمصطلح «الإرسال» (٧: ١٨؛ الفصل ١٧). فعلى النّقيض من نفسه، يتكلّم يسوع، في مواقفَ عدّةٍ، عن أولئك الّذين يطلبون مجدهم الذّاتيّ بدلاً من مجد الله: «مجدًا من النّاس لستُ أقبل، لكنّي قد عرفتُكم أنْ ليست فيكم محبّة الله» (٥: ٤١–٤٢؛ راجع أيضًا ٧: ١٨؛ ٨: ٥٠، ٥٤)، وأيضًا: «لأنّهم أحبُّوا مجد النّاس على مجد الله» (١٢: ٤٣)؛ لقد أثبت يسوع، بالتّالي، أنّ مجد الّذي أرسله يُشكّل الاهتمام الأساسيّ لرسالته: «أنا قد مجّدتُك على الأرض، قد أتممتُ العمل الّذي أعطيتني لأعمله، والآن مجّدني عندك يا أبتِ بالمجد الّذي كان لي عندك من قبْلِ كون العالم» (١٧: ٤–٥؛ راجع أيضًا ١١: ٤، ٤٠؛ ١٢: ٢٨؛ ١٣: ٣١؛ ١٤: ١٣؛ ١٧: ١).

• ألّا يعمل المُرسَل مشيئته الخاصّة بل مشيئة الّذي أرسله، يعمل أعماله، ويتكلّم كلامه، ويكون مسؤولاً أمامه

مرّةً أخرى، يعرض الإنجيليّ يوحنّا رسالة يسوع كمثالٍ مُصغَّرٍ لهذه المبادئ. فأنْ يعمل يسوع مشيئة أبيه ويُتمِّم عمله هو بالتّحديد «طعامه» (٤: ٣٤). حتّى إنّ الأعمال الّتي يعملها يسوع تؤكّد على أنّ الآب هو الّذي أرسله: «وأمّا أنا فلي شهادةٌ أعظم

من يوحنّا، لأنّ الأعمال الّتي أعطاني الآب أن أُتمِّمها، هذه الأعمال بعينها الّتي أنا أعملها تشهد لي بأنّ الآب قد أرسلني» (٥: ٣٦). إنّه يُشدِّد على أهمّيّة القيام بأعمال الله، حين يقول: «ينبغي لي أن أعمل أعمال الّذي أرسلني ما دام نهارٌ» (٩: ٤). وفي سياق الجدال حول السّبت، يؤكّد يسوع على أنّ «أبي حتّى الآن يعمل، وأنا أيضًا أعمل» (٥: ١٧). ويُضيف: «إنّ الإبن لا يقدر أن يعمل من نفسه شيئًا إلاّ ما يرى الآبَ يعمله، لأنّ ما يعمله ذاك، يعمله الإبن كذلك. لأنّ الآب يُحِبُّ الإبن ويُريه جميع ما يعمله» (٥: ١٩–٢٠). هذا النّموذج (العلاقة بين الآب والإبن) سيُصبح في وقتٍ لاحقٍ القاعدة الذّهبيّة الّتي ستُحدِّد العلاقة بين يسوع وتلاميذه: «... لأنّكم بدوني لا تستطيعون أن تعملوا شيئًا» (١٥: ٥)؛ «... لأنّي أعلمتُكم بكلّ ما سمعتُ من أبي» (١٥: ١٥)؛ «وأنا قد أعطيتُهم المجد الّذي أعطيته لي ليكونوا واحدًا كما نحن واحد» (١٧: ٢٢)؛ «وقد عرّفتُهم باسمك وسأعرِّفُهم لتكون فيهم المحبّة الّتي أحببتني وأكون أنا فيهم» (١٧: ٢٦؛ راجع أيضًا ١٧: ٦–٨).

- **إنّ ما يُميِّز أعمال يسوع وكلامه أنّها هي نفسُها أعمال الّذي أرسله وكلامه**

لقد لاحظ المعمدان أيضًا هذا، فقال: «لأنّ الّذي أرسله الله يتكلّم بكلام الله» (٣: ٣٤). يسوع نفسُه يؤكّد «أنّ تعليمي ليس لي بل للّذي أرسلني» (٧: ١٦). ثمّ يُعلن يسوع أيضًا: «مَن رذلني ولم يقبل أقوالي، فإنّ له مَن يَدينُه، الكلام الّذي نطقتُ به، هو يَدينُه في اليوم الأخير، لأنّي لم أتكلّم من نفسي لكنّ الآب الّذي أرسلني هو أعطاني الوصيّة بما أقول وبما أنطق... والّذي أتكلّم به فكما قاله لي الآب هكذا أتكلّم به» (١٢: ٤٨–٥٠). وفي موضعٍ آخر من الإنجيل، يُعلن

يسوع قائلاً: «الكلام الّذي أُكلِّمُكم به لا أتكلّم به من عندي، لكنّ الآب المقيم فيّ هو يعمل الأعمال» (١٤: ١٠). لاحقًا، يكرِّر يسوع لتلاميذه قائلاً: «الكلام الّذي تسمعونه هو ليس لي، بل للآب الّذي أرسلني» (١٤: ٢٤).

• أنْ يكون المُرسَل مسؤولاً عن تمثيل الّذي أرسله

يظهر هذا المبدأ بوضوحٍ في الآية اليوحنّاويّة الآتيّة: «الحقّ الحقّ أقول لكم: إنّ الّذي يقبل مَن أُرسلُه يقبلُني، والّذي يقبلُني يقبل الّذي أرسلني» (١٣: ٢٠). يُعبِّر يسوع عن الحقيقة نفسها بقوله: «مَن آمن بي لم يؤمن بي أنا بل بالّذي أرسلني، ومَن رآني فقد رأى الّذي أرسلني» (١٢: ٤٤–٤٥). ويُعلن يسوع، مرّةً أخرى، قائلاً: «مَن رآني فقد رأى الآب» (١٤: ٩). مقطعٌ يوحنّاويٌّ آخر يُظهر تمثيل يسوع لمُرسِله: «إنّ الإبن لا يقدر أن يعمل من نفسه شيئًا إلاّ ما يرى الآبَ يعملُه، لأنّ ما يعمله ذاك، يعمله الإبن كذلك. لأنّ الآب يُحِبُّ الإبن ويُريه جميع ما يعمله...» (٥: ١٩–٢٣).

وعليه، فإنّ الإنجيل الرّابع يُشير إلى المسؤوليّة الّتي تقع على عاتق المُرسَل في تمثيل مُرسِله من خلال تعبير «**الشّهادة**» («يشهد على»). فيسوع شَهِدَ للّذي أرسله وأكّد أنّ الّذي أرسله حقٌّ: «لم آتِ من عندي ولكنّ الّذي أرسلني هو حقٌّ وأنتم لا تعرفونه، وأمّا أنا فأعرفه لأنّي منه وهو أرسلني» (٧: ٢٨–٢٩)؛ «الّذي أرسلني هو حقٌّ، والّذي سمعته أنا منه به أتكلّم في العالم» (٨: ٢٦). شَهِدَ يسوع للّذي أرسله لا سيّما من خلال أعماله وكلامه (راجع ٥: ٣٦). وأمام بيلاطس، لخّص يسوع رسالته كالتّالي: «إنّي لهذا وُلِدتُ ولهذا أتيتُ إلى العالم لأشهد للحقّ» (١٨: ٣٧).

- **من تمثيل يسوع للّذي أرسله: ممارسته للسّلطة المفُوَّضة إليه من قِبَله**

فحقيقة أنّ سلطة يسوع هي تفويضيّة تستمرّ لتُسلِّط الأضواء على موضوع اعتماده على مُرسِله، ذلك أنّ يسوع أُعطِيَ «سلطانًا على جميع البشر» لإعطاء حياةٍ أبديّةٍ لجميع أولئك الّذين أعطاهم الآب له: «كما أعطيتَه سلطانًا على كلّ بشرٍ ليُعطيَ كلَّ مَن أعطيتَه له حياةً أبديّةً» (١٧: ٢؛ راجع أيضًا ١٣: ٣). ليسوع سلطانٌ على أن يُعطيَ الحياة: «فكما يُقيم الآب الموتى ويُحييهم، كذلك الإبن أيضًا يُحيي مَن يشاء. لأنّ الآب لا يدين أحدًا بل أعطى الحكم كلَّه للإبن» (٥: ٢١–٢٢). جزءٌ من سلطان يسوع الواهب الحياة يكمن في سلطان الحكم: «وأعطاه سلطانًا أن يُجريَ الحكم لأنّه ابن البشر» (٥: ٢٧).

يظهر هذا السّلطان بامتيازٍ في حادثة إحياء لعازر (الفصل ١١). تتجلّى سلطة يسوع على حياته الخاصّة في الفصل ١٠ من الإنجيل، حين يؤكّد أنْ لا أحدًا بمقدوره أن يأخذ حياته منه، بل إنّه يملك «سلطانًا» على بذلها و«سلطانًا» على أخذها (راجع ١٠: ١٨). وبالتّالي، فإنّ **سلطة يسوع على الحياة هي سلطةٌ مُنتدَبَةٌ من الآب نفسه:** «كما أنّ الآب له حياةٌ في ذاته كذلك أعطى الإبن أيضًا أن تكون له حياةٌ في ذاته» (٥: ٢٦).

بصرف النّظر عن الإشارات المحدَّدة لسلطان يسوع في الإنجيل الرّابع، هناك أيضًا دلائل ضمنيّة لسلطان يسوع، تظهر على الشّكل التّالي:

- **سلطان يسوع على أن يغفر الخطايا**

فيوحنّا المعمدان يُقدِّم يسوع لبعضٍ من تلاميذه من خلال تسميته «حمل الله

الرّافع خطيئة العالم» (١: ٢٩). إذا كان هذا التّعبير يُشير إلى «الحمل المُساق إلى الذّبح»، الوارد ذكره في أشعيا ٥٣: ٧ و١٠، فهو بالتّأكيد سيكون إشارةً إلى غفران الخطايا عن طريق «الذّبيحة الكفّاريّة» ليسوع، حمل الله، على الصّليب؛ أمّا إذا كان هذا الحمل يُشير إلى حمل الرّؤيا (٥: ٦، ١٢؛ ٧: ١٧؛ ١٣: ٨؛ ١٧: ١٤؛ ١٩: ٧، ٩؛ ٢١: ٢٢-٢٣؛ ٢٢: ١-٣) فهو يُشير إلى الحكم والدّينونة بدلاً من التّكفير.

إنّ النّتيجة الطّبيعيّة لسلطان يسوع الخاصّ بغفران الخطايا هي سلطانه على الاحتفاظ بها. إشارةٌ واضحةٌ إلى هذا السّلطان تَظهر في الفصل ٩ من الإنجيل. عندما اقترب منه بعض الفرّيسيّين، بعد أن كان قد فتح عينَيِ الأعمى، سائلين إيّاه إذا كانوا هم أيضًا عميانًا، أجابهم يسوع: «لو كنتم عميانًا لَما كانت لكم خطيئةٌ. والآن تقولون إنّكم تُبصرون. فمِن أجل هذا خطيئتكم ثابتةٌ» (٩: ٤١؛ راجع أيضًا ١٥: ٢١-٢٤). إنّ سلطان يسوع على «أن يغفر الخطايا» أو «أن يحتفظ بها» يُشكِّل الأساس للسّلطان الّذي سيمنحه لتلاميذه، بعد قيامته من بين الأموات، بأن يفعلوا الأمر نفسه: «مَن غفرتم خطاياهم تُغفَر لهم ومَن أمسكتم خطاياهم تُمسَك لهم» (٢٠: ٢٣). أخيرًا، إنّ ليسوع، جنبًا إلى جنبٍ مع الآب، السّلطان على أن يُعطيَ الرّوح. يُشاهَد هذا من خلال إعلان يسوع في الفصل ٧ من الإنجيل: «... إنْ عَطِشَ أحدٌ فليأتِ إليّ ويشرب. مَن آمن بي فكما قال الكتاب: ستجري من بطنه أنهار ماءٍ حيّ» (٧: ٣٧-٣٨)، الّذي أكّده الإنجيليّ بدوره من خلال تعليقه: «إنّما قال هذا عن الرّوح الّذي كان المؤمنون به مُزمعين أن يقبلوه، إذ لم يكنِ الرّوح القدس قد أُعطِيَ بعد، لأنّ يسوع لم يكن بعد قد مُجِّد» (٧: ٣٩؛ راجع أيضًا ٣: ٣، ٥-٨؛ ٤: ١٠، ١٣-١٤؛ ٢٠: ٢٢).

• **محافظة المُرسَل على علاقةٍ حميمةٍ مع مُرسِلِه**

يشير يسوع في الإنجيل الرّابع إلى أنّ معرفةً مألوفةً جَمَعَتْه مع الّذي أرسله: «وأمّا أنا فأعرفه لأنّي منه وهو أرسلني» (٧: ٢٩). تُلاحظ مقدّمة الإنجيل أنّ يسوع «أخبر» عن الآب بناءً على معرفته المباشرة بالله: «الله لم يَرَهُ أحدٌ قطّ، الإبن الوحيد الّذي في حضن الآب هو خَبَّر» (١: ١٨). بالنّسبة ليسوع، إنّ اختباره للوجود الأزليّ مع الآب لم ينتهِ حين أصبح «الكلمة جسدًا»؛ فحقيقة أنّ يسوع تمتّع بهذه العلاقة الوثيقة مع الآب الّذي أرسله أثناء حياته الأرضيّة هي حقيقةٌ أكّدتها التّصريحات الّتي أدلى بها يسوع طوال خدمته: «إنّي لستُ وحدي بل أنا والآب الّذي أرسلني» (٨: ١٦)؛ «الّذي أرسلني هو معي، ولم يدعني الآب وحدي» (١٨: ٢٩)؛ وفي مواجهة هجر تلاميذه قبل صلبه، أعلن يسوع: «... أنتم تتركوني وحدي، وأنا لستُ وحدي، لأنّ الآب هو معي» (١٦: ٣٢).

تعبيرٌ آخر على علاقة يسوع الوثيقة بالّذي أرسله يكمن في صلواته إلى الآب. بالإضافة إلى الصّلاة الكهنوتيّة في الفصل ١٧ من الإنجيل، تَرِد صلوات يسوع في ١١: ٤١-٤٢ و١٢: ٢٧-٢٨. إنّها صلوات استجابة. فصلاة يسوع في ١١: ٤١-٤٢ الموجَّهة للآب، لكي يسمعه، فيؤمن الجميع «أنّك أنت أرسلتني»، استُجيبَت من قِبَل الآب الّذي مكّن يسوع من إحياء لعازر من الموت؛ أمّا صلاته في ١٢: ٢٧-٢٨، الموجَّهة للآب ليُمجِّد اسمه (راجع أيضًا ١٧: ١، ٥)، فقد استُجيبَت من خلال ذبيحة يسوع الطّوعيّة على الصّليب وقيامته من بين الأموات، الّتي لم تكن قيامة لعازر إلاّ إشارةً مُسبَّقةً إليها.

يُقدِّم الإنجيل الرّابع يسوع كمُرسَلٍ لديه معرفةٌ إختباريّةٌ للّذي أرسله. إنّه يحيا علاقةَ اتّحادٍ كاملٍ مع الآب، وهذا يظهر جليًّا في كمال تمثيله للآب بالكلمة: «لأنّي لم أتكلّم من نفسي لكنّ الآب الّذي أرسلني هو أعطاني الوصيّة بما أقول وبما أنطق» (١٢: ٤٩؛ راجع أيضًا ٣: ٣٤؛ ٧: ١٦؛ ١٤: ٢٤)، والعمل: «ينبغي لي أن أعمل أعمال الّذي أرسلني» (٩: ٤؛ راجع أيضًا ٥: ٣٦). إنّ مشيئة يسوع كانت خاضعةً تمامًا لمشيئة الآب الّذي أرسله: «لأنّي نزلتُ من السّماء، لا لأعمل مشيئتي بل مشيئة الّذي أرسلني. وهذه هي مشيئة الآب الّذي أرسلني أنّ كلّ ما أعطاني لا أُتلِفُ منه شيئًا بل أُقيمه في اليوم الأخير» (٦: ٣٨-٣٩؛ راجع أيضًا ٤: ٣٤؛ ٥: ٣٠، ٣٨).

وعليه، فإنّنا نجزم من خلال كلّ ما تقدّم ذكره أنّ يسوع لم يبحث أبدًا عن مجدٍ شخصيٍّ، بل كان مجدُ الّذي أرسله هدفَه الأوّل والأخير: «كيف تقدرون أن تؤمنوا وأنتم تقبلون مجدًا بعضُكم من بعضٍ ولا تبتغون المجد الّذي من عند الله وحده؟» (٥: ٤٤)؛ «إنّ مَن يتكلّم من عنده إنّما يطلب مجد نفسه، فأمّا الّذي يطلب مجد الّذي أرسله فهو صادقٌ وليس فيه جوْرٌ» (٧: ١٨؛ راجع أيضًا ٥: ٢٣).

ت. مصطلحات «الرّسالة» في الإنجيل الرّابع

- **Δεῖ (ينبغي)**

يَرِدُ هذا المصطلح ١٠ مرّاتٍ في الإنجيل الرّابع (٣: ٧، ١٤، ٣٠؛ ٤: ٤، ٢٠، ٢٤؛ ٩: ٤؛ ١٠: ١٦؛ ١٢: ٣٤؛ ٢٠: ٩). من هذه الأمثلة، تتعلّق السّتّة التّالية برسالة يسوع:

– مثلان يتعلّقان «بارتفاع» ابن الإنسان (٣: ١٤؛ ١٢: ٣٤).

– واحدٌ يتعلّق بقيامته من بين الأموات (٢٠: ٩).

– ثلاثة أمثلةٍ تُشير مباشرةً إلى موضوع «**الرّسالة**»، وتأتي على النّحو التّالي:

– ضرورة اجتيازه عبر السّامرة مع مجيء موسم الحصاد بين السّامريّين (٤: ٤)؛

– حاجته لأن يعمل أعمال الّذي أرسله النّاتج عن فتح عينَي الأعمى منذ مولده (٩: ٤)؛

– حاجته لأن يأتيَ «بالخراف الأخرى» إلى حظيرته (المؤمنين الوثنيّين، ١٠: ١٦).

وعليه، فإنّ هذا المصطلح يدلّ على القصد الإلهيّ في رسالة يسوع. تكمن المشيئة الإلهيّة بشأن يسوع في «ارتفاعه» على الصّليب. لذا نلاحظ أنّ الإنجيليّ الرّابع يستعمل هذا المصطلح للدّلالة على المعنى الرّوحيّ «لارتفاع» يسوع الجسديّ على الصّليب: الإجلال، الامتياز والتّمجيد المُنعَم عليه من قِبَل الله.

• **Θέλημα (مشيئة)**

يرتبط المفهوم المتأصّل في المصطلح δεῖ ارتباطًا وثيقًا بالمصطلح θέλημα (راجع ٤: ٤ «ينبغي»، ٤: ٣٤ «مشيئة»)، وهي كلمةٌ أخرى تُستَخدم أحيانًا بالتّوازي مع مصطلحات الرّسالة في الإنجيل الرّابع. واحدٌ من هذه المقاطع هو ٤: ٣٤، حيث يؤكّد يسوع أنّ «طعامه» يكمن في أن يعمل مشيئة الّذي أرسله ويُتمّم عمله.

يتضمّن هذا المقطع والمقطع الّذي يليه، الّذي يتكلّم عن رسالة التّلاميذ في ٤: ٣٥-٣٨، سلسلةً رائعةً من مصطلحات الرّسالة: «ποιέω – يعمل»، «θέλημα – مشيئة»،

«πέμπω – أرسل»، «τελειόω – يُتمِّم»، «ἔργον – عَمَل» (٤: ٣٤)؛ «ἀποστέλλω – أرسل»، «κοπιάω – يتعب»، «κόπος – تَعَب»، «εἰσέρχομαι – دَخَل، شارك» (٤: ٣٨). كلّ هذا يُشير إلى أنّ هذا النّصّ يربط **مشيئة مُرسِل يسوع الإلهيّة مع طاعته الّتي تمَّمها برسالته** («عمله»)، المتّصلة، بدورها، «بدخول» التّلاميذ على تعب يسوع لكونهم «مُرسَلين» من قِبَله ليحصدوا ما لم يتعبوا فيه، وذلك لأنّ الإنجيل الرّابع يرسم صورة المسيح على أنّه **المعلّم/الرّاعي الإسكاتولوجيّ** الّذي يدعو أتباعه ليُساعدوه في جمع الحصاد المسيحانيّ. إذًا، إنّ مشيئة الّذي أرسل يسوع تكمن في الوصول إلى رسالة تلاميذ يسوع أيضًا: «كما أرسلني الآب كذلك أنا أُرسلكم» (٢٠: ٢١). وبالتّالي، فإنّ تفاني يسوع الكلّيّ في تتميم مشيئة الّذي أرسله يُشكّل المثال الكامل لتلاميذه في علاقتهم بمُرسِلهم، يسوع (راجع ٤: ٣٤؛ ٢٠: ٢١).

- **ἵνα (حتّى، لكي...)**

بُنيةٌ أخرى ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالفكرة المعبَّر عنها آنفًا بالمصطلحين «ينبغي» و«مشيئة»، تكمن في التّعبيرين «أرسل» أو «جاء»، المصحوبَين بجملةٍ تتكوّن من الهدف الكامن وراء المقطع، إستنادًا إلى التّعبير «ἵνα»: «فإنّ الله لم يرسلِ ابنه إلى العالم ليدين العالم، بل ليُخلِّص به العالم» (٣: ١٧)؛ «السّارق لا يأتي إلاّ ليسرق ويذبح ويُهلك، أمّا أنا فإنّما أتيتُ لكيما تكون لهم الحياة، وتكون لهم أوفر» (١٠: ١٠)؛ «إنّي لم آتِ لأدين العالم، بل لأُخلِّص العالم» (١٢: ٤٧)؛ «... لهذا أتيتُ إلى العالم لأشهد للحقّ» (١٨: ٣٧).

• **τελειόω (يُتمِّم)**

يَرِد هذا التّعبير مقترنًا بالتّعبير «ἔργον – عمل» (٤: ٣٤؛ ١٧: ٤). إنّ الاستعمال اليوحنّاويّ لهذا التّعبير يعكس تشديد الإنجيليّ الرّابع على أنّ رسالة يسوع تحقّقت «بارتفاعه» على الصّليب: «قد تمّ» (١٩:٣٠)؛ هذا «الارتفاع»، الّذي يُشدِّد عليه الإنجيليّ الرّابع، حدث وفقًا لمشيئة الله (٣: ١٤؛ ٤: ٣٤؛ ١٢: ٣٤).

من هنا نؤكّد بأنّ يسوع رأى في رسالته عطيّةً مميّزةً من الآب: تمّم «العمل» و«الأعمال» الّتي أوكلها الآب له (٥: ٣٦؛ ١٤: ١٠؛ ١٧: ٤)، وكان فم الآب النّاطق «بكلامه» (١٢: ٤٩؛ ١٤: ١١؛ ١٧: ٨)، وحافظ أخيرًا على التّلاميذ، عطيّة الآب له (٦: ٣٧؛ ١٧: ٦). نلاحظ أيضًا أنّ لغة «الإبن» هذه تُعيِّن يسوع ممثّلاً تنفيذيًّا وحيدًا للآب، مُعطيًا يسوع، بالتّالي، دورًا فريدًا ومنقطع النّظير في الرّسالة؛ فمن وجهة نظر يسوع، تُعبِّر عبارة «الّذي أرسلني» (٤: ٣٤) عن كلٍّ من اتّكاله (على الآب) وفرادته في الرّسالة. لذا، **فإنّ صورة المسيح**، كما يرسمها الإنجيل الرّابع، **تتجلّى انطلاقًا من فكرة «الطّاعة»** (راجع ٤: ٣٤؛ ٥: ١٩؛ ٦: ٣٨؛ ٨: ٢٨–٢٩، ٣٥؛ ١٠: ١٧؛ ١٢: ٤٩؛ ١٥: ١٠؛ راجع أيضًا ١٣: ٤–١٤)، الّتي بلغت ذروتها في موت يسوع على الصّليب (راجع ١٠: ١٧؛ ١٣: ١؛ ١٤: ٣١).

يَرِد الفعل «أرسل» ٤٠ مرّةً في الإنجيل الرّابع. يَرِد ٢٤ مرّةً إمّا بصيغة «الّذي أرسلني» أو «الآب الّذي أرسلني». إنّه يُشير، في بعض المقاطع، إلى يسوع باعتباره «الإبن»، ويُظهر، في مقاطع أخرى، يسوع في علاقته مع الآب الّذي أرسله. هناك «وَحدةٌ» بين المُرسِل والمُرسَل: «أنا والآب واحدٌ» (١٠: ٣٠؛ راجع أيضًا ١٠: ٣٧–٣٨؛ ١٤: ١٠–١١)،

وفي الوقت عينه، هناك «طاعةٌ»: «والّذي أرسلني هو معي، ولم يدعني الآب وحدي لأنّي أفعل في كلّ حينٍ ما يُرضيه» (٨: ٢٩؛ راجع أيضًا ٣: ٣٤؛ ٦: ٣٨؛ ٧: ١٦؛ ٨: ٢٦، ٤٢؛ ١٢: ٤٩؛ ١٤: ٢٤)، و«اتّكالٌ» أيضًا: «أنا لا أقدر أن أعمل من نفسي شيئًا. كما أسمع أحكم وحكمي عادلٌ، لأنّي لا أطلب مشيئتي بل مشيئة الآب الّذي أرسلني» (٥: ٣٠؛ راجع أيضًا ٥: ١٩؛ ١٣: ١٦). فطاعة المُرسَل هذه لا تعني أبدًا «طاعة العبد»، بل إنّها تتجلّى في أبهى حُللها في «الطّاعة البنويّة»: «والعبدُ لا يثبت في البيت إلى الأبد، وأمّا الإبن فيثبت إلى الأبد» (٨: ٣٥)؛ «لا أُسمّيكم عبيدًا بعد، لأنّ العبد لا يعلم ما يصنع سيّده، ولكنّي سمّيتكم أحبّائي لأنّي أعلمتُكم **بكلّ** ما سمعتُ من أبي» (١٥: ١٥).

إنّ طاعة يسوع هذه هي الّتي تُثبت شرعيّته الكريستولوجيّة كإبنٍ يُشارك في ما يمتلكه الآب، من جهةٍ، وكمُفوَّضٍ من قِبَل الله، من جهةٍ أخرى: إنّها علاقةٌ فريدةٌ تجمع الآب بالإبن: «لأنّ الآب لا يدين أحدًا بل أعطى الحكم كلَّه للإبن، ليُكرّم الجميع الإبن كما يكرّمون الآب. ومَن لا يُكرّم الإبن لا يُكرّم الآب الّذي أرسله» (٥: ٢٢-٢٣). تجعلنا هذه العلاقة أن نفهم بعُمقٍ **كينونة الابن «في» الآب**: «... لتعلموا وتؤمنوا أنّ الآب فيّ وأنا فيه» (١٠: ٣٨)؛ «في ذلك اليوم تعلمون أنا في أبي وأنتم فيّ وأنا فيكم»(١٤: ٢٠؛ راجع أيضًا الآية ١٠)؛ «ليكون الجميع واحدًا كما أنّك أيّها الآب فيّ وأنا فيك... ليكونوا بأجمعهم واحدًا كما نحن واحدٌ، أنا فيهم وأنت فيّ...» (١٧: ٢١-٢٣).

٣. يسوع هو الّذي يأتي إلى العالم ويعود إلى الآب

تُستخدم مصطلحات «المجيء والعودة» باستمرارٍ طوال الإنجيل. فبينما تُركِّز مصطلحات الرّسالة على الجانب البشريّ لرسالة يسوع، تُشدِّد المصطلحات المذكورة سابقًا على أصل يسوع الإلهيّ وغايته:

أ. المجيء إلى العالم والعودة إلى الآب

تَرِد الإشارة الأولى لمجيء يسوع إلى العالم في مقدّمة الإنجيل: «النّور الحقيقيّ... آتٍ إلى العالم» (١: ٩). يتكرّر هذا الإعلان في الفصل ٣ من الإنجيل: «النّور جاء إلى العالم» (٣: ١٩). في كلتا الحالتَين يؤكّد الإنجيليّ حقيقة أنّ العالم لم يقبل النّور بل رفضه (راجع ١: ٥، ١١؛ ٣: ١٩). لقد عبّر الإنجيليّ عن موضوع الرّفض هذا، مع ما يترتّب عليه من دينونةٍ، في الفصل ٩ من الإنجيل، حيث يتّهم يسوع أولئك الّذين، **بسبب كبريائهم الرّوحيّ**، فشلوا في تقبُّله: «إنّي لدينونةٍ أتيتُ إلى هذا العالم حتّى يُبصر الّذين لا يُبصرون ويَعمى الّذين يُبصرون» (٩: ٣٩). وبالتّالي، فإنّ شفاء يسوع للإنسان الأعمى أصبح **مثلاً عمليًّا للخلاص والدّينونة في آنٍ**. مرّةً أخرى، في القسم الختاميّ لكتاب «الآيات»، يربط الإنجيليّ مجيء يسوع إلى العالم بمفهوم النّور: «أتيتُ أنا إلى العالم نورًا حتّى إنّ كلّ مَن يؤمن بي لا يمكث في الظّلام. وإنْ كان أحدٌ يسمع أقوالي ولا يؤمن بها فأنا لا أدينه، لأنّي لم آتِ لأدين العالم، بل لأُخلّص العالم» (١٢: ٤٦–٤٧). إشاراتٌ أخرى لمجيء يسوع إلى العالم نجدها في ١٦: ٢٨، حين يُلخّصيسوع رسالته كالتّالي: «أتيتُ إلى العالم، وأيضًا أترك العالم وأمضي إلى الآب»؛ وفي ١٨: ٣٧، حين يؤكّد يسوع أمام بيلاطس: «إنّي لهذا وُلِدتُ ولهذا أتيتُ إلى العالم لأشهد للحقّ».

بالإضافة إلى تكرارات مصطلحات «المجيء إلى العالم» هذه، هناك أيضًا إشاراتٌ كثيرةٌ تدلّ على «مجيء وذهاب» يسوع. ففي مقدّمته لخطاب الوداع، يكتب الإنجيليّ: «لمّا كان يسوع يعلم أنّ ساعته قد أتت لينتقل من هذا العالم إلى الآب...إذ كان يسوع يعلم أنّ الآب جعل الكلّ في يديه، وأنّه من الله خرج، وإلى الله يمضي» (١٣: ١، ٣). ما تبقّى من الخطاب يتضمّن العديد من الإشارات إلى عودة يسوع («ذهابه») إلى الآب (راجع ١٤: ٤، ٥، ١٢، ٢٨؛ ١٦: ٥، ٧، ١٠، ١٧، ٢٨؛ ١٧: ١١، ١٣؛ راجع ما ورد سابقًا أيضًا ٧: ٣٥-٣٦؛ ٨: ١٤، ٢٠-٢١). هناك أيضًا إشاراتٌ أخرى إلى عودة يسوع الوجيزة والمؤقّتة (ظهورات القيامة: ١٤: ١٨، ٢٨؛ الفصلان ٢٠-٢١)، ومجيئه ثانيةً (١٤: ٣؛ ٢١: ٢٢) بعد الصّعود إلى الآب (٢٠: ١٧).

نستخلص ممّا جاء سابقًا **أنّ القصد الإلهيّ تجسّد في مجيء يسوع، أي بتجسّده الإلهيّ** (راجع ١: ١٤)، **في تتميمه للرّسالة الإلهيّة المُوكَلة إليه من قِبَل الآب، ليكون، بالتّالي، مُحقِّق انتظار العهد القديم، وعودته إلى المجد السّماويّ الّذي كان ليسوع عند الآب من قَبل كَون العالم** (راجع ١٧: ٥)، **وكلّ هذا يَهدف إلى إبراز الأصل السّماويّ ليسوع.**

ب. النّزول والصّعود (اللّغة المكانيّة)

بعد ثلاث رحلاتٍ «صاعدًا» إلى أورشليم، يُقدِّم الإنجيليّ الرّابع رحلة يسوع الرّابعة إلى أورشليم على أنّها بالفعل مسيرة العودة إلى الآب عبر الصّليب. لذا فإنّ الصّليب كما يراه الإنجيل الرّابع هو جزءٌ أساسيٌّ من هذه المسيرة، من هذه الطّريق:

«أنا الطّريق والحقّ والحياة، ولا يأتي أحدٌ إلى الآب إلاّ بي» (١٤: ٦). إنّ الصّليب، بالنّسبة ليوحنّا، لا يعني أبدًا ذلك المكان الّذي يُعبِّر عن الذّل والعار، بل إنّه طريق عودة يسوع إلى مجد الآب، وهو، في الوقت عينه، تتويج طاعة الإبن الطّوعيّة للآب، وهذا يُشير، بالتّالي، إلى أنّ يوحنّا يُحافظ بدقّةٍ على مركزيّة الله (Theocentric[٩]): ليست حاجة الإنسان هي المرجعيّة النّهائيّة لرسالة يسوع، بل مشيئة الآب.

إلى جانب مصطلحات «المجيء والذّهاب»، يستخدم الإنجيل الرّابع أيضًا مصطلحات «النّزول والصّعود» ليصف رسالة يسوع. إنّ استخدام هذه اللّغة المكانيّة يُشير إلى صفتين تُميِّزان يسوع: **ابن الإنسان** (راجع ٣: ١٣؛ أمثال ٣٠: ٤؛ ٦: ٦٢؛ عدد ١١: ٩)؛ **وخبز الحياة** (٦: ٣٣، ٣٨، ٤١، ٤٢، ٥٠، ٥١، ٥٨). إنّ «إبن الإنسان» في الإنجيل الرّابع يُحقِّق الأدوار التّاليّة: إنّه باب السّماء انطلاقًا من رؤية يعقوب (١: ٥١؛ تكوين ٢٨: ١٢)؛ هو الوحيد الّذي نزل وصَعِد (٣: ١٣؛ ٦: ٦٢)؛ هو مَن رُفِعَ ومُجِّدَ (٣: ١٤؛ ٨: ٢٨؛ ١٢: ٣٤)؛ هو القاضي الّذي أُعطِيَ سلطانابإجراء الحكم (٥: ٢٧)؛ هو الّذي يُقدِّم خبز الحياة، أي جسده (٦: ٢٧، ٥٣). نلاحظ أنّ الهدف الرّئيسيّ الكامن وراء نزول ابن الإنسان وصعوده هو «**إعطاء الحياة**»: «لكي لا يهلك كلُّ مَن يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبديّة» (٣: ١٥)؛ «لأنّ خبز الحياة هو النّازل من السّماء والواهب حياةً للعالم» (٦: ٣٣). هذا بالتّحديد ما يُطوِّر مفهوم «تمجيد» إبن الإنسان من خلال «ارتفاعه» على الصّليب (٣: ١٣)، باذِلاً «جسده» من أجل حياة العالم (٦: ٥١).

٩) إنّها الإيمان بأنّ الله هو مركز وجودنا في مقابل المركزيّة البشريّة أو الوجوديّة.

٤. يسوع، المعلِّم-الرّاعي الإسكاتولوجيّ، يدعو أتباعه لجمع «الثّمر»

يُمكن للمرء أن يستنتج للوهلة الأولى أنّ إحدى الطّرق الّتي يتمّ تقديم يسوع فيها في الإنجيل الرّابع تكمن في كونه معلِّمًا «رابّي» يهوديًّا يجمع حوله مجموعةً من الأتباع. يبدو أنّ يوحنّا مزج هذا الجانب من رسالة يسوع بدور الرّاعي المسيانيّ (The Messianic shepherd). يظهر هذا جليًّا في الفصل ١٠ من الإنجيل، حيث تتقاطع مصطلحات «الاتّباع» و«التّجميع» (١٠: ٤، ٥، ١٦، ٢٧؛ راجع أيضًا ١١: ٥١-٥٢). رابطٌ هامٌّ جدًّا بين «الاتّباع» و«الرّعاية» يظهر في ٢١: ١٥-١٩ حين يدعو يسوع أحد «أتباعه» ليكون «راعيًا». سلسلةً من المقاطع اليوحنّاويّة الّتي تتعامل مع دعوة يسوع للآخرين لاتّباعه هي، في الوقت عينه، إشاراتٌ لهؤلاء الأتباع بأن يأتوا «بثمارٍ»، أي أن يكونوا مشاركين بفعاليّةٍ في «الحصاد» المسيحانيّ (٤: ٣٤-٣٨؛ الفصل ١٥). وبالتّالي فإنّ التّركيز هنا لا يقودنا إلى تعليم يسوع، بل إلى انطلاقة جمع الحصاد المسيحانيّ الإسكاتولوجيّ.

من إحدى الصّفات الأساسيّة الّتي تُميِّز دور الرّاعي الإسكاتولوجيّ أنّه **يبذل نفسه عن الآخرين**: «ليس لأحدٍ حبٌّ أعظم من أن يبذل نفسه عن أحبّائه» (١٥: ١٣؛ راجع أيضًا ١: ٢٩، ٣٦؛ ١٠: ١١، ١٥، ١٧؛ ١٢: ٢٤)، وهذا بدوره يُظهر **الجانب الخلاصيّ لموت يسوع**.

يُمكننا أيضًا توجيه الانتباه إلى الصّور الأربع، المستقاة من سِفر زكريّا ٩-١٤ (راجع أيضًا حزقيال ٣٤)، الّتي تمّ دمجها في صورةٍ واحدةٍ متماسكةٍ للمسيح الآتي في تقليد العهد القديم: الملك الرّاكب على حمارٍ (زكريّا ٩: ٩؛ راجع يوحنّا ١٢: ١٥)؛

الرّاعي الصّالح (زكريّا ١١: ٤-١٤؛ راجع يوحنّا ١٠)؛ الشّهيد: هو الّذي طعنوه (زكريّا ١٢: ١٠؛ راجع يوحنّا ١٩: ٣٧؛ رؤيا ١: ٧)؛ الرّاعي المُمتَحَن (أي «الواقع في مِحنةٍ»: زكريّا ١٣: ٧؛ راجع يوحنّا ١٠).

أ. الاتّباع

ينطوي تحقيق رسالة يسوع على دعوته الآخرين للسّير على خُطاه، لاتّباعه والتّتلمذ له: «أنا نور العالم، مَن يتبعني فلا يمشي في الظّلام بل يكون له نور الحياة» (٨: ١٢؛ راجع أيضًا ١: ٣٧-٤٣؛ ١٠: ٤، ٥، ٢٧؛ ١٢: ٢٦؛ ٢١: ١٩-٢٣). لقد بدأ يسوع خدمته العلنيّة بدعوته أُناسًا ليتبعوه (١: ٣٧-٤٣). يختتم الإنجيليّ الرّابع تدوينه «للآية» الأولى الّتي حدثت في قانا الجليل بإعلان أنّ يسوع «أظهر مجده، فآمن به تلاميذه» (٢: ١١). ضمنًا، فإنّ التّلاميذ مدعوّون هم أيضًا إلى اتّباع يسوع في رسالته الإنجيليّة (راجع الفصول ٣، ٤، ٦، ٩، ١١). في ٨: ١٢، يَعِدُ يسوع أنّ كلّ مَن يتبعه لن «يمشي في الظّلام»، بل «يكون له نور الحياة». في حديثه عن «الرّاعي الصّالح»، يُشير يسوع مرارًا إلى «خرافه» الّتي تعرف صوته وتتبعه (١٠: ٤، ٥، ٢٧). تنتهي خدمة يسوع العلنيّة بدعوته إلى التزامٍ راديكاليٍّ من جانب أتباعه بألاّ تكون حياتهم الخاصّة أغلى من الوفاء ليسوع والإخلاص له: «إنْ كان أحدٌ يخدمني، فليتبعني وحيث أكون أنا فهناك يكون خادمي» (١٢: ٢٦). أخيرًا، يطلب يسوع من تلاميذه أن يتبعوه حتّى عودته: «إن شئتُ أن يثبت إلى أن أجيء فماذا لك؟ أنتَ اتبعني» (٢١: ٢٢).

ب. التّجميع

إنّ مصطلحَي «يجتذب» و«يجمع» يكشفان عن وجود جانبٍ آخر من رسالة يسوع. يقول يسوع في الفصل ١٠ من الإنجيل: «ولي خرافٌ أُخَر ليست من هذه الحظيرة، ينبغي أن آتيَ بها أيضًا وستسمع صوتي ويكون هناك رعيّةٌ واحدةٌ وراعٍ واحدٍ» (١٠: ١٦). في وقتٍ لاحقٍ في إنجيله، قدَّم الإنجيليّ الرّابع تعليقًا جاء على لسان رئيس الكهنة اليهوديّ على النّحو التّالي: «ولم يَقُل هذا من تلقاء نفسه، ولكن إذ كان هو رئيس الكهنة في تلك السّنة، تنبّأ أنّ يسوع كان مزمعًا أن يموت عن الأُمّة، وليس عن الأُمّة فقط بل ليجمع أيضًا أبناء الله المتفرّقين إلى واحد» (١١: ٥١-٥٢).

تحمل هذه الآية اليوحنّاويّة خلفيّةً كتابيّةً تُعيدنا إلى المقطع الأشعيويّ الّذي يُشير إلى **تجميعٍ إسكاتولوجيٍّ للشّعب خارج حدود إسرائيل**: «يقول السّيّد الرّبّ، الّذي يجمع مَنفيّي إسرائيل: إنّي سأجمع آخرين أيضًا إلى مجموعيه» (أشعيا ٥٦: ٨). إنّ هذا النّصّ الأشعيويّ (راجع أيضًا ٥٦: ٣-٧) يؤكّد بشكلٍ قاطعٍ إدراج «الغرباء» في عهد الله. هذا يُشير بوضوحٍ إلى أنّ عهد الله مع إسرائيل لم يكن يومًا عهدًا «تخصيصيًّا» (أي أنّه فقط لشعب إسرائيل)، بل عهدًا جامعًا، لأنّ أساس الانضمام إلى الرّبّ ليس الإرث الدّينيّ أو العِرقيّ، بل **المحبّة الّتي تقود الإنسان إلى خدمة الله والتّمسُّك بعهده**.

من هنا نستطيع أن نفهم بعُمقٍ ما جاء على لسان يسوع في الإنجيل الأوّل، حين وجّه انتقادًا لاذعًا جدًّا للكتبة والفرّيسيّين ناعتًا إيّاهم بالمرائين: «الويل لكم أيّها الكتبة والفرّيسيّون المراؤون، فإنّكم تُعشّرون النّعنع والشّبث والكمّون،

وقد تركتم أثقل ما في النّاموس وهو **العدل والرّحمة والإيمان**، وكان ينبغي أن تعملوا هذه ولا تتركوا تلك» (متّى ٢٣: ٢٣). إنّ رفضهم الواعي لوحي الله يجعل الزّعماء الدّينيّين اليهود مذنبين أخلاقيًّا؛ لذلك قام الإنجيليّ الرّابع بربط جواب اليهود على خدمة يسوع بخبرة أشعيا الشّخصيّة، حين طلب إليه السّيّد الرّبّ قائلاً: «غَلِّظْ قلب هذا الشّعب وثقِّل أذنيه وأغمض عينيه لئلّا يُبصر بعينيه ويسمع بأذنيه ويفهم بقلبه ويرجع فيشفى» (أشعيا ٦: ١٠/يوحنّا ١٢: ٤٠؛ راجع أيضًا أشعيا ٥٣: ١/يوحنّا ١٢: ٣٨).

لذا، فإنّ نصّ أشعيا (٥٣: ٣-٨) يُعزِّز بدوره فكرة «الرّاعي الإلهيّ» الّذي يعمل على إدراج غير اليهود («الغرباء») في فلك عهد الله. وهذا واضحٌ في حجّ جميع الشّعوب إلى الجبل المقدّس: «آتي بهم إلى جبل قُدسي وأُفرِّحهم في بيت صلاتي وتكون مُحرقاتهم وذبائحهم مَرضيّةً على مذبحي لأنّ بيتي بيتَ صلاةٍ يُدعى لجميع الشّعوب» (أشعيا ٥٦: ٧).

يُشدِّد الإطار اليوحنّاويّ، في قراءةٍ تطبيقيّةٍ لِما جاء على لسان أشعيا النّبيّ في الآيات المذكورة أعلاه، على أنّ مجيء يسوع هو بالفعل بزوغ الفجر الجديد المُنتظَر من خلال افتتاحه ساعة التّجميع الإسكاتولوجيّ لقطيع الله.

ثمّ يتكلّم الإنجيليّ عن مجيء اليونانيّين إلى يسوع، مُشيرًا إلى أنْ «قد أتت السّاعة ليتمجّد ابن البشر» (١٢: ٢٣). مستخدمًا لغةً مجازيّةً، يتكلّم يسوع عن حقيقة أنّه «**سيأتي بالكثير من الثّمار**» من خلال موته الخلاصيّ: «إنْ لم تقع حبّة الحنطة في الأرض وتَمُت، فإنّها تبقى وحدها، وإنْ ماتت **أتت بثمرٍ كثير** - πολὺν καρπὸν» (١٢: ٢٤).

يمكن اعتبار هذا الإعلان بمثابة إشارةٍ إلى دخول يهود الشّتات والوثنيّين المرتدّين إلى فلك خلاص الله والجماعة. من الجدير بالذّكر أيضًا أنّ المصطلح عينَه الخاص «**بحمل الثّمار الكثيرة**» (المذكور آنفًا) يُستخدم لاحقًا للتّعبير عن رسالة التّلاميذ المستقبليّة: «أنا الكرمة وأنتم الأغصان. مَن يثبت فيّ وأنا فيه فهو يأتي بثمرٍ كثيرٍ» (١٥: ٥؛ راجع أيضًا ٤: ٣٦)؛ «بهذا يتمجّد أبي **أن تأتوا بثمرٍ كثيرٍ** فتكونوا لي تلاميذ» (١٥: ٨)؛ «لم تختاروني أنتم، بل أنا اخترتكم وأقمتكم لتنطلقوا **وتأتوا بثمرٍ** ويدوم ثمركم لكي يُعطيكم الآب كلّ ما تسألونه باسمي» (١٥: ١٦). كلّ هذه المقاطع تُشير إلى أنّ التّلاميذ سيكونون جزءًا أساسيًّا في نشاط يسوع المتعلّق بجمع الثّمار، وبخاصّةٍ بعد موته الخلاصيّ الواهب الحياة.

خاتمة

يتّضح ممّا تقدّم ذكره أنّ هدف الإنجيليّ العامّ يكمن في إثبات حقيقة أنّ يسوع هو المسيح «الآتي» (راجع ٢٠: ٣٠-٣١). من خلال استعماله المميّز لمصطلحات الرّسالة، يعرض يوحنّا هدفه العامّ عبر تقديم يسوع في الأدوار التّاليّة: «يسوع، الإبن المُرسَل»، «يسوع، الآتي والعائد»، و«يسوع، المعلّم-الرّاعي الإسكاتولوجيّ». تخدم صُور يسوع الثّلاث هذه هدف الإنجيليّ الرّابع الّذي يَنشُد تقديم يسوع على أنّه المسيح من خلال التّوضيح التّابع: أيّ مسيحٍ هو يسوع! إنّه ليس مجرّد إنسانٍ، لكنّه مُرسَلٌ سماويٌّ (المجيء/العودة، النّزول/الصّعود). ومع ذلك فهو ليس مجرّد معالِجٍ أو صانع معجزات! إنّ آياته المسيحانيّة هي أعمالٌ تدلّ على كونه «المطيع» و«المُعتمِد»، إذ إنّه الإبن المُرسَل من قِبَل الآب (الإرسال). يسوع أيضًا المعلّم- الرّاعي الإسكاتولوجيّ الّذي يدعو أتباعه ليُحضِروا «حصاده» المسيحانيّ.

إنّ الصّورة الّتي يرسمها الإنجيل الرّابع ليسوع كونه «الإبن المُرسَل» من الآب فهي مرتبطةٌ بحدثٍ خلاصيٍّ بامتياز: موت يسوع. إنّ موت يسوع يُتوِّج حياة الطّاعة الّتي كانت خاضعةً دومًا لمشيئة الّذي أرسله (٤: ٣٤؛ ١٧: ٤؛ ١٩: ٣٠). أمّا لكونه «الآتي والعائد إلى الآب»، فيُشكّل موت يسوع بكلّ بساطةٍ رحيله وعودته (١٤: ١٢). أخيرًا، تُشير صورة يسوع المعلّم والرّاعي الإسكاتولوجيّ إلى أنّ موته ما هو إلاّ فعل حبٍّ ذاتيٍّ من «المعلّم» لتلاميذه ومن «الرّاعي» إلى «خرافه» (١٠: ١١، ١٥–١٨؛ ١٦: ٣٣؛ ١٧: ١٢)، ممّا يجعل تحقيق «الحصاد» الإسكاتولوجيّ أمرًا ممكنًا (خاصّةً ١٢: ٢٠–٣٢؛ راجع أيضًا ٤: ٣٨؛ ١٤: ١٢؛ ١٥: ١٦).

يُمكن أيضًا توجيه الانتباه إلى ١٣: ١–٣، المقطع الّذي يُمهِّد الطّريق للقسم الثّاني من الإنجيل. يُقدَّم يسوع هناك على أنّه الآتي من عند الله، والّذي سيعود إلى الله. يُصوَّر عمله على أنّه الوحي الّذي يكشف المدى الكامل لحُبّه «لخاصّته»: «أحبّهم مُنتهى الحبّ». وبالتّالي، فعلى تلاميذ يسوع، بدورهم، أن يسلكوا بحسب هذا النّوع من الحبّ: «إنّي أُعطيكم وصيّةً جديدةً أن يُحِبَّ بعضكم بعضًا، وأن يكون حبُّكم بعضكم لبعضٍ كما أحببتكم أنا. بهذا يعرف الجميع أنّكم تلاميذي إذا أحبّ بعضكم بعضًا» (١٣: ٣٤–٣٥؛ راجع أيضًا ١٣: ١٢–١٥): فبينما يُشير يوحنّا ٣: ١٦ إلى حبّ الله «للعالم»، يُركِّز يوحنّا ١٣: ١–٣ على حبّ يسوع «لخاصّته». يُقال فقط عن الله في الإنجيل الرّابع أنّه «أحبّ العالم». وبالتّالي فإنّ رسالة يسوع ورسالة التّلاميذ موجَّهةٌ بالدّرجة الأولى نحو مُرسِل كلٍّ منهم (يسوع ← الآب؛ التّلاميذ ← يسوع) من أجل تتميم مشيئته وإرضائه وحبّه. لا يُقدِّم الإنجيل الرّابع

علاقة الحبّ والطّاعة هذه كغايةٍ بحدّ ذاتها بل كوسيلةٍ تَهدف إلى سَحب أولئك الّذين يؤمنون في يسوع المسيح من العالم، ليُصبحوا، بالتّالي، أعضاءً فاعلةً في الجماعة المسيحانيّة (١٣: ٣٤-٣٥؛ ١٧: ٢١، ٢٣).

لقد أصبح من الواضح أنّ تعليم الإنجيل الرّابع عن الرّسالة يُركِّز على رسالة يسوع. يُسلِّط قِسْمَا الإنجيل الرّابع الضّوء على جانبٍ من جوانب رسالة يسوع: الفصول ١-١٢ تعرض رسالة يسوع الأرضيّة؛ بينما ترسم الفصول ١٣-٢١ رسالة يسوع الممجَّد؛ ومن الجدير بالذّكر أنّ الإنجيليّ الرّابع قدّم حدث صليب يسوع وموته، الّذي تمّ تطويره في القسم الأوّل من الإنجيل من حيث «ارتفاع» ابن الإنسان (راجع ٣: ١٣؛ ٨: ٢٨؛ ١٢: ٣٣)، بالإضافة إلى رواية الآلام والظّهورات القياميّة، من وجهة نظر تمجيد يسوع. إنّ لرسالة يسوع الأرضيّة في القسم الأوّل من الإنجيل (١-١٢) خصومًا رئيسيّين هم «اليهود»، وبالتّالي، لا دور يُذكَر للتّلاميذ في هذا القسم. أمّا الخلاف المسيطر على القسم الثّاني من الإنجيل (١٣-٢١) فيكمن بين يسوع وتلاميذه، من جهةٍ، و«العالم»، من جهةٍ أخرى. في المقابل، إنّ صورة يسوع بحسب الإنجيل الرّابع في الفصول ١-١٢ تُركِّز على يسوع المسيح على أنّه الإبن المُرسَل من الآب، مع التّشديد على «**البُعد الأُفقيّ**» لرسالة يسوع؛ بينما تُظهر الفصول ١٣-٢١ يسوع، في المقام الأوّل، على أنّه ذاك الّذي أتى إلى العالم وسيعود إلى الآب، مع التّركيز على «**البُعد العموديّ**» لرسالة يسوع.

الباب الرّابع

«رسالة التّلاميذ»

مقدّمة

كما هو مُبيَّنٌ في الباب السّابق، إنّها رسالة يسوع، وليست رسالة التّلاميذ، الرّسالة المركزيّة بحسب الإنجيل الرّابع. كلّ رسالةٍ أخرى هي مشتقّةٌ منه: يوحنّا المعمدان، الرّوح القدس، والتّلاميذ. ومع ذلك، فإنّ يوحنّا يجعل من الواضح أنّ رسالة يسوع لم تكن لتقف وحدها، بل كان يجب أن تحافظ على استمراريّها وديمومتها من خلال رسالة أتباعه. من هنا نشير إلى أنّ موضوع دراستنا في هذا الباب سيكون رسالة التّلاميذ في ارتباطها برسالة يسوع.

تُعتبر رسالة يسوع، بحسب الإنجيل الرّابع، أساسيّةً وأكثر شموليّةً من رسالة التّلاميذ، ذلك أنّ الإنجيليّ يستخدم، في إشارةٍ إلى يسوع، مفرداتٍ متعدِّدة الأوجه تخصّ رسالته. هناك بعض المصطلحات الّتي حَفِظَها الإنجيل الرّابع لرسالة يسوع فقط: «نزل، صَعِدَ، أتى إلى العالم، وعاد». أمّا ما يختصّ برسالة التّلاميذ، فالإنجيل الرّابع يستخدم التّعابير التّاليّة: «حصد» (٤: ٣٨)، «أتى بثمر» (١٥: ٨، ١٦)، «شَهِدَ» (١٥: ٢٧). تضع كلّ هذه التّعابير التّلاميذ في موقف المتواضع أمام اتّساع رسالة يسوع وقوّتها التّأثيريّة، إذ إنّهم مدعوّون «**ليحصدوا**» ما لم يتعبوا فيه (راجع ٤: ٣٨)، وأن «**يأتوا بالثّمار**» الّتي لم يُنتجوها (راجع ١٥: ٨، ١٦)، وأن يقوموا «**بأعمالٍ عظيمةٍ**» بالاعتماد على الرّبّ الممجَّد الّذي يُجيب صلواتهم: «الحقّ الحقّ أقول لكم: إنّ مَن يؤمن بي فالأعمال الّتي أعملها أنا يعملها هو أيضًا ويعمل أفضل منها،

لأنّي ماضٍ إلى أبي، ومهما سألتم باسمي فأنا أفعله ليتمجّد الآب في الإبن» (١٤: ١٢-١٣). لقد نالوا أيضًا نعمة مغفرة (أو إمساك) الخطايا بواسطة الرّبّ القائم، الّذي قدّم يديه المثقوبتين وجنبه المطعون كدليلٍ حيٍّ على إتمام رسالته الخاصّة.

سنُحاول في هذا الباب تطوير كلّ هذه الملاحظات على نحوٍ تفصيليّ، كالتّالي:

١) جماعة التّلاميذ

يحتوي الإنجيل الرّابع على عددٍ من الاستعارات الّتي تُشير إلى جماعة يسوع المسيحانيّة مثل «القطيع» (الفصل ١٠)، و«الكرمة» (الفصل ١٥). تنقل هذه الاستعارات أوصاف إسرائيل العهد القديم إلى الجماعة الّتي تتبع يسوع، وهذا ما يُسجِّل بدوره تطوُّرًا هامًّا في مسيرة الخلاص التّاريخيّ. كما سيتمّ إيلاء الاهتمام للشّخصيّات اليوحنّاويّة كجماعةٍ، وفي الوقت عينه، كأفرادٍ على مثال بطرس والتّلميذ الحبيب.

١. وصف الإنجيل الرّابع لأتباع يسوع

يرتبط تلاميذ الإنجيل الرّابع ارتباطًا وثيقًا بالأحداث المحيطة بخدمة يسوع الأرضيّة. إلاّ أنّ الأحداث الإنجيليّة المتتاليّة ستُشير إلى أنّ كلمة «تلاميذ» ستتجاوز، بمضمونها وحجمها، «التّلاميذ الإثني عشر» لتُكوِّن، بدورها، «الجماعة الرّسوليّة»، الّتي تتبع يسوع التّاريخيّ. هناك أيضًا أمثلةٌ حيث التّلميذ التّاريخيّ أو التّلاميذ في الإنجيل الرّابع يُشكّلون «جماعةً»، بالإضافة إلى كون التّلاميذ التّاريخيّين ليسوع الأرضيّ يُشكّلون نماذج حيّةً لقرّاء الإنجيل الرّابع.

أ. التّعبير «تلميذ - μαθητής» - يُحدِّد أتباع يسوع التّاريخيّين في الإنجيل الرّابع

يَرِد هذا التّعبير ثمانٍ وسبعين مرّةً في الإنجيل الرّابع[١٠]. تُشير معظم هذه المراجع إلى أتباع يسوع، وتأتي عادةً مع الضّمير «αὐτοῦ»، أي «تلاميذه». كما تفعل الأناجيل الأخرى، يَعرض الإنجيل الرّابع التّلاميذ كشخصيّاتٍ مُعتبَرةٍ. بعد دعوتهم (راجع ١: ٣٧-٤٣)، رافقوا يسوع (راجع ٢: ٢، ١١، ١٧)، وبدأوا يشتركون في عمله (راجع ٤: ٢، ٨، ٢٧، ٣١، ٣٣، ٣٨)، وخَطَوا تدريجيًّا نحو الصّدارة في قُربهم من يسوع (راجع ٦: ٣، ٨، ١٢، ١٦، ٢٢، ٢٤، ٦٠-٧١). إنّ حالة عدم إيمان إخوة يسوع به وبتعليمه يُقابلها ولاء الدّائرة الدّاخليّة ليسوع، أي الإثني عشر (راجع ٧: ٢-٥)، والتّلمذة ستكون، بالتّالي، الموضوع الرّئيسيّ لمختلف الخطابات (راجع ٨: ١٢، ٣١؛ ٩: ٢٧-٢٩؛ الفصل ١٠). يلعب التّلاميذ دورًا هامًّا في الطّريق إلى أورشليم (راجع ٩: ٢؛ ١١: ٧-١٦، ٥٤؛ ١٢: ١٦، ٢١-٢٢)، وخلال فترة تهيئتهم وتعليمهم في أثناء خطاب يسوع الوداعيّ قبل انطلاقه إلى مسيرة الآلام

١٠) يُشير هذا التّعبير «تلميذ» بصيغة الجمع إلى «أتباع يسوع» كما يظهر في النّصوص اليوحنّاويّة التّاليّة: ٢: ٢، ١١، ١٧، ٢٢؛ ٣: ٢٢؛ ٤: ١، ٢، ٨، ٢٧، ٣١، ٣٣؛ ٦: ٣، ٨، ١٢، ١٦، ٢٢ (مرّتان)، ٢٤، ٦٠، ٦١، ٦٦؛ ٧: ٣؛ ٨: ٣١؛ ٩: ٢، ٢٧، ٢٨؛ ١١: ٧، ٨، ١٢، ٥٤؛ ١٢: ٤، ١٦؛ ١٣: ٥، ٢٢، ٢٣، ٣٥؛ ١٥: ٨؛ ١٦: ١٧، ٢٩؛ ١٨: ١ (مرّتان)، ٢، ١٧، ١٩، ٢٥؛ ٢٠: ٨، ١٠، ١٨، ١٩، ٢٠، ٢٥، ٢٦، ٣٠؛ ٢١: ١، ٢، ٤، ٨، ١٢، ١٤. أمّا حين يرد بصيغة المفرد، فإنّه يشير إلى «التّلميذ الّذي أحبّه يسوع» الّذي يُسمَّى ببساطةٍ «التّلميذ الآخر» عندما يظهر مع بطرس: ١٨: ١٥ (مرّتان)، ١٦؛ ١٩: ٢٦، ٢٧ (مرّتان)، ٣٨؛ ٢٠: ٢، ٣، ٤، ٨؛ ٢١: ٧، ٢٠، ٢٣، ٢٤.

الخلاصيّة (الفصول ١٣-١٧). يهوذا، وهو واحدٌ من تلاميذه، يخون معلّمه (راجع ٦: ٧٠-٧١؛ ١٢: ٤-٨؛ ١٣: ٢١-٣٠؛ ١٧: ١٢). أخيرًا، يظهر يسوع القائم لتلاميذه ويُوكل إليهم مَهمّة الرّسالة (الفصلان ٢٠-٢١ وبخاصّةٍ ٢٠: ١٩-٢٣).

إنّ الطّريقة الّتي يُميّز من خلالها الإنجيليّ الرّابع بين أتباع يسوع المقرَّبين وأولئك الّذين يتبعوه عن بُعدٍ تكمن في استخدامه للتّعبير «جمع – ὄχλος». يُمكن لهذا التّعبير في يوحنّا أن يُشير إلى أنواع الشّخصيّات التّاليّة، الّتي تُمثّل بدورها «الجمع»: (**١**) الجمع الّذي يتبع يسوع خارجيًّا فقط (راجع ٦: ٢، ٥، ٢٢، ٢٤)؛ (**٢**) أولئك الّذين أُعجبوا أو بُهِتُوا من الآيات الّتي كان يفعلها يسوع (راجع ٧: ٣١؛ ١٢: ٩، ١٢، ١٧-١٨)؛ (**٣**) أو أولئك الّذين تشوّش فكرهم حول هُويّة يسوع (راجع ٧: ١٢، ٤٠-٤٣)؛ (**٤**) إنّه الجمع الّذي بلا فهمٍ نتيجة عدم قدرتهم على الدّخول في سرّ يسوع والإيمان به (راجع ١١: ٤٢؛ ١٢: ٢٩، ٤٣).

نلاحظ ممّا تقدّم أعلاه أنّ السّمة السّائدة للجمع في الإنجيل الرّابع هي عدم الإيمان، على الرّغم من كونهم شهودَ عِيانٍ لعددٍ من الآيات المسيحانيّة، الّتي أُجريَت على يد يسوع. نرى الجموع حاضرين حين شفى يسوع رجلاً في السّبت (راجع ٥: ١٣). إنّهم الجمع الّذين قام يسوع بإطعامهم بطريقةٍ عجائبيّةٍ، بتكثيره الخمسة الأرغفة والسّمكتَين (راجع ٦: ٢، ٥، ٢٢، ٢٤، ٢٦). نرى الجموع حاضرةً أيضًا في الأعياد المختلفة في أورشليم (راجع ٧: ١٢، ٢٠، ٣١، ٣٢، ٤٠، ٤٣، ٤٩؛ ١٢: ١٢، ١٧، ١٨، ٢٩، ٣٤)، وعند حادثة إحياء لعازر (راجع ١١: ٤٢؛ ١٢: ٩). بينما أراد يسوع أن يؤمن النّاس (راجع ٧: ٣١؛ ١١: ٤٢)، يلاحظ الإنجيليّ الرّابع أنّه وعلى الرّغم من آيات يسوع العديدة، إلاّ أنّ الجموع لم تبلغ بعدُ حالة

الإيمان به (راجع ١٢: ٣٦-٤١). لقد عبّرت الجموع أحيانًا في الإنجيل الرّابع عن التّوقّعات المسيحانيّة، فتساءلت ما إذا كان المسيح سيعمل آياتٍ أكثرَ من يسوع (راجع ٧: ٣١)، واندهشت من تصريح يسوع المتعلِّق «بارتفاع» ابن الإنسان (راجع ١٢: ٣٤-٣٥).

يظهر من هذه الأمثلة أنّ السِّمة الأبرز الّتي تُميِّز الجموع تكمن في عدم قبولهم الإيمان بيسوع. تُشكِّل الجموع، بحسب الوصف اليوحنّاويّ، مثالاً «لاتّباع يسوع» لم يَرْقَ إلى التّلمذة الفعليّة، بل كانوا يعيشون بحسب ٨: ٣١ («فقال يسوع للّذين آمنوا به من اليهود: إنْ أنتم ثبتّم في كلامي، فبالحقيقة تكونون تلاميذي»)، حالةً من الثّبات الزّائف في التّلمذة، أي أنّها كانت تلمذة سطحيّة.

بالعودة إلى التّعبير «تلميذ»، نلاحظ أنّ الإنجيل الرّابع باستعماله يُقدِّم وثيقةً تاريخيّةً ودقّةً لاهوتيّة، إذ إنّه يُحدِّد في يوحنّا، في الغالبيّة العظمى من الحالات، هُويّة تلميذ الرّابّي يسوع، بالاتّفاق مع التّقليد الإزائيّ (راجع ٢: ٢، ١١، ١٧، ٢٢؛ ٣: ٢٢؛ ٤: ٢، ٨، ٢٧، ٣١؛ ٦: ٣، ٨، ١٦...). إنّ الصِّفة البارزة للتّلميذ تأتي بالتّوازي مع المصطلح «يتبع - ἀκολουθεῖν»، أي علاقة التّلميذ الوثيقة بالمعلّم المسيحانيّ؛ يعيش التّلاميذ مع معلّمهم (راجع ٢: ٢، ١١؛ ٦: ٣، ٦٠، ٦٦؛ ١١: ٧، ٥٤؛ ١٣: ١؛ ١٨: ٢)؛ يُرافقونه في جميع أسفاره (راجع ٢: ١٢؛ ٣: ٢٢؛ ١١: ٧؛ ١٢: ١٦؛ ١٨: ١)؛ يقومون بخدماتٍ مختلفةٍ لصالح معلّمهم (راجع ٤: ٨، ٢٧، ٣١، ٣٣؛ ٦: ١٠، ١٢)؛ يشهدون تعاليمه ويُوجِّهون الأسئلة إليه (راجع ٦: ٦٠؛ ٩: ٢)؛ وأخيرًا، يُشاركون أيضًا في آلام معلّمهم: «أُذكروا الكلام الّذي قلتُه لكم: ليس عبدٌ أعظم من سيِّده. إنْ كانوا

اضطهدوني، فسيضطهدونكم أنتم أيضًا، وإنْ كانوا حفظوا كلامي فسيحفظون كلامكم أيضًا» (١٥: ٢٠؛ راجع أيضًا ١٣: ١٦).

وعليه، فإنّ التّعبير «تلاميذ» في يوحنّا، كما في لوقا، يُمكن أن يُشير إمّا إلى «الدّائرة الضّيّقة ليسوع»، أي «الإثني عشر» (راجع ٦: ٢٢، ٢٤؛ ٩: ٢؛ ١١: ٧، ٨، ١٢، ٥٤؛ ١٢: ٤، ١٦؛ ١٣: ٥، ٢٢، ٢٣؛ ١٦: ١٧، ٢٩؛ ١٨: ١، ٢؛ ٢٠: ١٨، ١٩، ٢٥، ٢٦)، أو «قد تمتدّ لتُكوِّن مجموعةً أكبر من أتباع يسوع» (راجع ٤: ١؛ ٦: ٦٠، ٦١، ٦٦؛ ٧: ٣؛ ٩: ٢٧، ٢٨؛ ١٨: ١٧، ١٩، ٢٥؛ ١٩: ٣٨)[١١].

ب. «الإثنا عشر» في الإنجيل الرّابع

مقطعان فقط يُشيران إلى «الاثني عشر» في الإنجيل بأكمله:

- الأوّل (٦: ٦٧-٧١)، يأتي في سياق هجر الكثير من التّلاميذ ليسوع بسبب «تعاليمه الصّعبة» (راجع ٦: ٦٠). بطرس، من ناحيّةٍ أخرى، يتحدّث إلى «الاثني عشر» متعهِّدًا الإخلاص ليسوع ومُقِرًّا، في الوقت عينه، بأنّه «المسيح ابن الله الحيّ» (٦: ٦٩). من هنا فإنّ تسميّة «الاثني عشر» قد تُستَخدم في هذه المرحلة من الرّواية للإشارة إلى الرّمزيّة المتأصّلة في العدد «١٢»، من حيث ارتباطه **بأسباط إسرائيل الإثني عشر في العهد القديم**، وبصيرورته، بالتّالي، عددًا يُمثِّل **الجماعة المسيحانيّة الجديدة ليسوع**.

١١) إنّه لمن الصّعب أحيانًا تمييز أيّة جماعةٍ هي تلك المُشار إليها في الآيات اليوحنّاويّة التّاليّة (١٨: ١٥، ١٧، ٢٥؛ ١٩: ٢٦؛ ٢٠: ٢، ٣، ٤، ٣٠).

• بينما تُحدِّد الحالة الثّانيّة من استعمال هذا التّعبير هُويّة توما على أنّه «أحد الاثني عشر» (٢٠: ٢٤)، على غرار يهوذا في ٦: ٧١.

كلّ هذا يُشير إلى أنّ يوحنّا لم ينظر إلى «الاثني عشر» على أنّهم الوحيدون من حيث إرسالهم من قِبَل يسوع أو مشاركتهم في رسالته. فالإنجيل الرّابع يُشدِّد من جهته على أنّ «الاثني عشر» تبعوا يسوع في المراحل العصيبة من حياته الأرضيّة، بينما أخفق «التّلاميذ»، الّذين كان إيمانهم سطحيًّا، في اتّباعه والتّتلمذ له (نصوص مُشابِهة من الإزائيّين: متّى ١٦: ١٣-١٦؛ مرقس ٨: ٢٧-٣٠؛ لوقا ٩: ١٨-٢٠)؛ يكتسب هذا المنحى أهميّةً خاصّةً على ضوء الإشارات إلى التّلمذة في الفصول اللّاحقة، حيث يفشل الكثير من «اليهود» في الوصول إلى الإيمان الكامل بيسوع (راجع ٨: ٣١-٥٩؛ ٩: ١-٤١؛ ١٠: ١-٣٩؛ ١٢: ٣٩-٥٠).

إنّ إدراج هذه المقاطع في الإنجيل الرّابع يدلّ على أنّ الإنجيليّ الرّابع أدرك **التّكوين التّاريخيّ للتّلاميذ الإثني عشر**، الّذين تمّ اختيارهم بشكلٍ شخصيٍّ من قِبَل يسوعَ نفسِه: «فأجابهم يسوع: ألم أكن أنا اخترتكم أنتم الإثني عشر؟» (٦: ٧٠). لذا فإنّ تشديد يوحنّا ينصبّ على تصنيفهم **القلب النّابض لجماعة يسوع المسيحانيّة**، الكيان الّذي سيتمّ مناقشته أيضًا في الإنجيل لاحقًا من خلال استعارات «القطيع» و«الكرمة».

ت. إنتشار تعبير «تلميذ» في الإنجيل الرّابع

سِمَةٌ هامّةٌ جدًّا تُميِّز الصّورة الّتي رسمها يوحنّا عن أتباع يسوع تَظهر من خلال الاستخدام الواسع لهذا التّعبير في الإنجيل بأكمله. هذه الحركة من المفهوم المادّيّ

المجرّد لاتّباع يسوع إلى المفهوم الرّوحيّ، تُسهِّل عمليّة الانتقال من تلاميذ يسوع التّاريخيّ إلى المؤمنين في وقتٍ لاحق؛ وبالتّالي يمكن للمرء أن يُلاحظ كيف أنّ إنجيل يوحنّا يُشير إلى انتقالٍ مماثلٍ من مكوثٍ ماديٍّ ملموسٍ مع يسوع (راجع ١: ٣٧-٤٣) إلى **ثباتٍ روحيٍّ** في كلمة يسوع (راجع ٨: ٣١) إلى أن نَصِل إلى مكوثٍ «في يسوع» وراء زمن خدمته الأرضيّة (راجع ١٥: ٤-٧). تدريجيًّا، تأخذ تسميّة «تلميذ» منحًى آخر إذ تنطلق من «اتّباع يسوع التّاريخيّ» إلى «**اتّباعٍ روحيٍّ**» يتميّز بلامحدوديّته الزّمنيّة والمكانيّة (راجع ٨: ٣١؛ ١٣: ٣٥؛ ١٥: ٨؛ الفصل ١٧).

في الواقع، تجاوز نشاط التّلاميذ خدمة يسوع الأرضيّة، لأنّها لم تَعُدْ تقتصر على البُعد المكانيّ والزّمنيّ للكلمة المتجسّد، بل تحوّلت إلى عمل الرّبّ الممجَّد من خلال تلاميذه، الّذين تمّ إخراجهم أيضًا من الحدود التّاريخيّة: «... لأنّي ماضٍ إلى أبي» (راجع ١٤: ١٢). وفقًا للإنجيليّ الرّابع، يُعتبر الجواب الإيمانيّ للتّلاميذ الأوّلين نموذجًا أصيلاً للتّلمذة للأجيال اللّاحقة من المؤمنين. في حالة الأتباع اللّاحقين ليسوع، لم تَعُدْ حياتهم في التّلمذة متجذّرةً في اختبار شهود العيان الشّخصيّة أو في دعوةٍ مباشرةٍ من يسوع نفسه؛ فإيمان مِثل هؤلاء المؤمنين لا يقوم على أيّ اختبارٍ شخصيٍّ ومباشرٍ من يسوع، بل على التّقبُّل المطيع لشهادةٍ أخرى عن يسوع.

فلم يَعُد «اتّباع يسوع» مُقتصرًا على أولئك النّاس الّذي يتركون مهنتهم من أجل ربط أنفسهم بالرّبّ، بل أصبح، بحسب اللّاهوت اليوحنّاويّ، «خروجًا روحيًّا» من عالمٍ متغرّبٍ عن الله ونافرٍ منه، يتمّ بدافع الإيمان بالمُرسَل من الله، الّذي يمنح أتباعه النِّعَم الخلاصيّة والحياة الأبديّة.

إنّ اتّساع استعمال تعبير «تلمذة» في الإنجيل الرّابع لا يستلزم بدوره إلغاءَ عمل تلاميذ يسوع الأوّلين وشخصيّتهم. بدايةً، كان التّلاميذ الأتباع القريبين من يسوع، ثمّ أصبحوا، بعد ذلك، الأتباع الملتزمين، إلى أن أصبحت التّلمذة عنوانًا لكلّ الّذين يؤمنون بيسوع. إنّ الإنجيليّ الرّابع يُدرك بالتّأكيد الأتباع التّاريخيّين ليسوع، ويُدمج المؤمنين اللّاحقين في التّلمذة، أي أنّه **يَعبُر بالتّلمذة من بُعدٍ تاريخيٍّ محدودٍ إلى حالةٍ لاهوتيّةٍ فكنسيّةٍ لامحدودة**. هذا هو بالتّحديد تطوُّر المفهوم الكنسيّ للتّلمذة. فهل يُمكن للتّعبير «ماثيتيس – تلميذ» أن يمتدّ بالضّرورة ليُشير إلى تلاميذ ما بعد القيامة؟

بحسب ١٥: ٢٦-٢٧، تقوم شهادة التّلاميذ على أمرَين أساسيَّين: فبينما يستند الأوّل إلى الرّوح القدس، يعتمد الثّاني على كون التّلاميذ مع يسوع «منذ الابتداء»، في إشارةٍ مُمكنةٍ إلى الاثني عشر. في سياق الإنجيل الرّابع، يُشير هذا إلى أولئك التّلاميذ الّذين دعاهم يسوع في بداية خدمته العلنيّة (راجع ١: ٣٧-٤٣)، والّذين بدورهم تمتّعوا بروح المثابرة والاستمراريّة في اتّباعه (راجع ٦: ٦٠-٧١).

لكن، هل هذا يعني أنّ الإنجيل الرّابع يَعرض مَهمّة الشّهادة كمَهمّةٍ مقصورةٍ على الاثني عشر فقط أم أنّها تتعلّق بجميع أولئك الّذين تبعوا يسوع خلال خدمته الأرضيّة؟ للوهلة الأولى، يبدو الحال كذلك، وبخاصّةٍ أنّ الشّهادة في الإنجيل الرّابع عادةً ما تتعلّق بيسوع التّاريخيّ (راجع ١: ٧، ٨، ١٥، ٣٢، ٣٤؛ ٣: ١١، ٢٦، ٢٨، ٣٢؛ ١٥: ٢٦-٢٧؛ ١٩: ٣٥؛ ٢١: ٢٤)، ذلك أنّ التّعبير «يشهد — μαρτυρέω» غالبًا ما يرتبط، في الكتابات اليوحنّاويّة، بموضوع «الرّؤية» (راجع ٣: ١١، ٣٢؛ ١٩: ٣٥؛ ١ يوحنّا ١: ١-٣؛ ٤: ١٤).

ففي حين أنّ مسؤوليّة الشّهادة تُعطى، في المقام الأوّل، لتلاميذ يسوع الأوّلين، إلاّ أنّها غيرُ مُقتصرةٍ عليهم وحدهم، لأنّها تمتدّ بدورها لتكون مسؤوليّة الأجيال القادمة من المؤمنين: «ولستُ أسأل من أجل هؤلاء فقط بل أيضًا من أجل الّذين يؤمنون بي **بكلامهم**» (١٧: ٢٠). تتميّز شهادة الرّسل الأوّلين بأنّها أصيلةٌ، لأنّهم كانوا «مع يسوع» وقد «عرفوه» بشكلٍ شخصيٍّ؛ أمّا شهادة المؤمنين، فتتميّز بكونها تابعةً لشهادتهم المُثبَّتة في الأناجيل الأربعة. فالتّلاميذ الأصليّون يشهدون لِما سمعوا ورأَوا. كما يُمكننا أن نستنتج من ٢٠: ٢٩ («قال له (توما) يسوع: لأنّك رأيتني آمنت، طوبى للّذين لم يرَوا وآمنوا») أنّ الإيمان بيسوع بعد صعوده إلى السّموات سيستند على سماع الرّسالة الرّسوليّة بدلاً من رؤية يسوع، الّتي ستتميّز، لاحقًا، بكونها رؤيةً روحيّة: «وقال يسوع: إنّي لدينونةٍ أتيتُ إلى هذا العالم حتّى يُبصر الّذين لا يُبصرون ويَعمى الّذين يُبصرون...» (٩: ٣٩-٤١)؛ **وبالتّالي، فإنّ الرّؤية الجسديّة لأولئك الّذين كانوا مع يسوع منذ الابتداء لن تكون شرطًا ضروريًّا للشّهادة، ذلك أنّ يسوع يُصرِّح لتلاميذه، في أكثر من موضعٍ**

في الإنجيل، أنّ «المعزّي» الآتي سوف يُعلِّمهم كلّ شيء ويُذكّرهم بكلّ ما قاله يسوع لهم (راجع ١٤: ٢٦؛ ١٦: ١٢-١٥).

عودٌ على بدءٍ نقول إنّ الإنجيل الرّابع يُحافظ على عمل التّلاميذ التّاريخيّ والأصليّ كشهودٍ ليسوع التّاريخيّ، إذ إنّهم الوحيدون الّذين تبعوا يسوع وعايشوه خلال خدمته الأرضيّة، بما في ذلك صلبه وقيامته (راجع ١٨: ١٩؛ ١٩: ٣٥؛ ٢٠: ٣٠). تمتدّ هذه الخصوصيّة التّاريخيّة أيضًا إلى الإشارات الّتي ألمح إليها يسوع في خطابه الوداعيّ في ما يتعلّق «**بالقليل**» الّذي يُعبّر عن غياب يسوع، من جهةٍ، ولَمّ شَمله من جديدٍ بتلاميذه، من جهةٍ أخرى: «بعد قليلٍ لا يراني العالم وأمّا أنتم فترَونني لأنّي حيٌّ وأنتم ستحيَون» (١٤: ١٩)؛ «عمّا قليلٍ لا تُبصرونني، ثمّ عمّا قليلٍ أيضًا ترونني لأنّي منطلقٌ إلى الآب...» (١٦: ١٦-١٩؛ راجع أيضًا ٧: ٣٣؛ ١٢: ٣٥؛ ١٣: ٣٣) أو بالإنجيليّ الرّابع نفسه (راجع ٢١: ٢٤).

وعليه، فإنّ جميع أولئك الّذين يؤمنون بيسوع سيُشكّلون الجماعة المسيحانيّة الجديدة، بحيث يكون التّلاميذ الأحد عشر ممثّليها التّاريخيّين الأوائل. لذا، فإنّ جميع المؤمنين أيضًا مُرسَلين إلى العالم بهدف الشّهادة ليسوع (راجع ١٧: ١٨، ٢٠). هذا كلّه يُعطي المؤمن دون تمييزٍ فوائد عديدة. على سبيل المثال، ينال كلُّ مؤمنٍ هِبةً إلهيّةً تُصيّره إبنًا لله (راجع ١: ١٢) ويتقبّل، تاليًا، عطيّة الحياة الأبديّة (راجع ٣: ١٦؛ ٢٠: ٣١). كذلك تُعطَى لكلّ مؤمنٍ العديد من المسؤوليّات تتمثّل في: **الخدمة المجّانيّة** (راجع ١٣: ١٤-١٧)، **المحبّة الأخويّة الصّادقة** (راجع ١٣: ٣٥)، **طاعة وصايا يسوع** (راجع ١٥: ١٤)، وأخيرًا **العيش معًا في وَحدةٍ وتماسُك** (راجع ١٧: ٢٠-٢٥). تتمحور محبّة التّلاميذ لبعضهم

البعض إضافةً إلى كونهم مُرسلين إلى العالم حول علاقة الآب-الإبن بين يسوع والّذي أرسله (راجع ١٣: ٣٥؛ ١٧: ١٨؛ ٢٠: ٢١).

إنّ تحوُّل أتباع وتلاميذ يسوع الأرضيّ إلى ممثِّلين ليسوع الممجَّد ممكنٌ فقط عن طريق «تمجيد» يسوع وعودته إلى الآب. ففي القسم الثّاني من الإنجيل الرّابع يَظهر تغييرًا جذريًّا من علاقة معلّمٍ-تلميذٍ بين يسوع وأتباعه إلى علاقةٍ أكثر حميميّةً يستخدم فيها يسوع بعض التّعابير التّحبُّبيّة لتلاميذه: «ἴδιοι - خاصّة» (١٣: ١)؛ «τεκνία - أولاد» (١٣: ٣٣)؛ «φίλοι - أحبّاء» (١٥: ١٥)؛ «τὰ ἐμά - خاصّتي» (١٧: ١٠)؛ «ἀδελφοί - إخوة» (٢٠: ١٧)، وأخيرًا «παιδία - فتيان» (٢١: ٥). ومع ذلك، فإنّ الموضوع الأبرز والأهمّ، من بداية الإنجيل وحتّى نهايته، يبقى الدّعوة المستديمة لاتّباع يسوع (راجع ٢١: ١٩، ٢٢).

في الإطار التّاريخيّ الأصليّ، يبقى السّؤال عن أهميّة اتّباع يسوع بعد رحيله الجسديّ قيد البحث والدّراسة. كان الجواب أنّ اتّباع يسوع يكون ممكنًا بالرّوح القدس الّذي سيُرسله يسوع. إنّه الرّوح الّذي سيُحافظ على استمراريّة الأعمال عينِها الّتي كان يصنعها يسوع بينما كان بالجسد مع تلاميذه (راجع ١٤: ١٦-١٧). إنّ التّوسُّع اليوحنّاويّ الخاصّ بالتّعبير «تلميذ» يهدف إلى أن يشمل المؤمنين اللّاحقين جنبًا إلى جنبٍ مع أتباع يسوع الأوائل، وذلك من أجل تسهيل الانتقال من أتباع يسوع خلال خدمته الأرضيّة إلى التّلاميذ الّذي سيعتمدون في شهادتهم وكرازتهم على التّلاميذ الأوّلين؛ وبالتّالي، فإنّ التّلاميذ الأوّلين واللّاحقين متّحدون بدورهم في الإيمان، وعلاقتهم بالرّبّ الممجّد تعتمد على الرّوح القدس.

ث. التّوصيف اليوحنّاويّ للتّلاميذ كأفراد

• مقدّمة

تلعب الشّخصيّات اليوحنّاويّة دورًا بارزًا وفعّالاً في الإنجيل. يُمكن أن يكون الإنجيل الرّابع، في الأصل، كنايةً عن سلسلةٍ من العِظات الّتي تُسلِّط الضّوء على الجواب الإيمانيّ لبعض الأفراد، بهدف تعزيز إيمان الجماعة اليوحنّاويّة، بحيث إنّ كلّ عِظةٍ تختار فردًا معيّنًا كنموذجٍ للإيمان بيسوع أو عدمه.

يبدو أنّ هناك عددًا من الشّخصيّات في الإنجيل الرّابع الّتي، إلى جانب كونها تُمثِّل أشخاصًا تاريخيّين، تُستَخدم من قِبَل الإنجيليّ الرّابع لإظهار القضايا المؤثِّرة في الشّخص الّذي أصبح تلميذًا ليسوع أو نما في مِثل هذه التّلمذة. على سبيل المثال، تُحقِّق الشّخصيّات التّاليّة مشروع التّلمذة: المرأة السّامريّة (من مُستجوبةٍ ليسوع إلى قائدةٍ للآخرين إليه)، المسؤول الكفرناحوميّ (يُمثِّل إعطاء الأولويّة للإيمان بيسوع بتخطِّيه إيمان «الآيات»)، الأعمى منذ مولده (يُمثِّل التّدرُّج في الفهم والإيمان)، ومرتا (تُمثِّل الاعتراف الصّحيح الّذي لا يُشكِّل بالضّرورة فهمًا كافيًا لهُويّة يسوع). وهكذا، فإنّ الإنجيليّ الرّابع يؤكّد حقيقة أنّ هناك أشخاصًا آخرين، غير تلاميذ يسوع، يُعتَبرون مِثالاً حيًّا وتعليميًّا عن «التّلمذة».

• بطرس والتّلميذ الحبيب

يبدو أنّ الإنجيليّ الرّابع يرغب في أن ينقل فهمًا خاصًّا لمفهوم العلاقة بين بطرس والتّلميذ الحبيب. يبقى السّؤال عن ماهيّة العلاقة، الّتي ينسبها الإنجيل الرّابع لكلٍّ من بطرس والتّلميذ الحبيب. ممّا لا شكّ فيه أنّ التّلميذ الحبيب يُعتبر **التّلميذ المثاليّ**

والنّموذج الأبرز للتّلمذة، لأنّه صورة المؤمن في حُبّه، إيمانه، وتعَلُّقه بيسوع؛ بينما يُعتبر بطرس النّاطق الرّسميّ باسم الاثني عشر بحسب التّقليد الإنجيليّ المشترك. يظهر من بعض المقاطع اليوحنّاويّة أنْ لا أسبقيّة لبطرس على التّلميذ الحبيب، ذلك أنّ الإنجيل الرّابع يسعى، إلى حدٍّ ما، إلى إظهار الدّور الخاصّ والمختلف للتّلميذ الحبيب، دون إغفال المكانة الفريدة لبطرس ضمن جماعة التّلاميذ؛ وبالتّالي، فإنّ العلاقة بينهما تدخل في إطار «التّنافس والتّباين»؛ فمن ناحيّةٍ، يُرجَّح أنّ الإنجيليّ الرّابع يريد أن يُصوِّر التّلميذ الحبيب، مثل بطرس، كشخصيّةٍ تاريخيّة؛ يُمكن لهذا التّصوُّر أن يُرى، على سبيل المثال، في رواية الآلام، حيث تعمل الشّخصيّتان جنبًا إلى جنب. إنّه لمن الصّعب أن نتصوّر إجراءً من شأنه أن يُدرج التّلميذ الحبيب كشخصيّةٍ مثاليّةٍ جنبًا إلى جنبٍ مع بطرس، وهو شخصيّةٌ تاريخيّة.

للإنجيليّ الرّابع رغبةٌ في استثمار هاتين الشّخصيّتين من أجل أداء أدوارٍ تمثيليّة. يَظهر هذا بوضوحٍ في بعض المقاطع اليوحنّاويّة الّتي تُبيِّن أوجه الشّبه بين يسوع، من ناحيّةٍ، وبطرس أو التّلميذ الحبيب، من ناحيّةٍ أخرى. في ما يختصّ بالتّلميذ الحبيب، فإنّ التّشابه الرّئيسيّ يتمثّل **في قُربه من يسوع على غرار قُرب يسوع من الآب**، وذلك باستعماله الفعل اليونانيّ «κόλπος»، أي «حِضن» في موضعَين مختلفَين من الإنجيل:

- «وكان أحد التّلاميذ، متّكئًا على **حِضن يسوع**، وهو الّذي كان يسوع يُحبُّه» (١٣: ٢٣).

- «الله لم يره أحدٌ قطّ، الإبن الوحيد الّذي في **حِضن الآب** هو خبَّر» (١: ١٨).

نلاحظ أيضًا أنّ هناك تشابهًا آخَر يكمن في موضوع «**الشّهادة**». إنّ التّعبير المستَخدم ليسوع في ١: ١٨ هو «يروي، يُخبِّر»، بينما يَظهر تعبيرٌ مماثلٌ يخصّ التّلميذ الحبيب هو «الشّاهد»: «هذا هو التّلميذ الشّاهد بهذه الأمور والكاتب لها وقد علمنا أنّ شهادته حقٌّ» (٢١: ٢٤؛ راجع أيضًا ١٩: ٣٥). يُقال أيضًا إنّ يسوع جاء «ليشهد للحقّ» (١٨: ٣٧). قد تكون هناك أيضًا علاقةٌ مشتركةٌ بين يوحنّا المعمدان (راجع ١: ٣٢-٣٤) والتّلميذ الحبيب (١٥: ٢٦-٢٧) تتمثّل في الشّهادة ليسوع، الّتي تهدف إلى أن «يُظهَر لإسرائيل» (١: ٣١).

من هنا نؤكّد أنّ هذين التّلميذين، ومَن يُمثّلان، هما شخصيّتان مختلفتان، لكنّهما يملكان دورًا متكاملاً في رسالة الجماعة المسيحانيّة. إنّ دور التّلميذ الحبيب يكمن في أن يكون شاهدًا أمينًا ليسوع؛ في حين أنّ خدمة بطرس تتميّز بكونها شهادةً أمينةً ليسوع؛ فدوره الأساسيّ يرتكز على:

- **المحبّة الأخويّة المتبادلة**، أساس التّلمذة الحقيقيّة: «بهذا يعرف الجميع أنّكم تلاميذي إذا أحبّ بعضكم بعضًا» (١٣: ٣٥).
- «**الرّعاية**» **الأمينة والجريئة** «**لقطيع**» **يسوع**[١٢]، الّتي تَنصّ على «الحماية الرّوحيّة»؛ فلا ينبغي أن يُنظَر إلى دور بطرس «كراعٍ» على أنّه مجرّد في شؤونٍ رعويّةٍ تخصّ

١٢) «أنِ ارعَوا رعيّة الله الّتي فيكم متعاهدين لها لا عن اضطرارٍ بل عن اختيارٍ ولا لمكسبٍ خسيسٍ بل بارتياح ولا كمَن يتسلّط على الأنصبة بل كمَن يكون مثالاً للرّعيّة» (١ بطرس ٥: ٢-٣)، وهذا بالتّحديد ما أعلنه بولس في حديثه لرعاة الكنيسة في أفسس قائلاً: «فاحذروا لأنفسكم ولجميع الرّعيّة الّتي أقامكم الرّوح القدس فيها أساقفةً لترعَوا كنيسة الله الّتي اقتناها بدمه» (أعمال ٢٠: ٢٨).

رعاية المؤمنين، بل يترتّب عليه، كما في حالة يسوع الراعي، أن يجلب إلى القطيع الخراف البعيدة والمشتّتة: «ولي خرافٌ أُخَر ليست من هذه الحظيرة، ينبغي أن آتيَ بها أيضًا وستسمع صوتي ويكون هناك رعيّةٌ واحدةٌ وراعٍ واحد» (١٠: ١٦). إذًا، هناك تشابهٌ بين يسوع وبطرس من ناحيّة «الرِّعاية»، إذ إنّ الإنجيل الرّابع الّذي يُقدِّم يسوع على أنّه «الرّاعي الصّالح» (الفصل ١٠)، يُشير في الفصل الأخير إلى أنّ على بطرس، وبتكليفٍ من يسوع، أن «يرعى» خراف يسوع (٢١: ١٥-١٧).

- **الشّهادة الشُّجاعة المُنتهيّة**، على مثال المسيح، بميتةٍ - لا تخلو من العنف - تُمجِّد الله: «وإنّما قال هذا دالًّا على أيّة ميتةٍ كان مزمعًا أن يُمجِّد الله بها» (٢١: ١٩). يُعيد موت بطرس إلى الأذهان العمل الخلاصيّ الّذي بواسطته كشف يسوع مجد الله؛ إنّه يُعبِّر عن معنى موت يسوع، على مبدأ أنّ التّلمذة الحقيقيّة تُواصل رسالة يسوع (راجع ١٧: ١٠)، إلاّ أنّ موت بطرس لا يحمل معنًى كفّاريًّا كموت يسوع ذي الطّابع الكفّاريّ وحده.

على ضوء الملاحظات الواردة أعلاه نستنتج أنّ كلًّا من بطرس والتّلميذ الحبيب، بالإضافة إلى هُويّتهم التّاريخيّة، يظهران أيضًا لأداء دورٍ تمثيليٍّ في الإنجيل الرّابع؛ وبالتّالي، فإنّ دور كلّ واحدٍ منهما يَصِحُّ أن يكون أنموذجًا لكلّ المؤمنين اللّاحقين؛ فإذا قام أحدٌ ما بإلقاء نظرةٍ عامّةٍ على الإنجيل الرّابع، فإنّه سيجد أنّ هناك بعض الواجبات الّتي تخصّ كلّ تلميذٍ ليسوع، مثل واجب طاعة يسوع ومحبّة التّلاميذ الآخرين.

ج. استعارات «الشّركة» في الإنجيل الرّابع

• مقدّمة

تُستَخدم استعارات «الشّركة» في الإنجيل الرّابع لوصف التّلاميذ، وتشتمل على «القطيع» و«الأغصان». تَرِد صورة القطيع في الفصل ١٠ من الإنجيل، حيث يَظهر يسوع «الرّاعي الصّالح»، وأتباعه «الخراف». إنّ صورة «القطيع» في ١٠: ١٦ تقع في سياق رغبة يسوع في توحيد خرافه الآنيّين مع الخراف الأخرى في قطيعٍ واحد وتحت تدبير راعٍ واحد. إشاراتٌ إلى «تبدُّد» تلاميذ يسوع الوشيك: «ها إنّها تأتي ساعةٌ وقد أتت الآن تتفرّقون فيها كلّ واحدٍ منكم إلى خاصّته وتتركوني وحدي...» (١٦: ٣٢)، وإلى حماية يسوع لخاصّته: «حين كنتُ معهم في العالم كنتُ أحفظهم باسمك، إنّ الّذين أعطيتهم لي قد حفظتهم ولم يهلك منهم أحدٌ إلاّ ابن الهلاك ليتمّ الكتاب» (١٧: ١٢) الّتي قد تتضمّن بدورها صورة «القطيع». أخيرًا، يُعطي يسوع بطرسَ وديعة رعاية «القطيع» بتعيينه وكيلاً للرّاعي الأبديّ: «إرعَ حِملاني... إرعَ خرافي... إرعَ خرافي» (٢١: ١٥، ١٦، ١٧).

إنّ استخدام يوحنّا لاستعارات «الشّركة» يَظهر ليعمل كأداةٍ لتحقيق التّوازن بين تشديد الإنجيل الرّابع على الفرد، من جهةٍ، وعلى بُعد الشّركة في حياة المؤمن، من جهةٍ أخرى، ذلك أنّ هذه الاستعارات، الّتي نسبتها كتابات العهد القديم إلى إسرائيل الّذي ألّف حينها «قطيع الله» (راجع المزمور ٢٢؛ أشعيا ٤٠: ١١؛ إرميا ٢٣: ١؛ حزقيال ٣٤: ١١-١٦)، تجعل من تلاميذ الإنجيل الرّابع **شعب الله في العهد الجديد**. إليكم بعض الأمثلة الّتي تدعم هذه الفكرة:

(١) إستخدام تعبير «ἴδιοι – **خاصّة**» في ١: ١١ «إلى خاصّته أتى وخاصّته لم تقبله» للإشارة إلى إسرائيل وفي ١٣: ١ «... وكان قد أحبّ خاصّته الّذين في العالم، أحبّهم منتهى الحبّ» للإشارة إلى أتباع يسوع؛

(٢) الإصرار في ١٥: ١ على أنّ يسوع هو الكرمة «**الحقيقيّة**» مُجسِّدًا بذلك إسرائيل «الحقيقيّ»؛

(٣) «**إنشاء**» الجماعة المسيحانيّة الجديدة من خلال عطيّة الرّوح: «ولمّا قال هذا، نفخ فيهم وقال لهم: خذوا الرّوح القدس» (٢٠: ٢٢)؛

(٤) يُصوِّر الإنجيل الرّابع يسوع على أنّه **النّبيّ الموسويّ**، على الرّغم من أنّ يسوع يتجاوز كلًّا من موسى وإبراهيم في الإنجيل الرّابع: «لأنّ النّاموس أُعطِيَ بموسى، وأمّا النّعمة والحقّ فبيسوع المسيح حصلا» (١: ١٧)؛ «قال لهم يسوع: الحقّ الحقّ أقول لكم: قبل أن يكون إبراهيم، أنا كائنٌ» (٨: ٥٨؛ راجع أيضًا الفصول ١٣-١٧ على غرار سِفر تثنيّة الاشتراع السِّفر الّذي يُعلن دون انقطاعٍ أوليّة الرّوح على الشّريعة، والقداسة ومحبّة الله ورجاء عهد الخلاص؛ وأيضًا استخدام يوحنّا ١٤: ١٥-٢٤ أفعالاً عدّةً عبّرت في ما سبق عن لاهوت العهد في خروج ٣٣-٣٤، هي: أن تُحِبّ، أن تُطيع، أن تحيا، أن تعرف، وأن ترى)؛

(٥) المعنى التّضمينيّ ليوحنّا ١: ٥١ «إنّكم من الآن ترَون السّماء مفتوحةً، وملائكة الله يصعدون وينزلون على ابن البشر» الّذي يضع يسوع مكان إسرائيل (راجع تكوين ٢٨: ١٠-١٣) بوصفه المكان الّذي كشف الله فيه مجده؛

(٦) إستخدام صُوَر «الرّاعي» و«القطيع» لوصف العلاقة بين يسوع والجماعة الّتي تتخطّى حدود العِرقيّة اليهوديّة («الخراف الأخرى الّتي ليست من هذه الحظيرة»، ١٠: ١٦)؛

(٧) التّأكيد على أنّ مجد يسوع «سَكَنَ بيننا» (أي الجماعة المسيحانيّة) في إشارةٍ واضحةٍ إلى مسكن الله في وسط شعب العهد القديم، إسرائيل (راجع ١: ١٤)؛

(٨) أخيرًا، الإصرار على أنّ بُنوّة يسوع الإلهيّة هي فريدةٌ من خلال استخدام التّعبير «μονογενής»، الّذي يعني «الوحيد» (راجع ١: ١٤، ١٨؛ ٣: ١٦، ١٨).

إنطلاقًا ممّا تقدّم نقول إنّ إسرائيل الجسديّ لا يؤلّف شعب الله الوحيد (راجع ١١: ٤٨–٥٢)، كما أنّ حالته لم تكن يومًا كذلك، لأنّه لم يكن أبدًا مُلكًا خاصًّا لله، لكنّه ببساطةٍ تلك الأُمّة الّتي من خلالها سينكشف وحي الله وخلاصه (راجع ٤: ٢٢): فإسرائيل الحقيقيّ هو صورةٌ للّذي سيأتي في شخص يسوع، إنّه شعب الله الّذي يتجمّع فيه: إنّه الشّعب الّذي يتألّف من اليهود والوثنيّين على حدٍّ سواء، والّذي يملك شيئًا مشتركًا واحدًا فقط هو الإيمان في يسوع المسيح: «فأمّا الّذين قبلوه فأعطاهم سلطانًا أن يكونوا أبناء الله الّذين يؤمنون باسمه» (١: ١٢).

• إستعارة «الرّاعي والقطيع»

على ضوءِ هذا الإطار العامّ، فإنّ صورة «القطيع» في الفصل ١٠ من الإنجيل تؤكّد أنّ يسوع هو مُحقِّق الوعد المسيحانيّ كراعٍ مسيحانيٍّ أمينٍ على العكس من عدم أمانة قادة الشّعب اليهوديّ في حِفظ وديعة رعاية شؤون القطيع، واهتمامهم برعاية أنفسهم:

«هكذا قال السّيّد الرّبّ للرّعاة: ويلٌ لرعاة إسرائيل الّذين كانوا يرعَون أنفسهم. أليس الرّعاة إنّما يرعَون الغنم. إنّكم تأكلون اللّبن وتلبسون الصّوف وتذبحون السّمين والغنم لا ترعونها. الضّعاف لم تُقوُّوها والمريضة لم تُداووها والمكسورة لم تُجبروها والشّاردة لم تردُّوها والمفقودة لم تتطلّبوها وإنّما تسلّطتم عليها بقسوةٍ وقهر، فأضحت مُشتَّتةً من غير راعٍ وصارت مأكلاً لكلّ وحش الصّحراء وهي مُشتَّتة... هاءنذا على الرّعاة فأطلب غنمي من أيديهم وأَكُفُّهم عن رَعيِ الغنم فلا يرعى الرّعاة أنفسهم من بعدُ وأُنقذ غنمي من أفواههم فلا تكون لهم مأكلاً. **لأنّه هكذا قال السّيّد الرّبّ: هاءنذا أُنشد غنمي وأفتقدها أنا**» (حزقيال ٣٤: ٢-١١؛ راجع أيضًا زكريّا ١٣: ٧-٩).

يتبيّن بشكلٍ ملحوظٍ أنّ تأثير الرّاعي المسيحانيّ يتجاوز الحدود العِرقيّة لإسرائيل، حتّى لو توصّل اليهود إلى عدم اختيار الانتماء إلى خراف يسوع: «لكنّكم لا تؤمنون لأنّكم لستم من خرافي» (١٠: ٢٦؛ راجع أيضًا ٨: ٣١-٥٩). من هنا نُشير إلى أنّ **استمراريّة جحود قادة إسرائيل أدّت، بالتّالي، إلى فشل مستمرٍّ من قِبَل «اليهود» في الإيمان بيسوع.**

أمّا أولئك الّذين يؤمنون، من ناحيّةٍ أخرى، فيعرفون أنفسهم على أنّهم جماعةٌ جديدةٌ تنتمي إلى الرّاعي الإسكاتولوجيّ المسيحانيّ؛ ففي حين أنّ هؤلاء المؤمنين لا يزالون يهودًا، إلاّ أنّ تعريفهم عن أنفسهم لم يَعُد مبنيًّا على خلفيّتهم العِرقيّة، بل، وببساطةٍ، على إيمانهم بيسوع. تفتح وُجهة النّظر هذه إمكانيّة العضويّة الشّاملة لجماعاتٍ أخرى مختلفةٍ في الجماعة المسيحانيّة، وهي حقيقةٌ ستكون مؤكَّدةً في حال تمّ تفسير تعبير «الخراف الأخرى» في ١٠: ١٦ على أنّهم «الوثنيّون». فمن حيث التّلمذة الفرديّة،

وكذلك من حيث الإنتماء إلى شركة الجماعة المسيحانيّة، فإنّ المعيار المُعتَمَد للعضويّة في الجماعة المسيحانيّة الجديدة يتجاوز الحدود العِرقيّة (الإثنيّة) ليفترض بُعدًا شموليًّا جديدًا. من هنا يُمكننا أن نلاحظ أنّ الإنجيل يُشير إلى حركةٍ انتقاليّةٍ من المفاهيم القديمة للتّلمذة والإنتماء إلى شعب الله إلى فهمٍ جديدٍ لهذه المعايير. يُنظَر إلى اليهوديّة كنظامٍ تمّ تجاوزه بظهور المسيح، الّذي ترك اليهوديّة مثل صَدَفةٍ فارغةٍ، وفَضَحَ التزامها بتقاليدَ باتت عقيمةً وقديمة، بالإضافة إلى تمسُّكها بالسّلطة الّذي من شأنه أن ينتهي؛ حتّى لو ادّعت الشّخصيّات اليهوديّة أنّ الآباء المؤسّسين لها، إبراهيم وموسى، إلاّ أنّ يسوع ينفي ذلك بإظهاره أنّ هذه الشّخصيّات أشارت إليه وهيّأتِ الطّريق ليَحينَ ملء الزّمان فيه.

• إستعارة «الكرمة والأغصان»

تقع استعارة «الكرمة والأغصان» في الفصل ١٥ من الإنجيل الرّابع. إنّها تُشير، في كتابات العهد القديم، إلى إسرائيل (راجع مزمور ٨٠: ٩-١٦؛ أشعيا ٥: ١-٧؛ ٢٧: ٢-٦؛ إرميا ٢: ٢١؛ حزقيال ١٥؛ ١٩: ١٠-١٤؛ هوشع ١٠: ١). أمّا في العهد الجديد، فيسوع هو «الكرمة الحقيقيّة»، ممثِّل إسرائيل، وتلاميذه هم «الأغصان»، مشاركون في يسوع، إسرائيل «الجديد». الآب هو «الكرّام»، الّذي «يتمجّد» في كلّ مرّةٍ يأتي التّلاميذ فيها «بثمرٍ كثير». تكشف استعارة الكرمة، بصورةٍ أكثر وضوحًا من تلك الّتي للرّاعي وقطيعه، الوَحدة الوثيقة القائمة بين يسوع وتلاميذه. يُشدِّد الإنجيليّ الرّابع على أنّ يسوع ليس الشّخص المتجذِّر فيه إيمان أتباعه فحسب، لكنّه يجب أن يكون أيضًا المصدر المستمرّ والأساس المتين للتّنشئة والقوّة في حياة المؤمنين الفرديّة والجماعيّة.

وبالتّالي، فإنّ استعارتَي «القطيع» و«الكرمة» تُبرز عناصرَ الوحدة بين يسوع وأتباعه. في كلا الحالتَين، يجد المرء إشارةً إلى **بذل يسوع نفسه من أجل الآخرين** (راجع ١٠: ١١، ١٥، ١٧، ١٨؛ ١٥: ١٣). لذا فإنّ هذه المقاطع تؤكّد بدورها أهمّيّة موت يسوع لولادة الجماعة المسيحيّة وحياتها اللّاحقة. علاوةً على ذلك، يُشدِّد يوحنّا من خلال هاتين الاستعارتَين على أهمّيّة الرّسالة، فنجد أنّ فكرة الرّاعي في الفصل ١٠ تُنسَب إلى بطرس في ٢١: ١٥-١٧، في حين أنّ استعارة الكرمة تُشير في الفصل ١٥ إلى **الإنطلاقة الرّسوليّة للتّلاميذ وهدفها الرّئيس «الإثمار»**: «وأقمتكم لتنطلقوا وتأتوا بثمرٍ ويدوم ثمركم» (١٥: ١٦؛ راجع أيضًا ١٥: ٨).

مع أنّ تعبير «خاصّته» (*οἱ ἴδοι*) لا يحمل صفةً مجازيّةً، إلاّ أنّه كثيرًا ما يَرِد بارتباطٍ وثيقٍ مع استعارات «الشّركة» في الإنجيل الرّابع. على سبيل المثال، يَرِد هذا التّعبير مرتبطًا بفكرة الرّاعي: «له يفتح البوّاب والخراف تسمع صوته، فيدعو خرافه (τὰ ἴδια πρόβατα) بأسمائها ويُخرجها» (١٠: ٣)، «أنا الرّاعي الصّالح وأعرف خاصّتي وخاصّتي تعرفني» (١٠: ١٤؛ راجع أيضًا ١٠: ١٢؛ وأيضًا راجع ١٧: ٦، ١٠)؛ تقف هذه العبارة في بداية قسمَي الإنجيل الرّابع (راجع ١: ١١؛ ١٣: ١) لتُوضِّح العلاقة الوثيقة بين يسوع وجماعة عهده، من جهة، وتميُّز تلاميذه عن العالم، من جهةٍ أخرى: «قد أعلنتُ اسمك للنّاس الّذين أعطيتَهم لي من العالم» (١٧: ٦؛ راجع أيضًا ١٥: ١٨-٢٥).

وهكذا، فإنّ على خاصّة يسوع، أي تلاميذه الأوّلين والمؤمنين اللّاحقين، أن يُحدِّدوا هُويّتهم بالعلاقة مع الآب ويسوع، من ناحيّة، ومع العالم، من ناحيّةٍ أخرى (راجع ١٤: ١٦-١٧). فالآب ويسوع هما المصدر الدّائم والثّابت لقوّة التّلاميذ

ومؤازرتهم: «أنا الكرمة وأنتم الأغصان. مَن يثبت فيّ وأنا فيه فهو يأتي بثمرٍ كثير، لأنّكم بدوني، لا تستطيعون أن تعملوا شيئًا» (١٥: ٥)؛ «إنّهم ليسوا من العالم كما أنّي لستُ من العالم» (١٧: ١٦)، في حين أنّ العالم هو الأرض الغريبة والمعادية ليسوع وأتباعه. ومع ذلك، فإنّ التّلاميذ، على مثال يسوع، مُرسَلين إلى العالم: «فإنّ الله لم يُرسلِ ابنه إلى العالم ليدين العالم، بل ليُخلّص به العالم» (٣: ١٧)؛ «كما أرسلتَني إلى العالم أرسلتُهم أنا أيضًا إلى العالم» (١٧: ١٨)؛ «كما أرسلني الآب كذلك أنا أُرسِلكم» (٢٠: ٢١).

لقد تمّ تكليف التّلاميذ كمجموعةٍ لمواصلة مَهمّة الرّسالة، وذلك لأنّهم لا يستطيعون تحقيق هذه الغاية كأفرادٍ؛ لذا، فإنّ تركيز الإنجيليّ الرّابع على موضوع «الوحدة» في الفصل ١٧ من إنجيله يُبيِّن كيف أنّه لا غنى عن الشَّركة في الجماعة من أجل ضمان استمراريّة رسالة يسوع في العالم.

تعبيرٌ آخَر يحمل أهميّةً إكليزيولوجيّةً (كنسيّة) هو «أبناء الله – τέκνα Θεοῦ» (راجع ١: ١٢؛ ١١: ٥٢). بينما يُطبَّق تقليديًّا على إسرائيل (راجع تثنية ١٤: ١؛ هوشع ٢: ١)، كان هذا التّعبير في زمن العهد الجديد تعبيرًا متنازَعًا عليه بين الكنيسة وإسرائيل:

– «الّذين هم إسرائيليّون ولهم التّبنّي والمجد والعهود والإشتراع والعبادة والمواعيد» (رومة ٩: ٤)؛

– «أي ليس أولاد الجسد هم أولاد الله بل أولاد الموعد هم الّذين يُحسَبون نسله» (رومة ٩: ٨)؛

- «فأنتم كلُّكم أبناء الله بالإيمان بالمسيح يسوع» (غلاطية ٣: ٢٦)؛

- «فلستَ بعدُ عبدًا بل أنت ابنٌ، وإذا كنتَ ابنًا، فأنتَ وارثٌ لله بالمسيح» (غلاطية ٤: ٧).

يَعرض الإنجيل الرّابع هذا الجدل على نطاقٍ واسعٍ في الفصل ٨، حيث يسوع يدعو «اليهود»، الّذين يدّعون بأنّهم أبناء الله، «أبناء إبليس»: «أنتم من أبٍ هو إبليس» (٨: ٤٤). لقد تحوّل، ضمنًا، موضع هُويّة ابن الله الحقيقيّ من إسرائيل التّاريخيّ إلى يسوع، إبن الله. إنّ الإنجيل الرّابع يناقش مفهوم هذه «البُنُوّة الإلهيّة» من حيث الولادة الرّوحيّة بالعلاقة مع الإنجاب الجسديّ: «الّذين لا من دمٍ ولا من مشيئة لحمٍ ولا من مشيئة رجلٍ لكن من الله وُلِدوا» (١: ١٣)؛ «إنْ لم يولد أحدٌ من فوق فلا يقدر أن يُعاين ملكوت الله» (٣: ٣)؛ «إنْ لم يولَد أحدٌ من الماء والرّوح فلا يقدر أن يدخل ملكوت الله. إنّ المولود من الجسد هو جسدٌ والمولود من الرّوح هو روحٌ» (٣: ٥-٦).

إذًا، تستبدل استعارات «الشّركة» في الإنجيل الرّابع إسرائيل العهد القديم بالمؤمنين بيسوع، بغضّ النّظر عن هُويّتهم العِرقيّة والعنصريّة، أو حتّى بين الجنسَين. وعليه، فإنّ الإنجيليّ الرّابع يكشف شموليّة رسالة يسوع وتدبيره الخلاصيّ، دون التّضحيّة بالخصوصيّة التّاريخيّة. إنّ رسالة الإنجيل الرّابع الموجَّهة لليهود والمتنصرّين واضحةٌ. لم تعُدِ المسألة تخصّ مشاركة الآخرين لليهود في مكانتهم الخاصّة والمميَّزة مع الله، بل أضحت دعوةً لليهود للانضمام إلى الجماعة المسيحانيّة الّتي افتُتِحَت عبر رسالة يسوع، «المسيح ابن الله». لقد رفض اليهود، أي الأُمّة اليهوديّة المتمثّلة بالقيادة

الدّينيّة والسّياسيّة، المسيح، إلاّ أنّ الله أقامه من بين الأموات. تمتدّ آثار موت يسوع إلى العالم، من خلال تلاميذه، الّذين أُرسِلوا إلى العالم للقيام بأعمالٍ أعظم من تلك الّتي فعلها يسوع نفسه خلال خدمته الأرضيّة، وذلك بقوّة روحه القدّوس. **إنّ الزّمن الإسكاتولوجيّ قد بَزَغ، وعلى قرّاء الإنجيل الرّابع، بالتّالي، أن يؤمنوا أنّ المسيح ابن الله هو يسوع نفسه** (راجع ٢٠: ٣٠-٣١).

• ملخّص

– رأينا رغبة الإنجيليّ الرّابع في إظهار اهتمامه في كلٍّ من الدّور التّاريخيّ للتّلاميذ وعملهم التّمثيليّ للمؤمنين اللاّحقين، فيَنسب المسؤوليّة الأساسيّة للشّهادة لأولئك الّذين كانوا مع يسوع منذ الابتداء: «وأنتم أيضًا تشهدون لأنّكم معي منذ الابتداء» (١٥: ٢٧؛ راجع أيضًا ١ يوحنّا ١: ١-٤).

– يوحنّا هو معلّم المعاني المزدوجة والرّمزيّة والسُّخريّة. علاوةً على ذلك، يُفسِّر الإنجيل الرّابع التّاريخ كانعكاسٍ روحيٍّ عبر تفسير حياة يسوع ورسالته.

– يُطوِّر يوحنّا أيضًا مفهوم «إتّباع» يسوع والبقاء معه وفيه بحيث يتجاوز اختبار يسوع التّاريخيّ. يتأكّد هذا الاختبار ليسوع التّاريخيّ عن طريق الشّهادة الرّسوليّة: «والكلمة صار جسدًا وحلّ فينا وأبصرنا مجده» (١: ١٤)، بينما لا تتوقّف حالة الإيمان بيسوع المسيح بعدُ على رؤيته في الجسد: «لأنّك رأيتني (توما) آمنت، طوبى للّذين لم يرَوا وآمنوا» (٢٠: ٢٩)، ولا حتّى تعتمد أعمال المؤمن على هذا: «إنّ مَن يؤمن بي فالأعمال الّتي أعملها أنا يعملها هو أيضًا ويعمل

أفضل منها، لأنّي ماضٍ إلى أبي» (١٤: ١٢). وعليه، **فإنّ المسيح القائم، والممجَّد، والصّاعد لن يكون، في زمن الرّوح، خاضعًا للقيود الجسديّة، زمنيّةٍ كانت أم مكانيّة.**

– إنّ الدّرس المهمّ الّذي نتعلّمه من خلال بطرس في الإنجيل الرّابع هو أنّ «اتّباع» يسوع ممكنٌ فقط بعد الصّليب، وبالتّالي يلفت النّظر إلى الدّور الفريد والأساسيّ لموت يسوع على الصّليب: «قال له سمعان بطرس: يا سيِّد، إلى أين تذهب؟ أجاب يسوع: حيث أذهب أنا لا تقدر أن تتبعني الآن، لكنّك ستتبعني في ما بعد» (١٣: ٣٦–٣٧). أخيرًا، إنّ اتّباع بطرس ليسوع سيجعله يتقاسم معه نمط الموت ذاته (راجع ١٢: ٣٣؛ ٢١: ١٩). من هنا نلاحظ أنّ الإنجيليّ الرّابع يستبق الفكرة بأنّ الإخلاص في اتّباع يسوع ينطوي **بالضّرورة** على الاستشهاد.

– يُشدِّد الإنجيليّ الرّابع إذًا على أوليّة التّلاميذ في تاريخ الخلاص، معبِّرًا بذلك أنّ التّلاميذ هم ممثِّلو الجماعة المسيحانيّة بالعلاقة مع إسرائيل العهد القديم. فيسوع هو مسكن الله مع خاصّته (راجع ١: ١٤)؛ إنّه هيكل العهد الجديد الّذي يُحقِّق في ذاته هيكل العهد القديم (راجع ٢: ١٩)؛ إنّه رمز الحيّة في البريّة (راجع ٣: ١٤–١٥) والخبز السّماويّ (راجع ٦: ٢٩–٥٩). وهكذا نؤكّد أنّ الجماعة المسيحانيّة مدعوّةٌ، على مثال يسوع، إلى أن تُجسِّد في ذاتها استعارات العهد القديم المتعلِّقة بشعب الله.

– وفقًا للإنجيليّ الرّابع، إنّه **يسوع**، وليست الجماعة المسيحانيّة، الّذي يحلّ مكان إسرائيل العهد القديم: «أنا الكرمة الحقيقيّة» (١٥: ١).

- إنّ إسكاتولوجيّة الإنجيل الرّابع تُشير إلى أنّ الحصاد قد بدأ فعلاً بيسوع ويستمرّ من خلال جماعته المسيحانيّة: «إنّي أرسلتُكم لتحصدوا ما لم تتعبوا أنتم فيه، فإنّ آخرين تعبوا وأنتم دخلتم على تعبهم» (٤: ٣٨). فمن خلال جماعته، سيأتي المسيح بالثّمار (راجع ١٢: ٢٤-٢٦؛ الفصل ١٥).

- أخيرًا، تمتدّ التّلمذة إلى أبعد من حدود إسرائيل لتشمل بدورها كلّ مَن يؤمن بيسوع، بصرف النّظر عن أصل ذاك الإنسان العِرقيّ أو جنسه. الجميع مدعوّون إلى أن يكونوا تلاميذ المسيح: السّامريّون، اليهود، اليونانيّون، الرّجال والنّساء... هذا ما عبّر عنه ببلاغةٍ بولس الرّسول قائلاً: «لأنّكم أنتم الّذين بالمسيح اعتمدتم، المسيح قد لبستم. ليس يهوديٌّ ولا يونانيٌّ، ليس عبدٌ ولا حُرٌّ، ليس ذكرٌ ولا أنثى، فأنتم كلُّكم واحدٌ في المسيح يسوع» (غلاطية ٣: ٢٧-٢٨).

٢. مَهمّة التّلاميذ

يُشار إلى مَهمّة يسوع في الإنجيل الرّابع من حيث «الأعمال» (ἔργον/ἔργα) أو «الآيات» (σημεῖον/σημεῖα). يُشكِّل وصف مَهمّة التّلاميذ في الإنجيل مجالاً أكثر محدوديّة، لأنّ التّلاميذ لم يفعلوا أيّ «آياتٍ» في الإنجيل الرّابع، ولا توجد أيّة إشارةٍ «لعملهم»، ذلك لأنّ عملهم الوحيد يكمن في نظر يوحنّا في الإيمان بيسوع: «هذا هو عمل الله أن تؤمنوا بالّذي أرسله» (٦: ٢٩). هناك بعض المقاطع اليوحنّاويّة الّتي تَصِف مَهمّة التّلاميذ:

- أرسلهم يسوع للحصاد (٤: ٣٨)؛
- إختارهم يسوع لينطلقوا ويأتوا بثمرٍ (١٥: ١٦)؛

– ينبغي عليهم أن يشهدوا (١٥: ٢٧)؛

– لهم الحقّ في مغفرة خطايا الآخرين بتفويضٍ من الرّبّ القائم من بين الأموات (٢٠: ٢٣).

إنّ ما يُميِّز مَهمّة التّلاميذ في الإنجيل الرّابع يكمن في كونهم «مُرسَلين» (٤: ٣٨؛ ١٧: ١٨؛ ٢٠: ٢١)، «مُنطلقين» (١٥: ١٦)، وأخيرًا «تابعين» (الفصل ١٠؛ ١٢: ٢٦؛ ٢١: ١٥-٢٣).

أ. لا «آيات» من قِبَل التّلاميذ

إنّ حقيقة عدم وجود «آياتٍ» فعلها التّلاميذ في إنجيل يوحنّا تُشكِّل عنصرًا حاسمًا للاختلاف بين مهمّة يسوع وتلك الّتي لأتباعه؛ فالإنجيليّ الرّابع يُشدِّد على أنّ «الآيات» تقتصر بدورها على مرحلةٍ تاريخيّةٍ محدَّدةٍ قبل تمجيد يسوع. تُشكّل «الآيات» جزءًا فريدًا من حياة يسوع الأرضيّة، وهي، في الوقت عينه، عملٌ من أعمال الوحي الإلهيّ، إذ تكشف عن هُويّة يسوع ومُرسِله. بشفائه المخلَّع، وبفتحه عينَي الأعمى منذ مولده، وبإحيائه لعازر من الموت، أراد يسوع أن يُبرهن على دوره كممثِّلٍ أصيلٍ وحقيقيٍّ لمُرسِله الإلهيّ: «لأنّ الآب يُحِبّ الإبن ويُريه جميع ما يعمله وسيُريه أعمالاً أعظم من هذه لتتعجّبوا أنتم» (٥: ٢٠)؛ «وقد علمتُ أنّك تسمع لي في كلّ حين، لكن قلتُ هذا لأجل الجمع الواقف حولي ليؤمنوا أنّك أنت أرسلتني» (١١: ٤٢).

كما يرتبط عمل يسوع للآيات بشكلٍ ملحوظٍ في الإنجيل الرّابع بالتّوقُّعات الّتي تتعلّق بهُويّته المسيحانيّة، وهذا يُشير إلى البُعد الكريستولوجيّ للآيات (راجع ٧: ٣١؛

٢٠: ٣٠-٣١). قد يكون هذا أحد الأسباب الّتي تجعل الإنجيليّ الرّابع دقيقًا في عدم تطبيق عمل «الآيات» على تلاميذ يسوع: إنّه يجتهد في ألاّ يُنافس التّلاميذ دور يسوع، المسيح المُرسَل من الله؛ وبالتّالي، فإنّ الإنجيل الرّابع يحتفظ بحقّ فعل «الآيات» فقط ليسوع المسيح، بينما تُحتفَظ للآخرين مُهمّةُ الشّهادة ليسوع: **يوحنّا المعمدان** (راجع ١: ٧، ٨، ١٥، ٣٢، ٣٤؛ ٣: ٢٦؛ ٥: ٣٣)؛ **الرّوح** (راجع ١٥: ٢٦)؛ **التّلاميذ** (راجع ١٥: ٢٧؛ ١٩: ٣٥؛ ٢١: ٢٤)؛ الآب: «أنا هو الشّاهد لنفسي وأبي الّذي أرسلني يشهد لي» (٨: ١٨)؛ **الكتب المقدّسة**: «أنتم تبحثون في الكتب لأنّكم تحسبون أنّ لكم فيها حياةً أبديّةً، فهي الّتي تشهد لي» (٥: ٣٩)؛ **أعمال يسوع الخاصّة**: «وأمّا أنا فلي شهادةٌ أعظم من يوحنّا، لأنّ الأعمال الّتي أعطاني الآب أن أُتمِّمها، هذه الأعمال بعينها الّتي أنا أعملها تشهد لي بأنّ الآب قد أرسلني» (٥: ٣٦؛ راجع أيضًا ١٠: ٢٥).

ففي حين أنّ تعبير «الآيات» لا يتعلّق أبدًا بالتّلاميذ، ولا حتّى تعبير «العمل»، تَكشف آيةٌ يوحنّاويّةٌ (١٤: ١٢) أُفقًا جديدًا تُشير إلى «أعمالٍ أعظم» سيعملها التّلاميذ. فما هي هذه الأعمال؟

ب. أعمال المؤمن العظيمة (١٤: ١٢)

تُشير الآية اليوحنّاويّة (١٤: ١٢) إلى وعدٍ من يسوع يكشف أساس النّجاح التّبشيريّ للرّسل. إنّ وجود الآب في يسوع هو ديناميكيّ، وهو بدوره (أي يسوع) يُصِرّ على الانسجام التّامّ مع الآب؛ فما كان عمل يسوع إلاّ البداية، وهناك مستقبلٌ للتّلاميذ، رسالةٌ أوسع. فالأعمال الّتي على التّلاميذ فعلها لا تتعلّق

أبدًا بالكمّيّة (أي أن تكون أكثر من الأعمال الّتي صنعها يسوع)، أو بالبُعد الجغرافيّ الأوسع لرسالة التّلاميذ، بل إنّها **الإنتماء إلى يسوع**، من خلال عمل الرّوح الموصوف في ١٥: ٢٦–٢٧ و ١٦: ٧–١١. إنّ عمل التّلاميذ يبدأ بعد لحظة الاكتمال... إنّ أعمالهم هي أعظم ليس لأنّهم هم أنفسهم أعظم، ولكن بسبب أنّ عمل يسوع هو الآن مُكتملٌ؛ وفي هذا إشارةٌ واضحةٌ إلى أنّ **حصاد الثّمر بشكلٍ كاملٍ يتمّ فقط بعد تمجيد يسوع** (راجع ١٢: ٢٤، ٣١–٣٢؛ ١٧: ٢)، لأنّ يسوع وحده هو زارع المحصول الإسكاتولوجيّ (راجع ٤: ٣٤–٣٨) فضلاً عن أنّه حبّة الحنطة الّتي تقع في الأرض وتموت لتأتي بثمرٍ كثير (راجع ١٢: ٢٤). إنّه ليس سوى زمن الرّوح الّذي فيه سوف نرى التّلاميذ يُساعدون في جمع المحصول الإسكاتولوجيّ، وبالتّالي يعملون أعمالاً عظيمةً حتّى أكثر من يسوع.

علاوةً على ذلك، يذكر الإنجيليّ صيغةً مماثلةً في ٥: ٢٠، قد تكون منطلقًا لتفسير ١٤: ١٢، إذ بعد أن كشف يسوع سرَّ وحدته الفريدة مع الآب، وأنّ ما ينطق به أو يعمله إنّما هي أعمال الآب الحالّ فيه، أوضح لتلاميذه أنّ هذه الحقيقة هي إيمانٌ فعّالٌ يهبهم قوّةً فائقةً لممارسة أعمال المسيح السّاكن فيهم. فاستعلان الآب ومعرفته تقود المؤمن بدوره إلى اختبار أعمال الله فيه (راجع أفسس ٣: ١٧–٢٠؛ فيلبّي ٢: ١٣). إنّ الفعل المستخدم في الآية «يعمل» يُظهِر أنّ الأعمال المُعلَنة تنشأ عن التّآزر: فكما أنّ عمل الآب ظهر في يسوع النّاصريّ، كذلك عمل الابن سيظهر في «عمل» التّلاميذ؛ وهناك أمرٌ مطلوبٌ وأساسيٌّ يسبق وجود أيّة صلةٍ جوهريّةٍ بين يسوع والتّلاميذ: **إيمانهم** (١٤: ١٢). إنّ أعمال يسوع ذات قيمةٍ تعبيريّةٍ، لأنّها تكشف، بزوايا مختلفةٍ، العمل الوحيد للآب، هِبَة الحياة الأبديّة للعالم،

وتجعل الخلاص المقدَّم مرئيًّا، ممّا يُتيح الفرصة لكلّ مؤمنٍ لتحقيق مخطَّط الله (راجع ٩: ٤؛ ١١: ٤).

على الرّغم أو بالأحرى بسبب رحيله، سيُمارس التّلاميذ نشاطًا لا يتردّد يسوع في تحديده مع ذاك الّذي له، لا لأنّه يُمثِّل النّموذج، بل لأنّه هو نفسه سيكون الكاتب الحقيقيّ للأعمال الّتي سيُتمِّمها. إذا قرأتَ النّصّ بعنايةٍ، تُدرك أنّ الأعمال المطلوبة من المؤمن ليست هي نفسها الأعمال الّتي فعلها يسوع، لكنّها تلك الأعمال الّتي كان يسوع على وشك القيام بها (الفعل بصيغة الحاضر – ποιῶ) والّتي سيعملها (الفعل بصيغة المستقبل – ποιήσει): الممجَّد يستمرّ في العمل بجانب الآب (١٤: ١٢) لصالح العالم؛ فرسالته، الوشيكة الإتمام، ستأتي بثمارها كاملةً في الزّمان والمكان، وهذا يتمّ فقط من خلال عمل المؤمنين.

إنّ الإشارة إلى «ذهاب يسوع إلى الآب» (وهي أسلوب غير مباشر للإشارة إلى صليب يسوع وقيامته) في نهاية الآية تتضمّن بُعدًا إسكاتولوجيًّا: فمن خلال المؤمنين، يُكمِّل الإبن الهدف الكامن وراء العبور الفصحيّ، أي أن يجمع في وحدةٍ إلهيّةٍ جميع أبناء الله المتفرِّقين، فتفتتح، بالتّالي، أعمال المؤمن العظيمة زمنًا جديدًا مبنيًّا على إتمام يسوع للعمل الإلهيّ في حياته الأرضيّة: «أنا قد مجّدتُك على الأرض، قد أتممتُ العمل الّذي أعطيتني لأعمله» (١٧: ٤).

في هذا السّياق، ينبغي الإشارة أيضًا إلى دور الرّوح، الّذي يدلّ على استمراريّة الوحي والعمل بعد تمجيد يسوع. إنّ عمل الرّوح هذا يحفظ يسوع المسيح من كونه مجرّد فصلٍ ماضٍ من التّاريخ، وبذلك يتلاشى من الذّاكرة الحيّة إلى الأبد. تقوم رسالة الرّوح

على تعليم التّلاميذ، من ناحية، وتذكير أتباع يسوع بكلّ ما علّمهم إيّاه، من ناحيةٍ أخرى (راجع ١٤: ٢٦). من شأن الرّوح أيضًا أن يشهد ليسوع (راجع ١٥: ٢٦)، ويدين العالم، عبر التّلاميذ، في ما يتعلّق بخطيئة عدم الإيمان بيسوع، وافتقاره إلى البِرّ، ودينونته (راجع ١٦: ٨-١١). أخيرًا، يلعب الرّوح دور المرشد الّذي يُوجّه التّلاميذ إلى كلّ الحقيقة، ويُخبرهم بما يأتي (راجع ١٦: ١٣)، وبالتّالي يُمجّد يسوع بالأخذ ممّا هو له ويُعلنه للتّلاميذ (راجع ١٦: ١٤). **لذا، فإنّ العمل الأساسيّ للرّوح يكمن في ضمان استمراريّة عمل يسوع في تلاميذه، وبالتّالي، إضفاء الشّرعيّة على أتباعه كممثّلين للمسيح.**

إنّ قرار الإنجيليّ الرّابع إعطاء مساحاتٍ متساويةٍ للفصول ١-١٢ و١٣-٢١ قد تُفسّر رغبته في إظهار أنّ «الآيات» الّتي فعلها يسوع التّاريخيّ مستمرّةٌ في «الأعمال العظيمة» الّتي يُحقّقها يسوع الممجّد من خلال أتباعه؛ **وهكذا، فإنّ عمل الجماعة المسيحيّة ما هو إلاّ استمرارٌ لعمل المسيح الممجّد على الأرض.** لذا، فإنّنا نؤكّد أنّ «الأعمال العظيمة» في ١٤: ١٢ تُشير، تاليًا، إلى نشاط المؤمنين الرّوحيّ والرّسوليّ (التّبشيريّ)، الّذي من شأنه أن يُبنى على أساس العمل الخلاصيّ المُحقّق بيسوع (راجع ١٤: ١٢ت). الأهمّ من ذلك يكمن في أنّ الإنجيليّ الرّابع يلفت الانتباه إلى تمييزٍ لا ينفصم بين الأساس الّذي وضعه يسوع (راجع ١٢: ٢٤؛ ١٥: ١٣؛ ١٩: ٣٠) والعمل الّذي قام به تلاميذه. أتباع يسوع يحصدون ما لم يزرعوه (راجع ٤: ٣١-٣٨). إنّهم يستطيعون أن يفعلوا ذلك فقط لأنّ يسوع ذاهبٌ إلى الآب حيث سيُزوّد تلاميذه، من خلال جواب الصّلاة، بكلّ ما هو مطلوبٌ وضروريٌّ لتتميم الرّسالة: «ومهما سألتم باسمي فأنا أفعله ليتمجّد الآب في الإبن» (١٤: ١٣).

ت. إشاراتٌ أخرى لمُهمّة التّلاميذ

من اللّافت للنّظر ما يَرِد بقلّةٍ في الإنجيل الرّابع عن هدف رسالة التّلاميذ ومضمونها. يمكن الحصول على مزيدٍ من المعلومات من بعض المقاطع اليوحنّاويّة الّتي تُشير إلى النّشاط المحدَّد الّذي يتعيّن على التّلاميذ القيام به، تحت عنوان «**وديعة التّلاميذ**» (راجع ٤: ٣٦–٣٨؛ ١٥: ١٦، ٢٧؛ ٢٠: ٢١–٢٣).

إنّ كلا النّصَّين ٤: ٣٦–٣٨ و١٥: ٨، ١٦ يستخدمان استعاراتٍ زراعيّةً لوصف مُهمّة التّلاميذ، القائمة أساسًا على حمل «الثّمار الكثيرة» و«الشّهادة» ليسوع. إنّ عمل «الشّهادة» المستقبليّ للتّلاميذ يدخل في إطار «شهادة» الرّوح ليسوع، كما وردت في ١٥: ٢٦–٢٧. أمّا المصطلحات الّتي تتعلّق بموضوع «الشّهادة» في الإنجيل الرّابع، فهي التّاليّة:

(**١**) «**شهادة** – μαρτυρία» (راجع ١: ٧، ١٩؛ ٣: ٣٢، ٣٣؛ ٥: ٣١، ٣٢، ٣٤، ٣٦؛ ٨: ١٣، ١٤، ١٧؛ ٢١: ٢٤)؛ (**٢**) «**يشهد** – μαρτυρέω» (راجع ١: ٧، ١٥، ٣٢، ٣٤؛ ٢: ٢٤؛ ٣: ٢٦، ٢٨، ٣٢؛ ٤: ٣٩، ٤٤؛ ٥: ٣١، ٣٢، ٣٣، ٣٦، ٣٧، ٣٩؛ ٧: ٧؛ ٨: ١٣، ١٤، ١٨؛ ١٠: ٢٥؛ ١٢: ١٧؛ ١٣: ٢١؛ ١٥: ٢٦، ٢٧؛ ١٨: ٢٣، ٣٧؛ ٢١: ٢٤)؛ (**٣**) «**خبّر** – ἐξηγέομαι» (راجع ١: ١٨)؛ (**٤**) «**يُعلن، يُخبر** – ἀναγγέλλω» (راجع ٤: ٢٥؛ ٥: ١٥؛ ١٦: ١٣، ١٤، ١٥)؛ (**٥**) «**يُخبر** – ἀπαγγέλλω» (راجع ١٦: ٢٥).

إنّ عمل «الشّهادة» للتّلاميذ يتعلّق أيضًا بنشاط «الرّوح» الّذي يؤنِّب العالم على عدم الإيمان بيسوع (راجع ١٦: ٨–١١)؛ فبالشّهادة ليسوع، يدخل التّلاميذ

في واحدٍ من الأهداف الرّئيسيّة لرسالة يسوع، **إعطاء الحياة**. هذا واضحٌ في ٢٠: ٣٠-٣١ حيث يؤكّد الكاتب المُلهَم أنّ هدف إنجيله يكمن في أنّ كلّ مَن يؤمن بيسوع ينال حياةً باسمه.

٣. وديعة التّلاميذ

تتميّز حركة رسالة التّلاميذ في الإنجيل الرّابع بأسلوبَين أساسيَّين: «الاتّباع» و«الإرسال». سنتطرّق في نقاشنا أيضًا إلى التّعبير: «أقبل أو أتى إلى يسوع»، لأنّه يُشير في كثيرٍ من الأحيان في الإنجيل الرّابع إلى الأتباع المُحتَمَلين ليسوع. يُستَخدم هذا التّعبير بالمعنى الحرفيّ أو المجازيّ على حدٍّ سواء (راجع ١: ٣٩، ٤٦، ٤٧؛ ٦: ٣٥، ٣٧)؛ أمّا المقاطع الّتي تُطوّر مفهوم «الاتّباع» فهي: ١: ٣٧-٤٣؛ ٨: ١٢؛ الفصل ١٠؛ ١٢: ٢٤-٢٦؛ ١٣: ٣٦-٣٨؛ ٢١: ١٥-٢٣؛ المراجع الّتي تُشير إلى كون التّلاميذ «مُرسَلين» هي: ٤: ٣٨؛ ١٧: ١٨؛ ٢٠: ٢١. لهذه المقاطع ينبغي أن يُضاف أيضًا ١٥: ١٦، على الرّغم من أنّ التّعبير المستَخدم هو «يذهب أو ينطلق» (ὑπάγω)، وبخاصّةٍ أنّه يرتبط بالتّعبير «تعيين»، الّذي يتضمّن فكرة «التّفويض».

أ. «المجيء» إلى يسوع

قد يكون «المجيء» إلى يسوع بحسب الإنجيل الرّابع بداية «اتّباع» يسوع، كما هي الحال في ١: ٣٩، ٤٦، ٤٧، أو كما هو مفترض أن يكون في ٤: ٤٠. قد يُشير هذا «المجيء» إلى يسوع إلى زيارةٍ فضوليّةٍ (راجع ٣: ٢؛ ٧: ٥٠) أو قد تَصل

إلى حدّ الازدحام لرؤية يسوع في عملٍ ما (راجع ٣: ٢٦؛ ٤: ٣٠؛ ٦: ٥). ومع ذلك، فحين تأتي لترى يسوع، وفي جُعبتك أفكارٌ مُسبقةٌ عنه، فإنّ ذلك سيقودك حتمًا إلى الإيمان به: «فأتى إليه كثيرون وقالوا: إنّ يوحنّا لم يصنع آيةً، ولكنّ كلّ ما قاله يوحنّا عن هذا كان حقًّا» (١٠: ٤١). يرتبط تعبير «يُقبِل» إلى يسوع، على نحوٍ متزايد، بتعابيرَ أخرى تُضفي على التّعبير بأكمله نكهةً روحيّة، كما في الآيات اليوحنّاويّة التّاليّة[١٣]:

- «ولا تُريدون أن تُقبلوا إليّ لتكون لكم حياةٌ» (٥: ٤٠)؛
- «أنا خبز الحياة. مَن يُقبل إليّ فلن يجوع ومَن يؤمن بي فلن يعطش أبدًا» (٦: ٣٥)؛
- «كلُّ ما يُعطينيه الآب فهو يُقبل إليّ، ومَن يُقبل إليّ لا أُخرجه خارجًا» (٦: ٣٧)؛
- «ما من أحدٍ يقدر أن يُقبل إليّ ما لم يجتذبه الآب الّذي أرسلني، وأنا أُقيمه في اليوم الأخير. قد كُتِبَ في الأنبياء أنّهم يكونوا جميعًا متعلِّمين من الله. فكلُّ مَن سَمِعَ من الآب وتعلّم يُقبل إليّ» (٦: ٤٤-٤٥)؛
- «إنّه لا يقدر أحدٌ أن يُقبل إليّ إنْ لم يُعطَ له ذلك من أبي» (٦: ٦٥)؛
- «وفي اليوم الأخير العظيم من العيد كان يسوع واقفًا فصاح قائلاً: إنْ عَطِشَ أحدٌ فليأتِ إليّ ويشرب» (٧: ٣٧).

١٣) من الجدير بالذّكر أنّ جميع المراجع الّتي تُشير إلى «المجيء» إلى يسوع تَرِد في الفصول ١-١٢ من الإنجيل. هناك استثناءٌ جزئيٌّ فقط في ١٤: ٦، ويُشير إلى مجيء الشّعب إلى الآب من خلال يسوع.

ب. الاتّباع

على التّلاميذ أن يتبعوا يسوع (تمتدّ المراجع من ١: ٣٧–٤٣ حتّى ٢١: ١٩–٢١) وأن يؤمنوا به (راجع ٢: ١١؛ ٦: ٦٧–٦٨؛ ١٤: ١، ١١)؛ ومع ذلك، فإنّ الإنجيليّ الرّابع يُشدِّد، مرارًا وتكرارًا، على فشل التّلاميذ في الفهم؛ بالإضافة إلى ذلك، يوضِّح الإنجيليّ أنّ كثيرًا من التّلاميذ تراجعوا عن اتّباع يسوع (راجع ٦: ٦٠–٧١؛ ٨: ٣١–٣٣). قبل آلامه، تنبّأ يسوع تشتُّت تلاميذه المقرَّبين وتركهم له: «ها إنّها تأتي ساعةٌ وقد أتتِ الآن تتفرّقون فيها كلُّ واحدٍ إلى خاصّته وتتركوني وحدي» (١٦: ٣٢). في وقتٍ لاحقٍ فقط، ومن خلال «تذكير» الرّوح (راجع ١٤: ٢٦)، سيتذكّر التّلاميذ ما قاله يسوع لهم ويفهمون معنى كلماته: «هذه الأشياء لم يفهمها تلاميذه أوّلاً، ولكن، لمّا مُجِّد يسوع حينئذٍ تذكّروا، أنّ هذه إنّما كُتِبَت عنه، وأنّهم علموها له» (١٢: ١٦؛ راجع أيضًا ٢: ٢٢). وبالتّالي، فإنّ الاتّباع الأمين ليسوع، بحسب الإنجيليّ الرّابع، ممكنٌ فقط **بعد** صلب يسوع وتمجيده.

١. هناك حركةٌ من اتّباعٍ حرفيٍّ (راجع ١: ٣٧–٤٣) إلى آخَر مجازيٍّ (راجع ٨: ١٢) في الإنجيل الرّابع؛ ففي ٨: ١٢، مثلاً، يُشار إلى حقيقة أنّ مَن يتبع يسوع لن «يمشي في الظّلام» بل «يكون له نور الحياة» (أي، الخلاص؛ راجع ١٠: ٩–١٠). يسير المعنيان الحرفيّ والمجازيّ «للاتّباع»، جنبًا إلى جنبٍ، مع ذاك الرّوحيّ في ١٣: ٣٦–٣٨.

٢. هناك أيضًا **تلمذةٌ شموليّةٌ** تَعبُر من «اتّباع» التّلاميذ الأوّلين ليسوع التّاريخيّ (راجع ١: ٣٧–٤٣) إلى «اتّباعٍ» عامٍّ يطال كلّ مؤمنٍ به (راجع ٨: ١٢؛ الفصل ١٠).

٣. نجد أنّ مفهوم «التّلمذة» من خلال اتّباع يسوع في ١٢: ٢٦، ينطوي على فكرة «الموت» عن المصلحة الذّاتيّة (راجع أيضًا ١٥:٢١-٢٣). إنّ تحدّي يسوع، «إنْ كان أحدٌ يخدمني، فليتبعني»، مرتبطٌ ارتباطًا وثيقًا بوعدٍ، «وحيث أكون أنا فهناك يكون خادمي»: **في الحياة والموت، في الذّلّ والمجد، يحيا تلميذ يسوع، حياة الوحدة والشّركة، مع معلّمه**: «وإذا انطلقتُ وأعددتُ لكم مكانًا آتي أيضًا وآخذكم إليّ لتكونوا أنتم أيضًا حيث أكون أنا» (١٤: ٣)؛ «يا أبتِ، إنّ الّذين أعطيتني أريد أن يكونوا هم أيضًا معي حيث أنا» (١٧: ٢٤).

٤. من الجدير بالذّكر أنّ «اليونانيّين»[١٤] دنَوا أوّلاً من التّلاميذ (راجع ١٢: ٢٠-٢١)؛ فمن مَهمّة التّلاميذ، إذًا، التّوسُّط للوصول إلى يسوع، ولكن ليس الآن، إذ ينبغي أوّلاً أن تأتيَ ساعة تمجيد يسوع (راجع ١٢: ٢٣)، «فيرتفع» ابن الإنسان على الصّليب، جاذبًا إليه «الجميع» (راجع ١٢: ٣٢-٣٣). وبالتّالي يُمكن اتّخاذ ١٢: ٣٢ كإجابةٍ غير مباشرةٍ عن طلب اليونانيّين رؤية يسوع في ١٢: ٢١. إذا ما قرأنا هذا الحدث متّصلاً بِ ١٤: ١٢ و١٥: ١٦، فسيَظهر جليًّا أنّ «الاتّباع»، في ١٢: ٢٦، ما هو إلاّ اشتراك التّلاميذ في جذب «الجميع» إليه بعد أن يكون يسوع قد «ارتفع» على الصّليب.

١٤) إنّ لمجيء اليونانيّين إلى يسوع صدًى بطريقةٍ مُذهلةٍ في نشيد العبد المتألّم الرّابع: «هو ينضح أممًا كثيرةً (الوثنيّين) وأمامه يسدّ الملوك أفواههم، لأنّهم رأَوا ما لم يُخبَروا به وعاينوا ما لم يسمعوا به» (أشعيا ٥٢: ١٥).

٥. «إتّباع» يسوع يشتمل أيضًا على اتّباعه في موته، أي بعد تمجيده، وهذا بدوره ينطوي على نمط حياةٍ مُشبَعٍ بالتّضحيّة بالذّات والخدمة: «ليس لأحدٍ حبٌّ أعظم من أن يبذل نفسه عن أحبّائه» (١٥: ١٣؛ راجع أيضًا ١٣: ١-١٥). إنّ المثال الّذي ينبغي على كلّ مؤمنٍ الاقتداء به في نمط الحياة هذا هو يسوع نفسه، لأنّه هو «الطّريق» (راجع ١٤: ٦). يُشكِّل إتّباع يسوع بدوره شرطًا أساسيًّا لرسالة التّلميذ الفرد. كما يُمكننا أن نرى في الإنجيل الرّابع، أنّ التّلاميذ الّذين استمرُّوا في اتّباع يسوع، أُرسِلوا من قِبَله إلى العالم (راجع ١٧: ١٨؛ ٢٠: ٢١)، فكان لهم شرف الدّخول إلى عمل سيّدهم بُغية الاشتراك في الحصاد الإسكاتولوجيّ (راجع ٤: ٣٨). نصٌّ يوحنّاويٌّ آخَر يُشير إلى اشتراك التّلاميذ في رسالة يسوع المستقبليّة نحو «الخراف الأخرى» هو ١٠: ١٦.

٦. أخيرًا، في درسٍ آخَر عن «الاتّباع»، يستخدم الإنجيليّ الرّابع بطرس لتوضيح استحالة التّوصُّل إلى اتّباعٍ كافٍ ليسوع قبل تمجيده (راجع ١٣: ٣٦-٣٨). علاوةً على ذلك، يُشير المقطع النّهائيّ من الإنجيل (٢١: ١٥-٢٣) الّذي يضمّ بطرس والتّلميذ الحبيب إلى أنّ هناك طُرُقًا مختلفةً لاتّباع المسيح المصلوب والقائم، وأنّ هذا الاتّباع لا يستلزم بالضّرورة الموت الجسديّ.

ت. الإرسال

أ. الدّخول في عمل يسوع: الإرسال للحصاد (٤: ٣٨)

تُشكِّل هذه الآية اليوحنّاويّة جزءًا من المقطع الّذي يروي رسالة يسوع في السّامرة (راجع ٤: ١-٤٢). بالنّسبة ليسوع، كان اجتياز السّامرة تتميمًا

لمشيئة الله (راجع الفعل اليونانيّ «δεῖ – ينبغي» في ٤ : ٤). في كتابٍ تكون فيه مستويات المعنى متعدِّدةً كالإنجيل الرّابع، يُمكن للمرءِ أن يكتشف قاسمًا مشتركًا بين الإشارة إلى يسوع التَّعِب (راجع ٤ : ٦ «κεκοπιακώς») والإشارات المتنوّعة إلى عمل الآخرين، الّذي سيدخل التّلاميذ عليه (راجع ٤ : ٣٨ «κεκοπιάκατε, κεκοπιάκασιν, κόπον»).

إشارةٌ أخرى إلى الّذي أرسل يسوع في ٤ : ٣٤ (τοῦ πέμψαντός με) وإعلان يسوع المتعلِّق بإرساله تلاميذه في ٤: ٣٨ (ἐγὼ ἀπέστειλα ὑμᾶς). يسوع هو الإبن المُرسَل المُطيع الّذي «طعامه» يكمن في تتميم العمل المعيَّن له من قِبَل الّذي أرسله (راجع ٥: ٣٦؛ ٦: ٣٨؛ ٨: ٢٩؛ ٩: ٣–٤؛ ١٠: ٢٥، ٣٢، ٣٧–٣٨؛ ١٧: ٤)، وغالبًا ما يُقدِّم الإنجيل الرّابع الآب كعاملٍ في يسوع ومن خلاله أكثر من العمل بجانبه: «أمَا تؤمن **أنّي أنا في الآب وأنّ الآب فيّ؟** الكلام الّذي أُكلِّمكم به لا أتكلّم به من عندي، لكنّ الآب المُقيم فيّ هو يعمل الأعمال» (١٤: ١٠).

عودٌ على بدء نقول كما أنّ الآب أرسل يسوع إلى العالم، كذلك يسوع، أرسل بدوره التّلاميذ، حتّى بات عملهم قائمًا في أساسه على جانبٍ من جوانب عمله: التّجميع (الحصاد). هذا ما يَعنيه الاقتباس التّالي: «واحدٌ يزرع وآخَر يحصد» (٤: ٣٧). يسوع، في صلاته الكهنوتيّة عشيّة موته، تحدّث عن النّاس الّذين آمنوا به بناءً على كلام التّلاميذ (راجع ١٧: ٢٠)؛ وكان يسوع قد ذَكَرَ سابقًا في الصّلاة عينها أنّ التّلاميذ تلقّوا هذا الكلام منه، وهو كلام الآب نفسه (راجع ١٧: ٨). يشير نصّنا الحاليّ إلى أنّ التّلاميذ مدعوّون إلى أن يجمعوا الثّمار (راجع ٤: ٣٦)، أي البشر الّذين جذبهم الآب؛ وبذلك، يتمّ إدراج يوحنّا في خطّ الأنبياء الّذين غالبًا ما استخدموا

الفعل نفسه «συνάγειν - يجمع»، على النّحو التّالي:

- «وينصب رايةً للأُمم ويجمع المنفيّين من إسرائيل ويجمع المشتّتين من يهوذا من أربعة أطراف الأرض» (أشعيا ١١: ١٢)؛ «... وأنتم تُجمَعون واحدًا فواحدًا يا بني إسرائيل» (أشعيا ٢٧: ١٢)؛

- «وأجمع بقيّة غنمي من جميع الأراضي الّتي طردتها إليها وأردُّها إلى مراتعها فتُثمر وتَكثُر» (إرميا ٢٣: ٣)؛

- «فقُل هكذا قال السّيّد الرّبّ: إنّي سأجمعكم من بين الشّعوب...» (حزقيال ١١: ١٧)؛ «أرضى عنكم كرائحة سرورٍ إذ أُخرجكم من بين الشّعوب وأجمعكم من الأراضي الّتي شتّتكم فيها وأتقدّس فيكم على عيون الأُمم» (حزقيال ٢٠: ٤١)؛ «هكذا قال السّيّد الرّبّ: إنّي حين أجمع آل إسرائيل من بين الشّعوب...» (حزقيال ٢٨: ٢٥)؛ «وأُخرجها من بين الشّعوب وأجمعها من الأراضي وآتي بها إلى أرضها وأرعاها على جبال إسرائيل...» (حزقيال ٣٤: ١٣)؛

- «إجمع كلّ أسباط يعقوب واتّخِذها ميراثًا لك كما كانت في البدء» (سيراخ ٣٦: ١٠).

من هنا نؤكّد أنّ التّلاميذ ليسوا المسبِّب الأوّل في خلاص البعض أو إيمانهم، بل إنّه الآب الّذي أرسل ابنه الوحيد خلاصًا للعالم، وما التّلاميذ سوى أداةٍ طيّعةٍ في استمراريّة هذا المشروع الخلاصيّ في هذا العالم؛ لذا، فإنّ عملهم الأساسيّ يكمن في أن يكون لكلمة يسوع تأثيرٌ فعّالٌ وقويٌّ في العالم.

ختامًا نقول: إنّ رؤية يسوع، كما ظهرت في ٤: ٣٨، تشتمل على زمن الإثمار الآتي، الّذي فيه يجذب يسوع، بما أنّه الرّبّ الممجَّد، جميع النّاس إليه (١٢: ٣٢)، ويستمرّ في صُنع الأعمال العظيمة من خلال تلاميذه (١٤: ١٢) ويجمع، في قطيعٍ واحدٍ، كلّ المؤمنين، على مثال الوَحدة الكيانيّة القائمة بينه وبين الآب (١٠: ١٦؛ ١٧: ٢١). وبالفعل، يُمكن القول إنّ ما يُشار إليه في ٤: ٣٨ لكون التّلاميذ أُرسلوا ليحصدوا، يتحقّق في ١٥: ١٦ من خلال الانطلاقة الرّسوليّة، الّتي تهدف بدورها إلى «حمل الثّمار».

ب٬. التّفويض (١٥: ١٦)

على الرّغم من أنّ مقطع يوحنّا ١٥: ١٦ لا يستخدم تعبير «أرسل» بشكلٍ مباشرٍ، إلاّ أنّ هناك سببَين يجعلان من المناسب أن يندرج المقطع الحاليّ ضمن المراجع الّتي تُشير إلى «إرسال» التّلاميذ في الإنجيل الرّابع: أوّلاً، تُستَخدم عبارتا «أرسل» و»دخل» في بعض الأحيان بطريقةٍ متوازيةٍ في الإنجيل الرّابع، وبخاصّةٍ في ٤: ٣٨ («أرسل – ἀπέστειλα»، «دخلتم– εἰσεληλύθατε»). ثانيًا، تُؤكّد كلمة «أقام – ἔθηκα» مفهوم «التّفويض»، وبخاصّةٍ أنّها مرتبطةٌ بتعبير «ὑπάγειν – ينطلق» – وهو فعلٌ من الأفعال الّتي تُشير إلى رسالة التّلاميذ للعالم.

إنّ فكرة «التّفويض» هي فكرةٌ كتابيّةٌ بامتياز، بحيث إنّها وردت، مرارًا وتكرارًا، في كتابات العهد القديم والجديد على حدٍّ سواء، وهي تُشير دومًا إلى «تفويضٍ إلهيٍّ» يُعطى لأشخاصٍ تمّ اختيارهم من قِبَل الله (في العهد القديم) أو يسوع (في العهد الجديد): اللّاويّون: «وكلّم الرّبّ موسى قائلاً... وتُقدِّم اللّاويّين بين يدي

الرّبّ فيضع بنو إسرائيل أيديَهم عليهم» (عدد ٨: ٥، ١٠)؛ **يشوع:** «فقال الرّبّ لموسى: خذ يشوع بن نون فإنّه رجلٌ فيه روحٌ وضَعْ يدك عليه» (عدد ٢٧: ١٨)؛ «**العبد المتألِّم» في النّشيد الثّاني:** «إنّي قد جعلتُكَ نورًا للأُمم لتكون خلاصي إلى أقاصي الأرض» (أشعيا ٤٩: ٦؛ راجع أيضًا أعمال ١٣: ٤٧)؛ **أساقفة أفسس:** «فاحذروا لأنفسكم ولجميع الرّعيّة الّتي أقامكم الرّوح القدس فيها أساقفةً لترَعَوا كنيسة الله الّتي اقتناها بدمه» (أعمال ٢٠: ٢٨)؛ **أعضاء الجسد:** «والحال أنّ الله قد وضع الأعضاء كلًّا منها في الجسد كيف شاء» (١ كورنثس ١٢: ١٨)؛ **الرّسل، الأنبياء والمعلّمون:** «وقد وضع الله في الكنيسة الرُّسل أوّلاً والأنبياء ثانيًا والمعلِّمين ثالثًا» (١ كورنثس ١٢: ٢٨)؛ **بولس الرّسول:** «وأشكر المسيح يسوع ربَّنا الّذي قوّاني واعتبرني أمينًا فجعلني للخدمة» (١ تيموثاوس ١: ١٢)، «الّذي لأجله جُعِلتُ أنا كارزًا ورسولاً ومعلِّمًا للأُمم» (٢ تيموثاوس ١: ١١).

إنّ الثّمار الّتي أشارت إليها الآية اليوحنّاويّة (١٥: ١٦) تنبثق، في المقام الأوّل، من الرّسالة، من الخدمة المحدَّدة الّتي أُرسل التّلاميذ لأجلها؛ إذًا، إنّ الثّمار، باختصارٍ، هم المُهتَدون الجُدد؛ أمّا في ما يتعلّق بالشّقّ الثّاني من الآية «ويدوم ثمركم»، فهذا يُشير بوضوحٍ إلى طبيعة الثّمار الّتي يحملها المسيحيّون، إذ يتّسم المؤمن المحبّ بالاستمراريّة في كلّ شيء: استمراريّة في التّمتُّع بكلمة الله (١٥: ٧)، في محبّة المسيح (١٥: ٩-١٠)، في فرح المسيح (١٥: ١١)، وأخيرًا في الإثمار (١٥: ١٦). تُذكّرنا «الثّمار» بثمار الإنسان، الّذي في شريعة الرّبّ مسرّتُه، فيكون «كالشّجر المغروس على مجاري المياه، الّذي يؤتي ثمره في أوانه وورقه لا يَذبُل، وكلّ ما يصنعه ينجح» (مزمور ١: ٣)؛ فمن الواضح، إذًا، أنّ تشديد الإنجيليّ الرّابع على التّبشير والرّسالة هو حقًّا مركزيٌّ وأساسيٌّ في العمل الكنسيّ والرّعويّ والإنسانيّ.

ت٦. مُرسَلون إلى العالم على مثال يسوع المـُرسَل (١٧: ١٨؛ ٢٠: ٢١)

يجمع نصَّا «الإرسال» الرّئيسيَّان (١٧: ١٨؛ ٢٠: ٢١) قاسمًا مشتركًا من ناحيّة الطّريقة الّتي تمّ من خلالها «إرسال» التّلاميذ، من جهةٍ، ويسوع، من جهةٍ أخرى. إنّ الظّرف «كما» (καθώς)، الّذي يَرِد في كِلا النّصَّين المذكورين أعلاه، موجودٌ في الإنجيل الرّابع أيضًا في ١: ٢٣؛ ٣: ١٤؛ ٥: ٢٣، ٣٠؛ ٦: ٣١، ٥٧، ٥٨؛ ٧: ٣٨؛ ٨: ٢٨؛ ١٠: ١٥؛ ١٢: ١٤، ٥٠؛ ١٣: ١٥، ٣٣، ٣٤؛ ١٤: ٢٧، ٣١؛ ١٥: ٤، ٩، ١٠، ١٢؛ ١٧: ٢، ١١، ١٤، ١٦، ٢١، ٢٣؛ وأخيرًا ١٩: ٤٠. يكشف الظّرف καθώς طريق العلاقة الّتي رسمها الإنجيل الرّابع بين يسوع والتّلاميذ، إذ يتضمّن، علاوةً على موضوع «الإرسال» في ١٧: ١٨ و٢٠: ٢١، مواضيعَ أخرى جوهريّةً وفقًا للاهوت الإنجيل اليوحنّاويّ، نذكر منها: **الحياة** (٦: ٥٧)، **المعرفة** (١٠: ١٤-١٥)، **المحبّة** (١٥: ٩؛ ١٧: ٢٣)، **والوحدة** (١٧: ٢٢).

هناك معانٍ أخرى للظّرف καθώς تتّضح من الأمثلة اليوحنّاويّة التّاليّة: «لأنّي أعطيتكم قُدوةً حتّى إنّكم **كما صنعتُ أنا بكم** تصنعون أنتم أيضًا» (١٣: ١٥)، «إنّي أُعطيكم وصيّةً جديدةً أن يُحبّ بعضكم بعضًا، وأن يكون حبُّكم بعضكم لبعضٍ **كما أحببتكم أنا**» (١٣: ٣٤)؛ لذا، فإنّ هذا الظّرف يعني **التّمثُّل والتّشبُّه بالرّبّ والاقتداء به، لنصير بدورنا على مِثاله**؛ إنّه، إذًا، **صيرورة الإنسان من حالةٍ أرضيّةٍ بشريّةٍ إلى حالةٍ أخرى سماويّةٍ إلهيّة**: **«إنّهم ليسوا من العالم كما أنّي لستُ من العالم»** (١٧: ١٦)، وهذا هو الهدف الكامن وراء التّدبير الخلاصيّ برمّته: **«التّألُّه»**، **«ابن الله يصير ابن الإنسان ليتسنّى للإنسان، بدوره، أن يصير ابن الله»** (القدّيس إيريناوس).

وعليه، فإنّ المسيح، آدم الجديد، هو الإنسان الكامل الّذي رسم صورة الله في الإنسان (راجع كولسّي ١: ١٥)؛ فعندما يصبح المسيحيّ مُطابقًا لصورة الابن، يُصبح بدوره على مثال المسيح إنسانًا كاملاً، أي إبنًا لله على صورته وشِبهه. إنّ الدّعوة الحقيقيّة لكلّ إنسانٍ هي إذًا أن يصير على مثال تلك الصّورة، وأن يُحقّق الشَّبه بينه وبين الله. ولكنّه لا يستطيع أن يصل إلى ذلك إلاّ بالمشاركة في حياة الله، لأنّ الله يريد أن يَهَبَ لنا حياته، وقد أشركنا في ألوهته؛ إنّ تحقيق هذه الدّعوة يتطلّب التّعرُّف إلى وجه الله الحقيقيّ، وهذا ما كشفه لنا يسوع المسيح، لذلك لن يجد الإنسان معنًى لحياته إلاّ بالتّعرُّف على يسوع المسيح، الّذي يُشكّل الكنز الحقيقيّ في الحياة، وتبدو، بدورها، كلّ كنوز الأرض باهتةً أمامه.

وبالتّالي، فإنّ المعيار الأساسيّ لتفسير معنى καθώς يقتضي إدراك القاسم المشترك بين الفقرتَين اللّتين تَصِل بينهما: ففي ١٥: ٩، إنّها تُشير إلى نوعيّة المحبّة وطبيعتها الّتي يُظهرها يسوع لتلاميذه؛ وفي ١٧: ١٨، إنّها تُبيِّن طريقة إرسال يسوع لتلاميذه: إنّه يُميِّزهم عن غيرهم بمنحهم الرّوح (راجع ١: ٢٣-٣٤؛ ٣: ٣٤) وإرسالهم؛ وفي ٢٠: ٢١، إنّها تؤكّد علاقة المُرسِل/المُرسَل بين الآب ويسوع، والّتي ستُكوِّن، ابتداءً من الآن، العلاقة بين يسوع وتلاميذه.

• الإرسال (١٧: ١٨)

يُشير هذا النّصّ إلى طريقة الإرسال، بمعنى أنّه يتوجّب على التّلاميذ أن يُفصَلوا عن العالم أوّلاً، ليُرسَلوا من جديدٍ إليه، وهم أنقياء (راجع ١٣: ٨-١٤؛ ١٥: ٣)، وفي الوقت عينه، مُكرّسون لرسالةٍ إلهيّةٍ، كما ورد في سفر الخروج: «وتُلبِس ذلك

هارون أخاك وبنيه معه، وتمسحهم وتُكرِّسهم وتُقدِّسهم ليكونوا لي كهنةً» (٢٨: ٤١)؛ يتطلّب تحقيق هذا الأمر انفصالاً روحيًّا عن العالم لإدراكٍ أعمق لوحي الله في المسيح، فضلاً عن التّفاني في خدمته؛ بيد أنّ ثمّة اختلافٍ جوهريٍّ بين تكريس يسوع وتكريس التّلاميذ، من ناحيّة أنّ تكريسه كان يهدف إلى التّضحيّة بنفسه بالنّيابة عن الآخرين، بمعنى أنّه كان ذا طابعٍ كَفَّاريٍّ (ὑπέρ في ١٠: ١١، ١٥–١٨؛ ١١: ٥١–٥٢؛ ١٥: ١٣؛ ١٧: ١٩)؛ وبالتّالي، ستكون تضحيّة يسوع هذه مصدر إلهامٍ مستمرٍّ للتّلاميذ في الحفاظ على انفصالهم عن العالم وإخلاصهم لرسالتهم.

إنّ تكرار الفعل «أرسل – ἀποστέλλω» (٧ مرّاتٍ في الفصل ١٧ من الإنجيل) يُشير بوضوحٍ إلى أنّ يوحنّا ١٧ يُشكِّل النّقطة المحوريّة لموضوع «الإرسال» في الإنجيل الرّابع. ماضيًا، تمّم يسوع رسالته المُوكَلة إليه من الآب (راجع ١٧: ٤)؛ مستقبلاً، رسالة التّلاميذ على وشك أن تبدأ بتفويضٍ من يسوع الحيّ والقائم من بين الأموات؛ أمّا المكان الّذي ينبغي على التّلاميذ العمل فيه فهو «العالم – κόσμος»، وهو تعبيرٌ يَرِد ١١ مرّةً في الفصل ١٧، من أصل ٣٦ مرّةً وُجِدَت في الإنجيل بأكمله. مع أنّ «العالم» يتّسم بكونه مكانًا مُظلمًا نتيجة تغرُّبه عن الله، إلاّ أنّه يبقى، مع ذلك، موضوع حُبّه (راجع ٣: ١٦). يُصوِّر الإنجيل الرّابع «العالم» في حالةٍ من العبوديّة للخطيئة (راجع ٨: ٢٣–٢٤، ٣٤–٤٧؛ ١٥: ٢٢؛ ١٦: ٨–١١)؛ رازحًا تحت الدّينونة (راجع ٣: ١٨) وغضب الله (راجع ٣: ٣٦)؛ قابعًا في حالة «العمى» الرّوحيّ (راجع ٩: ٣٩–٤١)؛ لا يملك البصيرة في ما يتعلّق بموضوع العبادة الحقّة لله (راجع ٤: ٢٤)؛ مُبغضًا يسوع وأتباعه، ورافضًا الحقّ (راجع ١: ١٠–١١؛ ١٥: ١٨–٢٥؛ ١٦: ٨–١١).

في حين أنّ الإنجيل الرّابع يُشدِّد على حاجة المؤمنين إلى أن يُحِبّ المؤمنون بعضهم البعض وأن يكونوا، في الوقت عينه، متّحدين؛ لا تُشكّل هذه الصّفات غاياتٍ بحدّ ذاتها، بل إنّها متطلّباتٌ أساسيّةٌ لرسالة الكنيسة في العالم ولأجله؛ من هنا نؤكّد على أنّ غاية رسالة الكنيسة هي، أوّلاً وقبل كلّ شيء، روحيّةٌ أكثر منها جغرافيّة.

يعيش قارئو الإنجيل في دائرةٍ متنافيّةٍ تتطلّب بدورها **اختيارًا مصيريًّا** بين خيارَين لا ثالث لهما: دائرة العالم، بكلّ ما فيها من تمرُّدٍ وضَياع؛ ودائرة تلاميذ يسوع، بكلّ ما فيها من امتيازاتٍ: إكتشاف الذّات على ضوء العلاقة مع المسيح الكلمة/النّور، الانتداب للرّسالة، والتّكريس الإلهيّ؛ لا يُمكن، بالتّالي، أن يكون هناك خيارٌ ثالثٌ وسطيٌّ بين هاتين الدّائرتَين، لِما جاء في رؤيا يوحنّا، على لسان الشّاهد الأمين الصّادق، في ما يتعلّق بكنيسة اللّاذقيّة: «إنّي أعلم بأعمالك أنّك لستَ باردًا ولا حارًّا، وليتَك كنتَ باردًا أو حارًّا. ولكن بما أنّكَ **فاترٌ** لا حارٌّ ولا باردٌ فقد أوشكتُ أن أتقيّأكَ من فمي» (رؤيا ٣: ١٥-١٦).

تنطبق النّصوص اليوحنّاويّة (١٥: ١٦؛ ١٧: ١٨، ٢٠) على **جميع التّلاميذ**، إذ لا يُمكن أن تُحصَر بالإثني عشر فقط، وتفترض، بالتّالي، **كهنوت جميع المؤمنين؛** فلقد أُعطِيَ التّلاميذ الأوّلون رسالةً ينبغي على جميع المسيحيّين إتمامها. إنّ تفويض التّلاميذ هو باسم الكنيسة جمعاء لرسالتها في العالم، ذلك أنّ التّلاميذ، والكنيسة الّتي تتبعهم، يحملون رسالة المسيح، الّتي تلقّاها من الآب؛ وبالتّالي، يظهر التّلاميذ «μαθηταί» الممثّلين الرّسميّين لجماعة المؤمنين.

• أُسُس رسالة التّلاميذ: المحبّة والوحدة

كما هو الحال مع إرسال التّلاميذ (راجع ١٧: ١٨؛ ٢٠: ٢١)، يُنشئ الإنجيل الرّابع صلاتٍ مع علاقة يسوع مع الآب في ما يتعلّق بالمحبّة (راجع ١٣: ٣٤؛ ١٥: ١٢) والوحدة (راجع ١٧: ١١، ٢٢-٢٣)؛ من الملاحظ جدًّا أنّ الظّرف «καθώς» مستخدمٌ في جميع الأمثلة المذكورة). يبدو أنّ الإنجيل الرّابع من خلال رسالته اللّاهوتيّة، يهتمّ بإبراز وحدة التّلاميذ ومحبّتهم المتبادلة كأُسُسٍ هامّةٍ لرسالتهم، ذلك أنّ التّلاميذ مدعوّون، من يسوع، إلى عيش علاقة الوحدة والمحبّة القائمة بين الآب والإبن؛ زِد على ذلك أنّ التّلاميذ مدعوّون أيضًا إلى أن يتّخذوا من علاقة يسوع مع الآب، علاقة المُرسِل والمُرسَل، مثالاً يُحتذى به لرسالتهم؛ يضع هذا الاشتراك الرّوحيّ رسالة التّلاميذ بأكملها في فَلَك المحبّة والوحدة بين الآب والإبن؛ لذلك ستُكوّن محبّة التّلاميذ لبعضهم البعض، ووحدتهم مع بعضهم البعض، الأساس لإظهارهم يسوع، من جديدٍ، إلى العالم (راجع ١٣: ٣٥؛ ١٧: ٢١، ٢٣)؛ الأهمّ من ذلك كلّه يكمن في أنّ المحبّة والوحدة لا تُكوّنان بحدّ ذاتهما الرّسالة، وكأنّ الكشف عن طبيعة الله كان مجرّد مُكوِّنٍ وجوديٍّ لإيمان الجماعة؛ إنّ التّلاميذ مُرسَلون إلى العالم، وفي جُعبتهم رسالةٌ للإعلان (راجع ١٧: ٢٠)، ومُكلّفون، في الوقت عينه، بغفران الخطايا (راجع ٢٠: ٢٣)؛ بينما تُعتبر المحبّة والوحدة أساسًا متينًا للرّسالة، إلاّ أنّه ينبغي أن تكونا مصحوبتَين «**بانطلاقةٍ» فعليّةٍ** (راجع ١٥: ١٦) تهدف إلى الإتيان بالثّمار المرجوّة؛ هناك «أعمالٌ» ينبغي القيام بها (راجع ١٤: ١٢)؛ يجب على التّلاميذ أيضًا أن «يشهدوا» بالتّزامن مع الرّوح (راجع ١٥: ٢٦-٢٧).

ليست الذّات أو العالم أساس محبّة التّلاميذ، بل يسوع فقط، لأنّه يُجسِّد في شخصه محبّة الله اللّامتناهيّة للإنسان: «مَن أحبّ نفسه فإنّه يُهلكها، ومَن أبغض نفسه في هذا العالم فإنّه يحفظها لحياةٍ أبديّة...» (١٢: ٢٥-٢٦)؛ إنّ المطلوب من التّلاميذ، ومن بعدهم المؤمنين، أن يُجسِّدوا في حياتهم محبّة يسوع (راجع ١٣: ١-٣)، فيكونوا بدورهم «نفحة المسيح الطّيّبة» (٢ كورنثس ٢: ١٥): **فمحبّة يسوع لتلاميذه ستكون الأساس والنّموذج لمحبّتهم لبعضهم البعض** (راجع ١٣: ٣٤-٣٥)؛ هذه المحبّة، بدورها، ستُشكِّل، جنبًا إلى جنبٍ مع وحدتهم، القاعدة الذّهبيّة لرسالتهم في العالم؛ ومع ذلك، كما سبق ذكره، وكما هي الحال مع يسوع نفسه (راجع ٣: ١٦)، ينبغي لمحبّتهم أن تكون مصحوبةً بأعمالٍ (راجع ١٤: ١٢)، وانطلاقةٍ تبشيريّةٍ (راجع ١٥: ١٦)، وشهادةٍ حيّةٍ مُعاشةٍ (راجع ١٥: ٢٧)، وأخيرًا بإعلان البُشرى السّارّة (راجع ١٧: ٢٠؛ ٢٠: ٢٣).

• أُرسلوا كما أُرسل يسوع (٢٠: ٢١)

في الوقت الّذي يُحدِّد فيه نصّ يوحنّا ١٧: ١٨، رسالة التّلاميذ في سياق كونهم مُرسَلين إلى العالم، يبني نصّ يوحنّا ٢٠: ٢١ على هذا المرجع، مُشدِّدًا أكثر على إستثمار يسوع للتّلاميذ من خلال إعطائهم السّلطة والشّرعيّة.عند التّعامل مع رسالة يسوع، يتمّ تحديد أربع خصائص أساسيّة للمُرسَل: (**١**) أن يُمجِّد مُرسِله؛ (**٢**) أن يعمل مشيئة الّذي أرسله وأعماله، وأن يتكلّم بكلامه؛ (**٣**) أن يشهد للّذي أرسله ويُمثّله بدقّةٍ؛ (**٤**) وأن يكون على معرفةٍ وثيقةٍ بمُرسِله، وأن يحيا معه في علاقةٍ حميمة؛ كلّ هذه الجوانب المطلوبة من المُرسَل، تنطبق بدورها على التّلاميذ المُرسَلين من قِبَل يسوع.

من هنا نُشير إلى أنّ إرسال الآب للابن يجعل من الأخير نموذجًا وقاعدةً لإرسال الابن للتّلاميذ على حدٍّ سواء، إذ إنّ رسالتهم تكمن في مواصلة رسالة الابن؛ وهذا يتطلّب أن يكون الابن حاضرًا معهم أثناء رسالتهم، تمامًا كما كان الآب حاضرًا مع يسوع أثناء رسالته الأرضيّة؛ هذا الكلام يدلّ على أنّ حضور يسوع، فيهم ومن خلالهم، سيكون بواسطة الرّوح القدس، الّذي يُمكِّنهم من تحقيق رسالتهم في العالم.

تُشدِّد هذه الحقيقة على حاجة التّلاميذ المستديمة في الاتّكال والطّاعة ليسوع، مُرسِلهم: **لقد أصبح الآن، على مثال الآب، المُرسِل؛ وبالتّالي، ينبغي على التّلاميذ أن يُمجِّدوا يسوع ويُجلّوه من خلال مسلكيّتهم الحياتيّة** (وكذلك للآب أيضًا؛ راجع ١٥: ٨، ١٦)؛ **أن يعملوا مشيئة يسوع، ويُتمِّموا أعماله، وينطقوا بكلامه؛ وبهذا، هم مدعوّون إلى الشّهادة ليسوع وتمثيله بدقّةٍ؛ أن يعرفوا يسوع بعُمقٍ، ويعيشوا في علاقةٍ وثيقةٍ معه، ويأخذوه أنموذجًا حيًّا لهم** (محبّته، بذله لذاته، تواضعه...). **بكلمةٍ واحدةٍ، ينبغي أن تكون علاقتهم بمُرسِلهم، يسوع، انعكاسًا لعلاقة يسوع بمُرسِله، الآب.**

من هنا نشير إلى نتيجتَين هامَّتَين لنصّ ٢٠: ٢١: (١) أنّ رسالة الابن لا تنتهي «بارتفاعه» على الصّليب، بل ستستمرّ وتكون فعّالةً ومؤثِّرة؛ وهكذا، فإنّ التّلاميذ مكلَّفون بالاستمرار في عمل المسيح، لا في بدء عملٍ جديدٍ؛ (٢) أنّ إعطاء الرّوح متّصلٌ برسالة التّلاميذ (راجع ١٥: ٢٦-٢٧؛ ١٦: ٨-١١؛ ٢٠: ٢٢)، لذلك يجب أن يُفسَّر نصّ ٢٠: ٢٣ على ضوء نصّ ٢٠: ٢١-٢٢؛ يُشكِّل الرّوح عنصرًا حاسمًا في الاستمراريّة بين خدمة يسوع الأرضيّ/التّاريخيّ في الجسد وعمل يسوع

الممجَّد من خلال التّلاميذ: رابطًا تلاميذه باستمراريّة رسالته في العالم، يُعطي الرّبّ القائم من بين الأموات الرّوح، الّذي من خلاله تكتمل خدمة يسوع في الجسد، بقوّة الله. ممّا لا شكّ فيه أنّ الانجيليّ الرّابع يُقدِّم موضوع «إرسال الرّوح» باعتباره مفتاح رسالة التّلاميذ، الّذي يُشكِّل واحدًا من مواضيع الخطاب الوداعيّ الكبرى (فصول ١٣-١٧)؛ من هنا، ينبغي أن يُرى تكريس التّلاميذ بالحقّ، أي كلمة الله، من خلال الرّوح، الّذي يُسمَّى مرارًا في الإنجيل الرّابع «روح الحقّ» (راجع ١٤: ١٧؛ ١٥: ٢٦؛ ١٦: ١٣)؛ فإرسال الرّوح، إذًا، مرتبطٌ ارتباطًا وثيقًا برسالة المسيح ورسالة التّلاميذ على حدٍّ سواء، ذلك أنّ عمل الرّوح يخضع كليًّا لعمل المسيح، من جهة، ويرتبط بدقّةٍ بحياة التّلاميذ الإيمانيّة في المسيح، من جهةٍ أخرى.

إنّ جوهر التّكليف المقدّس يكمن في إعطاء يسوع تلاميذه سلطان حلّ الخطايا أو الاحتفاظ بها (راجع ٢٠: ٢٣)؛ يسوع هو وحده «حمل الله الرّافع خطيئة العالم» (١: ٢٩)؛ ومع ذلك، فإنّ التّلاميذ يتمتّعون بامتياز الغفران، الّذي أصبح ممكنًا بفضل موت يسوع فداءً عن الآخرين؛ إلاّ أنّ هذا السّلطان المُعطى للتّلاميذ يُرى في سياق تقبُّل الإنسان أو رفضه ليسوع على أنّه المسيح، أي في سياق الإيمان بيسوع أو عدمه (راجع ١: ٥، ١١؛ ٢: ٢٤-٢٥؛ ٣: ١٩-٢١)؛ كلّ هذا يشير إلى تناغمٍ مع الحدث الّذي يسبق التّفويض، أي تقبُّل التّلاميذ الوشيك للرّوح (راجع ٢٠: ٢٢) الّذي وُصِفَت رسالته في ١٦: ٨-١١ على أنّها إدانةٌ للعالم على عدم إيمانه بيسوع. يبدو أنّ هناك أيضًا ترابطًا مع رسالة يسوع، الّتي يعرضها الإنجيل الرّابع باستمرارٍ على أنّها مجلبةٌ للخلاص أو الدّينونة (راجع ٣: ١٧؛ ٩: ٣٩؛ ١٢: ٣١).

خاتمة

يُشكّل موضوع الارسال، كما سبق فقلنا، جسرًا رئيسيًّا بين رسالة يسوع، من ناحية، ورسالة التّلاميذ، من ناحيةٍ أخرى. إنّه رَحِم المواضيع المتعلّقة بموضوع الارسال في الإنجيل الرّابع، خصوصًا على صعيد طاعة الابن المُرسَل، وعلاقة الخضوع للّذي أرسله، الآب، الّتي تُشكّل بدورها نموذجًا حيًّا لرسالة التّلاميذ؛ فكما كان يسوع أثناء حياته وخدمته الأرضيّة خاضعًا وطائعًا بكلّيّته لله الآب، الّذي ختمه وكرّسه (٤: ٣٤؛ ٥: ١٩؛ ٦: ٢٧؛ ١٠: ٣٦؛ ١٧: ٤)، وعاملاً بقوّة الرّوح، الّذي استقرّ عليه (١: ٣٢)، هكذا الكنيسة الّتي هي كنيسةٌ رسوليّة، مُفوَّضةٌ من المسيح نفسه، فقط بفضل تقديس يسوع لها (١٧: ١٩)، ونفخة الرّوح فيها (٢٠: ٢٢)، وحفاظها على الطّاعة الكاملة ليسوع.

على مثال يسوع، على التّلميذ أن يُمجّد مُرسِله (**التّواضع**)، وأن يعمل مشيئته (**الطّاعة**؛ راجع ٤: ٣٤؛ ٥: ٣٠، ٣٨)، وأن يكون على **معرفةٍ روحيّةٍ** بالّذي أرسله: «يا أبتِ العادل، إنّ العالم لم يعرفك أمّا أنا فقد عرفتك، وهؤلاء قد عرفوا أنّك أنت أرسلتني» (١٧: ٢٥)، وأن يجعل الّذي أرسله معروفًا، من خلال الشّهادة الحيّة الإيمانيّة له، وتمثيله على نحوٍ صحيح، عبر **إخلاء الذّات**: «مَن آمن بي لم يؤمن بي أنا بل بالّذي أرسلني، ومَن رآني فقد رأى الّذي أرسلني» (١٢: ٤٤-٤٥)؛ «إنّ الّذي يقبل مَن أُرسله يقبلني، والّذي يقبلني يقبل الّذي أرسلني» (١٣: ٢٠)، وأخيرًا، أن **يقتدي بمثاله** (راجع ١٣: ١٢-١٧). لقد كان يسوع مُرسَلاً من قِبَل الآب، أمّا الآن فقد أصبح مُرسِلاً والتّلاميذ بدورهم مُرسَلين؛ من الآن فصاعدًا، ينبغي على التّلاميذ السَّير في الطّريق، الّتي اتّبعها يسوع، أثناء وجوده الأرضيّ، نحو الآب. إنّهم مختارون ومتمايزون («إنّهم ليسوا من العالم كما أنّي لستُ

من العالم»، ١٧: ١٦) ومُرسَلون إلى العالم (راجع ١٧: ١٨)، وينبغي عليهم، بالتّالي، أن يعتمدوا عليه اعتمادًا كلّيًّا، كما يتّضح ذلك من صلاتهم بإسم يسوع: «ومهما سألتم باسمي فأنا أفعله ليتمجّد الآب في الابن، وإنْ سألتم شيئًا باسمي فأنا أفعله» (١٤: ١٣-١٤؛ راجع أيضًا ١٥: ٧-٨، ١٦)؛ عليهم أن يعيشوا بالطّاعة ليسوع وكلمته: «مَن كانت عنده وصاياي وحفظها فهو الّذي يُحبُّني» (١٤: ٢١؛ راجع أيضًا الآيات ٢٣-٢٤، ٣١)، «أنتم أحبّائي إنْ صنعتم ما أنا موصيكم به» (١٥: ١٤؛ راجع أيضًا الآية ٢٠)؛ مطلوبٌ منهم أيضًا أن يعيشوا رباطًا أخويًّا يُعبَّر عنه في الخدمة المتواضعة والمحبّة والوحدة (راجع ١٣: ١٢-١٧، ٣٤-٣٥؛ ١٥: ٩-١٠، ١٢-١٣، ١٧؛ ١٧: ١١، ٢١-٢٣، ٢٦).

كما كان يسوع مكرّسًا بكلّيّته ليعمل مشيئة الّذي أرسله، الآب (راجع ٤: ٣٤)، كذلك ينبغي على التّلاميذ أيضًا أن يُخضِعوا أنفسهم، في إتمام رسالتهم حتّى الموت، لمشيئة مُرسِلهم، الرّبّ يسوع؛ فحقيقة أنّ يسوع أرى تلاميذه يديه المثقوبتَين وجنبه المطعون (راجع ٢٠: ٢٠)، وكذلك تفويضه إيّاهم بحلّ الخطايا أو إمساكها، تربط رسالة التّلاميذ بموت يسوع (راجع ١٧: ٤؛ ١٩: ٣٠؛ فصول ١٨-٢٠). إنّ رسالة يسوع تتميّز بكونها فريدةً، ولا يمكن الاستغناء عنها وأساسيّةً لرسالة الكنيسة؛ وتضحيته على الصّليب تجعل من رسالة التّلاميذ ممكنةً؛ فرواية الآلام تحرص على إظهار أنّ هذه التّضحية تمّت: (١) كما جاء في الكتب المقدّسة؛ (٢) وفقًا لمشيئة الله؛ (٣) وأخيرًا، بتعاونٍ كاملٍ وفعّالٍ من يسوع نفسه. من هنا نؤكّد أنّ صلب يسوع وقيامته يُشكّلان جزءًا لا يتجزّأ من رسالة التّلاميذ، إذ إنّ يسوع هو مركز رسالتهم في ما يتعلّق بمسيحانيّة (Messiaship) يسوع.

يُعزِّز التّفويض حضور يسوع الحيّ والقائم من بين الأموات الدّائم وسط تلاميذه: «ها أنا معكم كلّ الأيّام إلى انقضاء الدّهر» (متّى ٢٨: ٢٠). يسوع كان قد كشف الآب كلّيًّا لهم (راجع ١٥: ١٥؛ ١٧: ٦–٨). إنّه قادرٌ، الآن، على إرسالهم كما أرسله الآب، لأنّهم مؤمنون تمامًا أنّ يسوع هو الّذي أرسله الآب: «... وهم قبلوا وعلموا حقًّا أنّي منك خرجتُ وآمنوا أنّك أرسلتني» (١٧: ٦–٨؛ راجع أيضًا ١٤: ٦–١٤). إنّ الهدف الكامن وراء رسالتهم هو أن يأتيَ الآخرون إلى معرفة يسوع من خلالهم: «ولستُ أسأل من أجل هؤلاء فقط بل أيضًا من أجل الّذين يؤمنون بي بكلامهم» (١٧: ٢٠؛ راجع أيضًا ٢٠: ٢٩، ٣٠–٣١)؛ وقد بلغ هذا **الوحي الكامل** للآب ذروته في موت يسوع لأجلهم (راجع ٣: ١٦) الّذي يكشف، من بين أمورٍ أخرى، **محبّة الله لعالمٍ خاطئ**؛ على التّلاميذ، الآن، أن يُحافظوا على استمراريّة هذه المحبّة الإلهيّة للعالم.

يسوع هو الوحي الكامل والذّبيحة النّهائيّة على حدٍّ سواء، وينبغي على التّلاميذ أن يشهدوا لشخص يسوع وعمله من خلال كلامهم، أعمالهم ومسلكيّتهم الحياتيّة (راجع ١٤: ١٢؛ ١٥: ٢٦–٢٧؛ ١٦: ٨–١١؛ ١٧: ١٨)؛ لذا، ووفقًا للإنجيل الرّابع، فإنّ رسالة يسوع نفسها لم تنتهِ بانتهاء رسالة يسوع الأرضيّة، بل إنّها لا تزال حيّةً وفاعلة، من خلال الرّوح وتلاميذه، الّذين يُتمِّمون رسالته على الأرض، على الرّغم من كونه الآن في السّماء؛ فالتّلاميذ لا يحلُّون مكان يسوع، لأنّ خدمته تستمرّ وهي فعّالةٌ في خدمتهم (راجع ١٤: ١٢–١٤): **سيبقى يسوع «المُرسَل» بامتياز؛ إنّه لا يزال يسوع نفسه، المصلوب، القائم من بين الأموات، الممجَّد، والآتي، على حدّ تعبير بولس الرّسول:**

«**إنّ يسوع المسيح هو هو أمس واليوم وإلى مدى الدّهور**» (عبرانيّين ١٣: ٨)؛ **إنّه غافر الخطايا، ومُعطي الخلاص والحياة الأبديّة لكلّ مَن يؤمن به.** فلقد دخل التّلاميذ ببساطةٍ، في رسالته (راجع ٤: ٣٨)، الرّسالة الّتي لم يتخلَّ عنها يسوع أبدًا.

يُمثّل يسوعَ الرّوحُ والتّلاميذ (موضوع الإرسال)، لكنّهم لن يحلُّوا مكانه:

- يُمثّل الرّوح يسوع، من خلال تذكير التّلاميذ بكلّ ما قاله يسوع (راجع ١٤: ٢٦)؛ على مثال يسوع، سيُعلّمهم ويقودهم إلى الحقيقة (راجع ٨: ٣١؛ ١٧: ١٧)؛ كما أنّه سيُبكّت العالم على عدم إيمانه بيسوع (راجع ١٦: ٨-١١)، وهو عملٌ أتمّه يسوع بالفعل طوال خدمته الأرضيّة، وخاصّةً بموته على الصّليب: «قد حضرت دينونة هذا العالم، الآن يُلقى رئيس هذا العالم خارجًا، وأنا إذا ارتفعتُ عن الأرض، جذبتُ إليّ الجميع. وإنّما قال هذا ليدلّ على أيّة ميتةٍ كان مزمعًا أن يموتها» (١٢: ٣١-٣٣).
- يسوع هو «الرّاعي الصّالح»: لا يعني تكليف بطرس رعاية خرافه تخلّي يسوع عن دوره الرّعائيّ كراعٍ (راجع ١٠: ١٦)، إذ إنّه، ببساطةٍ، يمنح هذه المهمّة لبطرس ممثّلاً له.

لتوضيح خصوصيّة كلٍّ من رسالة يسوع ورسالة التّلاميذ، نضع أمام القارئ الرّسم البيانيّ التّالي:

رسالة يسوع	المجيء (إلى العالم) والعودة (النّزول- الصّعود؛ الآيات)	الابن المرُسَل (إلى العالم) من قِبَل الآب (الأعمال)	الرّاعي-المعلّم الّذي يدعو أتباعه إلى جَمع الحصاد
رسالة التّلاميذ	-----	أُرسلوا (إلى العالم) من قِبَل يسوع (الأعمال العظيمة)	يأتون إلى يسوع، يتبعونه (يتتلمذون له)، ويؤمنون به

لا تَرِد مواضيع نزول-صعود يسوع (مجيئه إلى العالم وعودته، الكلمة صار جسدًا) وآياته المسيحانيّة في رسالة التّلاميذ، إذ إنّها مواضيعُ تُميِّز رسالة يسوع وحدها. إنّ المطلوب من التّلاميذ هو أن يأتوا إلى يسوع ويؤمنوا به. إنّ دور يسوع كراعٍ ومعلّمٍ يكمن في دعوة أتباعه ليجمعوا الحصاد الاسكاتولوجيّ يتوافق مع اتّباع التّلاميذ ليسوع. إنّ الابن المرُسَل إلى العالم من قِبَل الآب ليُتمِّم أعماله (أي أعمال الآب) يوازيه التّلاميذ المرُسَلون إلى العالم من قِبَل يسوع (راجع ١٧: ١٨؛ ٢٠: ٢١) ليقوموا «بأعمالٍ أعظم» (راجع ١٤: ١٢) بالاتّكال على يسوع.

إنّ اشتراك التّلاميذ في رسالة يسوع الأرضيّة في الفصول ١-١٢ من الإنجيل الرّابع يقتصر على المهام الاعتياديّة، مثل شراء الطّعام (راجع ٤: ٨)، أو مساعدة يسوع في توزيع الطّعام وجمع البقايا (راجع ٦: ٥-١٣). على النّقيض من ذلك، تُبيِّن الفصول ١٣-٢١ أنّ اشتراك التّلاميذ في رسالة يسوع الممجَّد هو أكثر أهمّيّةً من إنجاز المهام الاعتياديّة الّتي سبق فذكرناها سابقًا، إذ إنّهم سيقومون «بأعمالٍ أعظم»،حتّى من تلك الأعمال الّتي فعلها معلّمهم خلال رسالته الأرضيّة (راجع ١٤: ١٢).

في الختام نقول إنّ الإنجيليّ الرّابع يؤكّد على **أنّ جميع المؤمنين هم مُرسَلون ومُبشِّرون**، ذلك أنّ الرّسالة لا تختصّ بفئةٍ محدّدةٍ دون سواها، تقتصر على التّلاميذ الأوّلين، بل إنّها قلب الكنيسة النّابض على مرّ العصور: «رأيتُ تحت المذبح نفوس الّذين ذُبحوا في سبيل كلمة الله والشّهادة الّتي أدَّوها» (رؤيا ٦: ٩).

خاتمة عامّة

لقد حاولنا، طوال هذا البحث، أن نُعطيَ لمحةً بسيطةً عن بعض مواضيع اللّاهوت اليوحنّاويّ، الّتي تُعتبر من ركائز الحياة المسيحيّة الحقيقيّة والأصيلة. أمّا الآن، فإنّنا سنسعى إلى استخراج بعض النّتائج التّطبيقيّة، الّتي تُساهم في بناء الإنسان المسيحيّ في مسيرة نُضجه الرّوحيّ ونُموّه الإيمانيّ.

• الإيمان

ليسوع مطلبٌ واحدٌ أساسيّ يجعل البشر جديرين لأن يتقبّلوا عطيّته، عطيّة الحياة الأبديّة، هو الإيمان. فالإيمان اليوحنّاويّ هو أن يؤمن المرء بشهادة الكتاب (٢: ٢٢)، موسى (٥: ٤٦) وكتاباته (٥: ٤٧)، وأبعد من ذلك الإيمان بكلام (٢: ٢٢؛ ٤: ٥٠؛ ٥: ٤٧) وأعمال (١٠: ٣٨) يسوع، الّذي يعني بدوره الإيمان بيسوع نفسه (٥: ٣٨، ٤٦؛ ٦: ٣٠؛ ٨: ٣١، ٤٥، ٤٦؛ ١٠: ٣٧، ٣٨). أن يؤمن المرء بيسوع وكلمته يعني أن يؤمن بالله (٥: ٢٤).

إنّ مِثل هذا **الإيمان يعني قبول رسالة يسوع المسيحانيّة**. يظهر هذا جليًّا من خلال استعمال العبارة «πιστεύω ὅτι»، أي «أومن أنّ». يؤكّد فحوى الإيمان أنّ يسوع هو قدّوس الله (٦: ٦٩)؛ المسيح، ابن الله (١١: ٢٧)؛ مُرسَل الله (١١: ٤٢؛ ١٧: ٨، ٢١)؛ واحدٌ مع الآب (١٤: ١٠-١١؛ ١٧: ٢١-٢٢)؛ الآتي من الآب (١٦: ٢٧، ٣٠)؛ وأنّ يسوع، أخيرًا، هو «أنا هو» (٨: ٢٤؛ ١٣: ١٩). إنّ مِثل هذا الإيمان بشخص **يسوع يُشكّل السّبيل الوحيد إلى الحياة الأبديّة**، والسّبب الكامن وراء كتابة الإنجيل: «وأمّا هذه فقد كُتِبَت لتؤمنوا بأنّ يسوع هو المسيح ابن الله، ولكي تكون لكم إذا آمنتم حياةٌ باسمه» (٢٠: ٣١).

إنّ هذا الإيمان الّذي ينطوي على أكثر من لاهوتٍ صحيحٍ يُرى في عبارةٍ يوحنّاويّةٍ مميّزة هي: «πιστεύω εἰς»، وتعني حرفيًّا «أومن بِـ»؛ إنّها عبارةٌ مسيحيّةٌ فريدةٌ تهدف إلى التّعبير عن علاقة الالتزام الشّخصيّ بين المؤمن ويسوع. تأخذنا هذه العبارة أيضًا إلى تبيان التّطابق القائم بين الإيمان والمعموديّة. على المرءِ أن يؤمن بالمسيح (εἰς) أو باسمه (١: ١٢؛ ٢: ٢٣؛ ٣: ١٨) وأن يعتمد بالمسيح (رومة ٦: ٣؛ غلاطية ٣: ٢٧) أو باسمه (متّى ٢٨: ١٩؛ أعمال ٨: ١٦؛ ١ كورنثس ١: ١٣). فكما أنّ المعموديّة بالمسيح تُمثِّل حالة الاتّحاد معه بموته وجِدّة الحياة (رومة ٦: ٤–٥)، هكذا فإنّ الإيمان بالمسيح يعني تماهيًا شخصيًّا معه (أي تحقيقًا للذّات الحقيقيّة)؛ هذا يعني استجابة الإنسان بكلّيّته للوحي المُعطَى بالمسيح؛ إنّه ينطوي على أكثر من الثّقة بيسوع بكثير، لأنّه قبول يسوع الّذي يتطلّب من الإنسان تكريس حياته كلّها له؛ لا يأخذ هذا الالتزام بُعدًا عاطفيًّا، بل يشتمل على رغبةٍ داخليّةٍ واستعدادٍ شخصيٍّ للرّدّ على مطالب الله الممنوحة بيسوع ومن خلاله.

هناك تعابيرُ أخرى تُعادل بمضمونها الإيمان تؤكّد على الالتزام الكامل والاتّحاد الشّخصيّ بين المؤمن والمسيح. أن تؤمن يعني أن تقبل يسوع (١: ١٢؛ ٥: ٤٣؛ ١٣: ٢٠)، أن تقبل الشّهادة (٣: ١١)، وأن تقبل كلام يسوع (١٢: ٤٨؛ ١٧: ٨). بالإضافة إلى حقيقة أنّ الإيمان والرّؤية مرتبطان معًا: «هذه هي مشيئة الّذي أرسلني أنّ كلّ مَن يرى الابن ويؤمن به تكون له حياةٌ أبديّةٌ» (٦: ٤٠). من الواضح أنّ «رؤية الابن» تتخطّى بطبيعتها الرّؤية البصريّة. فلقد كان يسوع منظورًا، جسديًّا لجميع أولئك الّذين كانوا على مقربةٍ منه. «رؤية الابن» تعني الاعتراف به كابنٍ. كثيرٌ من النّاس رأَوا يسوع لكنّهم لم يؤمنوا به (٦:٣٦). لا أحد على الإطلاق رأى الله (١: ١٨)،

إلاّ أنّ يسوع، الّذي هو «صورة الله غير المنظور» (كولسّي ١: ١٥)، استطاع بدوره أن يجلب «رؤية الله» للبشريّة: «مَن رآني فقد رأى الآب» (١٤: ٩).

• الإيمان والآيات

تُشكّل الآيات بحسب يوحنّا أعمالاً عظيمةً تُثبت أصالة شخص يسوع ورسالته، وتُبرهن على أنّ الآية تجعل الله حاضرًا بأقواله وأعماله. أعمال يسوع هي أفعاله، وهي تشير، في المقام الأوّل، إلى أفعاله العجائبيّة (٥: ٢٠؛ ٩: ٣). على الرّغم من أنّ كلمة «ἔργα – عمل» لا تُستخدم بشكلٍ واضحٍ للإشارة إلى الأفعال غير العجائبيّة، إلاّ أنّها قد تتضمّن هذه الأفعال، لأنّ «ἔργα» تُستخدم للدّلالة على أعمال اليهود الجيّدة أو السّيّئة، الّتي تُظهرهم إمّا أبناء ابراهيم أو أبناء إبليس (٨: ٣٩، ٤١، ٤٤). لذلك فإنّ أعمال يسوع تعكس حقيقة أنّ الآب حاضرٌ فيها (١٠: ٣٢). إنّها، في الواقع، أعمال الله نفسه (١٠: ٣٧–٣٨)، ذلك أنّ الله موجودٌ في يسوع وفاعِلٌ به: «أمَا تؤمن أنّي أنا في الآب وأنّ الآب فيّ؟» (١٤: ١٠). تشهد هذه الأعمال على حقيقة أنّ يسوع هو المُرسَل من الله (٥: ٣٦؛ ١٠: ٢٥). ينبغي أن تقود مِثل هذه الأعمال إلى الإيمان بيسوع (١٠: ٣٨؛ ١٤: ١١). لذا، فإنّ كلمة «ἔργα» تُحدِّد بطبيعتها نشاط يسوع بأكمله وليس فقط الآيات، وبالتّالي، فإنّ استخدام صيغة المفرد لكلمة «ἔργον» من قِبَل الإنجيليّ يوحنّا، يشير إلى أنّها تنطوي على حياة يسوع الرّسوليّة بأكملها. إنّ طعامه الحقيقيّ هو، بدون أدنى شكّ، أن يُتمِّم عمل الله (٤: ٣٤)؛ وفي النّهاية، كان يسوع مُدركًا تمام الإدراك أنّه أتمّ عمل الله: «قد أتممتُ العمل الّذي أعطيتني لأعمله» (١٧: ٤).

تُسمّى بعض أعمال يسوع «آيات – σημεῖα» وتُشير بوضوحٍ إلى أفعاله العجائبيّة. يُسجّل يوحنّا في إنجيله عددًا قليلاً من الآيات بالمقارنة مع الإزائيّين؛ إنّها سبعٌ في الواقع: (١) تحويل الماء إلى خمر في قانا الجليل (٢: ١-١١)؛ (٢) شفاء ابن الحاكم (٤: ٤٦-٥٤)؛ (٣) شفاء المخلَّع عند بركة بيت حِسدا (٥: ٢-٩)؛ (٤) تكثير الخبزات (٦: ٤-١٣)؛ (٥) السَّير على الماء (٦: ١٦-٢١)؛ (٦) شفاء الأعمى منذ مولده (٩: ١-٧)؛ (٧) إحياء لعازر (١١: ١-٤٤). يُحدِّد الإنجيليّ يوحنّا معظم هذه الآيات بكلمة «σημεῖον» (٢: ١١؛ ٤: ٥٤؛ ٦: ٢، ١٤، ٢٦؛ ١١: ٤٧؛ ١٢: ١٨). إنّ الاختيار المتعمَّد من قِبَل الإنجيليّ لبعض الآيات الّتي صنعها يسوع يؤكّد حقيقة أنّ يسوع قد صنع آياتٍ عديدةً أخرى، كما يظهر ذلك جليًّا في الإنجيل نفسه (٢: ٢٣؛ ١١: ٤٧؛ ١٢: ٣٧؛ ٢٠: ٣٠). أمّا الأهمّيّة اللّاهوتيّة لهذه الآيات، فتأتي على لسان يوحنّا نفسه،الّذي يكشف أنّ هدفها هو الإيمان بيسوع على أنّه المسيح ابن الله (٢٠: ٣١).

فالآيات، كالأعمال، تشهد على حضور الله وقوّته في شخص يسوع، كما جاء على لسان نيقوديمس: «رابِّي، نحن نعلم أنّك أتيتَ من الله معلِّمًا، لأنّه لا يقدر أحدٌ أن يعمل هذه الآيات الّتي أنت تعلمها، إن لم يكنِ الله معه» (٣: ٢). يكمن معناها في كشف العمل الخلاصيّ لله في يسوع:

- يرمز تحويل الماء إلى خمر في قانا إلى «عُقم اليهوديّة» (أجران الماء الفارغة) والخمر الجديد إلى الزّمن المسيحانيّ (يوئيل ٢: ٢٤؛ عاموس ٩: ١٣؛ زكريّا ١٠: ٧؛ مرقس ٢: ٢٢).

- تُمثِّل آية إطعام الخمسة آلاف الوليمة المسيحانيّة، الّتي غالبًا ما أشار إليها العهد القديم، والّتي لها ما يُوازيها عند الإزائيّين. يرى يوحنّا في هذه الواقعة رمزًا إلى خبز الحياة، الّذي يمكنه لوحده أن يُشبع جوع الإنسان.

- يُوضِّح إحياء لعازر حقيقة أنّ الحياة الابديّة الموجودة في يسوع وهي في الواقع حياة القيامة الإسكاتولوجيّة المُحقَّقَة على المستوى الرّوحيّ في التّاريخ: «أنا القيامة والحياة، مَن آمن بي، وإنْ مات، فسيحيا» (١١: ٢٥).

تُشكّل هذه الآيات ككلّ نوعًا من الآيات الّتي كان يتوقّعها اليهود مع بزوغ فجر الزّمن المسيحانيّ. هذا مماثلٌ لجواب يسوع في الإزائيّين عن سؤال تلاميذ يوحنّا: «ولمّا سَمِعَ يوحنّا وهو في السّجن بأعمال المسيح، أرسل اثنين من تلاميذه يقولان له: أأنت الآتي، أم ننتظر آخَر؟ فأجاب يسوع وقال لهما: اذهبا وأعلما يوحنّا بما سمعتما ورأيتما: العُميان يُبصرون، والعُرج يمشُون، والبرص يطهُرون، والصُّمّ يسمعون، والموتى يقومون، والمساكين يُبشَّرون، وطوبى لِمَن لا يشكّ فيّ» (متّى ١١: ٢–٦؛ أشعيا ٣٥: ٥، ٦١: ١). كلّ هذا يشير إلى أنّ نبوءات الزّمن المسيحانيّ قدِ اكتملت الآن في شخص يسوع.

إنّ مسألة علاقة الآيات بالإيمان ليست بالمسألة السّهلة، ذلك أنّ المعطيات تدلّ على اتّجاهين مختلفين. في بعض الأحيان، تهدف الآيات إلى أن تقود الإنسان إلى الإيمان بيسوع (٢: ٢٣؛ ٦: ١٤؛ ٧: ٣١؛ ١٠: ٤٢). من ناحيةٍ أخرى، هناك الكثيرون الّذين رأَوا الآيات ولكنّهم لم يؤمنوا (١١: ٤٧؛ ١٢: ٣٧). علاوةً على ذلك، فإنّ يسوع يُوبِّخ اليهود لأنّهم لا يريدون أن يؤمنوا إلاّ إذا رأوا آيات:

«إنْ لمتُعاينوا آياتٍ وعجائب لا تؤمنون» (٤: ٤٨)، «أيّة آيةٍ تصنع لنراها ونؤمن بك؟» (٦: ٣٠). تتطلّب الآيات ايمانًا يُمكّن الإنسان من فهم المعنى الحقيقيّ لها ولشهادتها ليسوع؛ تبقى الآيات لأولئك الّذين لا يؤمنون مجرّد معجزاتٍ لا معنى لها؛ بينما تكون وسيلةً لتأكيد الإيمان وتعميقه، لأولئك الّذين يقبلونها كعلامةٍ من الله.

إذًا، يُمكننا القول إنّ أعمال يسوع ستكون وسيلةً للإدانة وتأكيد العمى الرّوحيّ للبشر في خطاياهم: «لو لم أعمل بينهم أعمالاً لم يعملها آخَر لم تكن لهم خطيئة، وأمّا الآن فقد رأَوا وأبغضوني أنا وأبي» (١٥: ٢٤). فالآيات الّتي صنعها يسوع في أورشليم في الفصح قادت الكثيرين إلى «الإيمان باسمه» (٢: ٢٣)، إلاّ أنّ يسوع «لم يأتمنهم على نفسه، لأنّه كان يعرف الجميع... لأنّه كان يعلم ما في الإنسان» (٢: ٢٤-٢٥).

لقد اعترف نيقوديمس بيسوع على أنّه إنسانٌ مُرسَلٌ من الله بسبب الآيات الّتي صنعها (٣: ٢)؛ ولكنّ هذا لم يكن كافيًا. إنّه بحاجةٍ إلى أن يولد من عَلُ. بعد حادثة شفاء المخلَّع، «تَبِعَ» كثيرون يسوع بسبب آياته: «وتَبِعَه جمعٌ كثيرٌ، لأنّهم كانوا يُعاينون آياته الّتي يصنعها في المرضى» (٦: ٢). بعد تكثير الخبزات، «اعترف» الكثيرون بأنّ يسوع «هو في الحقيقة النّبيّ الآتي إلى العالم» (٦: ١٤)؛ ومع ذلك، فبينما تعكس هذه التّصريحات مقياس الإيمان، إلاّ أنّه يبقى غير كافٍ؛ فبعد أن بيّن يسوع أنّ الحقيقة وراء حادثة تكثير الخبزات لا تُشير بتاتًا إلى الملك المسيحانيّ المنتصر: «وإذ عَلِمَ يسوع أنّهم مزمعون أن يأتوا ويختطفوه ليجعلوه ملكًا، انصرف وعاد وحده إلى الجبل» (٦: ١٥)، بل إلى جسدٍ بشريٍّ مبذول «أنا الخبز الحيّ الّذي نزل من السّماء... والخبز الّذي سأُعطيه أنا هو جسدي الّذي سأبذله

من أجل حياة العالم» (٦: ٥١)، «رَجَعَ كثيرون من تلاميذه إلى الوراء ولم يعودوا يمشون معه» (٦: ٦٦).

يبدو أنّ الإنجيل يشير إلى أنّ قبولاً موثوقًا للآيات لا يعني بتاتًا إيمانًا حقيقيًّا؛ لا يكفي أن ينذهل الإنسان من الآيات كعجائب أَحدَثَتها قوّة الله؛ لذا، يجب أن يُنظَر إلى الآيات ككشفٍ يُبيِّن مَن هو يسوع ووحدته مع الآب؛ تدعم هذا المفهوم حقيقة أنّ يسوع كان قد أشاد بجميع أولئك الّذين لم يرَوا آياتٍ على الإطلاق ولا يزالون مؤمنين (٢٠: ٢٩). لا يحمل الإيمان غير المبنيّ على الآيات طابع المصداقيّة فحسب، بل طابع الاستجابة الايمانيّة لشهادة التّلاميذ الشّفويّة (١٧: ٢٠) والمكتوبة (٢٠: ٣١) على حدٍّ سواء. فالإيمان هو دائمًا استجابة الإنسان للشّهادة، أيًّا كان ذلك الشّاهد: يوحنّا المعمدان (١: ٧، ١٥، ٣٤)، كلام يسوع (٣: ١١؛ ٨: ١٤، ١٨)، أعمال يسوع (٥: ٣٦؛ ١٠: ٢٥)، الكتب المقدّسة (٥: ٣٩)، المرأة السّامريّة (٤: ٣٩)، المعزّي، روح الحقّ (١٥: ٢٦)، وأخيرًا التّلاميذ (١٥: ٢٧؛ ١٩: ٣٥).

- **المجد** – δόξα

فالآيات الّتي تشهد ليسوع تكشف أيضًا بُعدًا جديدًا هو المجد الإلهيّ. لهذا المصطلح جذوره في العهد القديم. إنّ المعنى الأساسيّ للمجد هو «التّسبيح» و«الاجلال». إنّ «المجد» الوحيد الجدير بالاهتمام هو المجد المُعطى لله، وهو الّذي عاشه يسوع أثناء رسالته الأرضيّة: «إنّ مَن يتكلّم من عنده إنّما يطلب مجد نفسه، فأمّا الّذي يطلب مجد الّذي أرسله فهو صادقٌ ولا جَور عنده» (٧: ١٨)، لذلك نرى أنّ يسوع يزدري المجد المُعطى للنّاس بدلاً من الله، بقوله: «إنّي لا أقبل المجد

من النّاس» (٥: ٤١)، وهذا كان سببًا جوهريًّا في الخلاف المُحتَدِم بين يسوع والفرّيسيّين الّذين «أحبّوا مجد النّاس على مجد الله» (١٢: ٤٣).

لقد كانت كلمة «مجد» ترجمةً لتلك الكلمة العبريّة «כבוד»، الّتي تُشير إلى ظهوراتٍ مرئيّةٍ ميّزت بدورها حضور الله وقوّته في وسط شعب إسرائيل، ذلك أنّ إله العهد القديم هو إلهٌ غير مرئيٍّ، فكان عليه أن يجعل وجوده معروفًا وملموسًا من خلال أفعالٍ مرئيّةٍ اقترنت بمجد الرّبّ، كالغمام: «فلمّا كلّم هارون بذلك كلّ جماعة بني إسرائيل، التفتوا نحو البرّيّة فإذا مجد الرّبّ قد ظهر في الغمام» (خروج ١٦: ١٠؛ راجع أيضًا ٢٤: ١٦؛ ١ ملوك ٨: ١١). لمجد الله أيضًا مفهومٌ إسكاتولوجيّ؛ ففي يوم الرّبّ، سيتجلّى مجد الرّبّ مالئًا الأرض بإشعاعاته: «قومي استنيري فإنّ نورك قد وافى ومجد الرّبّ أشرق عليكِ. ها إنّ الظّلمة تغشى الأرض والدّيجور يشمل الشّعوب ولكن عليك يُشرق الرّبّ ويتراءى عليك مجده، فتسير الأمم في نوركِ والملوك في ضياء إشراقك» (أشعيا ٦٠: ١-٣؛ راجع أيضًا ٦٦: ١٨؛ حزقيال ٣٩: ٢١؛ ٤٣: ٢).

في العهد الجديد، يحمل المجد مفهومًا إسكاتولوجيًّا، في إشارةٍ إلى ظهور الرّبّ المنظور في نهاية الأزمنة ليؤسِّس ملكوته (مرقس ٨: ٣٨؛ ١٠: ٣٧؛ ١٣: ٣٦). سيكون هذا المجد من نصيب المؤمنين (رومة ٨: ١٨؛ كولسّي ٣: ٤). وفقًا للإنجيليّ الرّابع، للمجد دلالاتٌ إسكاتولوجيّة، إلاّ أنّها ليست بالمعنى عينه كما هو الحال في كتابات العهد الجديد الأخرى، ذلك أنّ يوحنّا يُشدِّد في إنجيله على أنّ أحداث موت-قيامة-صعود يسوع هي بالتّحديد لحظة «تمجيده» (٧: ٣٩؛ ١٢: ١٦، ٢٣؛ ١٣: ٣١). في صلاته الأخيرة، صلّى يسوع إلى الآب ليُمجّده «بالمجد الّذي كان لي

عندك من قبْل كون العالم» (١٧ : ٥). فيسوع أتى من مجد الكيان الإلهيّ وسيعود إليه بعد موته الكفّاريّ على الصّليب، ذلك لأنّ مجد الله قد ظهر في شخص يسوع التّاريخيّ ورسالته الخلاصيّة. بناءً على هذه الحقيقة الكريستولوجيّة، سيُشارك تلاميذه يومًا ما في مجد يسوع هذا: «يا أبتِ، إنّ الّذين أعطيتني أُريد أن يكونوا معي حيث أنا، ليرَوا مجدي الّذي أعطيتني...» (١٧: ٢٤). يُمكن للمرء أن يرى هذا المجد من خلال عيون الإيمان فقط: «أَلَمْ أَقُل لكِ إنّكِ إنْ آمنتِ فسترَين مجد الله» (١١: ٤٠).

• الإيمان والمعرفة

من الواضح أنّ هناك علاقةً وثيقةً بين الإيمان والمعرفة في الإنجيل الرّابع، لأنّهما موجَّهان نحو مواضيعَ متشابهةٍ تمامًا. فتلاميذ يسوع قد «علموا حقًّا أنّي منك خرجتُ، وآمنوا أنّك أنتَ أرسلتني» (١٧: ٨). لقد صلّى يسوع من أجل وحدة تلاميذه حتّى يتسنّى للعالم أن يؤمن (١٧: ٢١) ويعلم (١٧: ٢٣) بأنّ يسوع هو المُرسَل من الله؛ فالمعرفة هي السّبيل المؤدّي إلى الإيمان الحقّ: «وقد آمنّا نحن وعرفنا أنّك أنت المسيح قدّوس الله» (٦: ٦٩). إذًا، إنّ المعرفة هي نتيجةٌ حتميّةٌ للتّلمذة: «إنْ أنتم ثبتُّم على كلمتي، فبالحقيقة تكونون تلاميذي، وتعرفون الحقّ والحقّ يُحرِّركم» (٨: ٣١-٣٢). المعرفة، بالتّالي، هي ثباتٌ في الإيمان، إذ تُعتبر عنصرًا تأسيسيًّا للإيمان الحقّ، الّذي ما هو إلاّ علاقةٌ شخصيّةٌ مُعاشةٌ بالرّبّ الحيّ يسوع المسيح. فكيف نستطيع أن نؤمن بيسوع ما دُمنا لا نعرفه؟

• الإيمان والثّبات

إذا كان الإيمان هو السّبيل للدّخول إلى الحياة، فإنّ «الثّبات» هو مَطلبٌ أساسٌ للاستمرار في الإيمان. هناك ثباتٌ متبادلٌ للمؤمن في المسيح (٦: ٥٦؛ ١٤: ٢٠، ٢١؛ ١٥: ٥؛ ١٧: ٢١)، والمسيح في المؤمن (٦: ٥٦؛ ١٤: ٢٠، ٢٣؛ ١٥: ٥؛ ١٧: ٢٣، ٢٦). هذا مماثلٌ لثبات الابن في الآب (١٠: ٣٨؛ ١٤: ١٠، ١١، ٢٠، ٢١؛ ١٧: ٢١) وثبات الآب في الابن (١٠: ٣٨؛ ١٤: ١٠، ١١، ٢١؛ ١٧: ٢١، ٢٣). يؤكّد هذا المصطلح اليوحنّاويّ الألفة الشّخصيّة بين يسوع والمؤمن؛ فأنْ يثبت المؤمن في يسوع يعني: أن يثبت على كلمته (٨: ٣١)؛ ألاّ يمكث في الظّلمة (١٢: ٤٦)؛ أن يثبت في النّور (١ يوحنّا ٢: ١٠)؛ أن يثبت على تعليم المسيح (٢ يوحنّا ٩)؛ أن يثبت في محبّته (١٥: ٩-١٠)؛ أن يحفظ وصاياه (١ يوحنّا ٣: ٢٤)؛ أن يُحِبّ بعضنا بعضًا (١ يوحنّا ٤: ١٦). أن يثبت يسوع في تلاميذه فهذا يعني أن تكون كلمته ثابتةً فيهم (٥: ٣٨)، ومحبّته (١ يوحنّا ٣: ١٧)، وحقّه (٢ يوحنّا ٢). على النّقيض من ذلك، يثبت غير المؤمنين في الظّلمة (١٢: ٤٦)، وفي الموت (١ يوحنّا ٣: ١٤). إذًا، فإنّ الثّبات في المسيح يعني الحفاظ على الأُلفة المتواصلة معه.

في ختام هذه الدّراسة، أدعو قارئي هذه الصّفحات المنتقاة من حديقة الورود اليوحنّاويّة العابقة برائحة المسيح الطّيّبة إلى التّعمُّق أكثر في سرّ المسيح. **إنّ النّقاط الّتي تمّ بحثها في هذه الدّراسة (الرّوحانيّة، الإيمان، المعرفة، ابن الإنسان والرّسالة) تؤلّف معًا الحياة المسيحيّة برمّتها، الّتي ما هي إلاّ حياةُ بُنُوّةٍ ومحبّةٍ في الرّوح القدس؛ إنّها عبارةٌ عن انفصالٍ ورغبة: انفصالٍ عن العالم والخطيئة، ورغبةٍ عميقةٍ في الله، وثمرة هذه الرّغبة هي السّلام في المحبّة، هي الحبّ، أساس كلّ شيء.**

لذلك، فإنّ هدف هذه الدّراسة النّسريّة يكمن في صيرورة الإنسان الأرضيّ نسرًا سماويًّا محلِّقًا في سماء الإلهيّات، وبالتّالي، في عبوره من أرض العبوديّة إلى أرض الحرّيّة، من حالة الظّلمة إلى حالة النّور الإلهيّ، من الموت إلى الحياة ومن أورشليم الأرضيّة إلى أورشليم السّماويّة. إذ إنّ غاية الإنسان هي الحياة في المسيح، أي الاتّحاد به، على حدّ تعبير القدّيس نقولا كاباسيلاس، وهذا غير متاح إلاّ بالأسرار الّتي تُقيمها الكنيسة: في المعموديّة يصير الإنسان جديدًا، وفي سرّ الميرون المقدّس ينال مواهب الرّوح القدس، وفي سرّ الشّكر (القدّاس الإلهيّ) يتّحد اتّحادًا عضويًّا بالرّبّ يسوع المسيح. ومن خلال التّعمّق في اللّاهوت اليوحنّاويّ، **لا بدّ للإنسان أن يصل إلى الإنسانيّة المتألِّهة الّتي ليست سوى الإنسانيّة الحقيقيّة الّتي وصلت إلى مبتغاها الأصليّ الّذي من أجله خُلِقَت. هذه الإنسانيّة الجديدة هي إنسانيّة يسوع الكلمة المتجسّد الّتي تحتوي، على حدّ قول القدّيس مكسيموس، الإنسان الجديد**؛ فلقد حقَّق المسيح كإنسانٍ تامٍّ بإرادةٍ إنسانيّةٍ ما رسمه الله للإنسان الأوّل، وصار في ميّزات حياته كإنسانٍ نموذجًا للإنسان المتألِّه، ففتح لنا الطّريق لكي نبلغ به ملء الحياة الأبديّة.

المجد لله... دائمًا وأبدًا لله

المراجع المُعتمَدة

1. Agourides, S., «Peter and John in the fourth Gospel», In Studia Evangelica IV, edited by Frank L. Cross, 37-, Berlin, Akademie, 1968.

2.. Ashton, J., *Understanding the fourth Gospel*, Oxford University, press, 1990.

3. Barrett, C. K., *The Gospel according to St. John*, 2d ed., Philadelphia, Westminster, 1978.

4. Bauder, W., «Disciple», in the New International Dictionary of New testament theology, edited by Colin Brown, vol. 1, 480494-, Grand Rapids, Zondervan, 1976.

5. Braaten, C., *No other Gospel: Christianity among the World's Religion*s, Minneapolis, Fortress, 1991.

6. Brown, R., *The Gospel According to John*, 2 vols., New York, Doubleday, 1966, 1970.

7. Carson, D., *The Gospel According to John*, Grand Rapids, Eerdmans, 1991.

8. Cook, W. R., «The 'Glory' motif in the johannine corpus», Journal of the Evangelical Theological Society 27 (1984), p.291297-.

9. Corell, A., *Consummation Est: Eschatology and Church in the Gospel of St. John*, London, 1958.

10. Davy, F., «The Gospel According to St. John and the Christian mission», in the Theology of the Christian Mission, edited by Gerald H. Anderson, 8593-, Nashville, New York, Abingdon, 1961.

11. Di Marco, A., «Πέμπω: per una ricerca del 'campo semantico' nel NT», Rivista Biblica 40 (1992), p.385419-.

12. Droge, A., "The status of Peter in the fourth Gospel" (Jn 18: 1011-), Journal of Biblical Literature 109 (1990), p.307311-.

13. Fortna, R., *The Gospel of Signs: A reconstruction of the narrative source underlying the fourth Gospel*, Cambridge University press, 1974.

14. Freed, E., «The Son of Man in the Fourth Gospel», Journal of Biblical Literature 86 (1967), p.402409-.

15. Guthrie, D., «The Importance of Signs in the Fourth Gospel», Vox evangelica 5 (1967), p.7283-.

16. Haenchen, E., *A Commentary on the Gospel of John*, 2 vols., translated by R. W. Funk, Philadelphia, Fortress, 1984.

17. Hahn, F., *Mission in the New Testament*, Studies in biblical theology 47, London, 1965.

18. Lindars, B., «The Son of Man in the johannine Christology», in Christ and Spirit, in honor of C. F. D. Moule, edited by Barnabas Lindars and Stephan S. Smalley, 4360-, London, 1973.

19. Martyn, J., *The Gospel of John in Christian History: Essays for Interpreters*, New York, Paulist, 1978.

20. Miranda, J., *Being the Messiah: the message of St. John*, Maryknoll, Orbis, 1977.

21. Morris, L., *Studies in the Fourth Gospel*, Grand Rapids: Wm. B. Eerdmans, 1969.

22. Morris, L., *Jesus is the Christ: Studies in the Theology of John*, Grand Rapids, Eerdmans, 1989.

23. Pancaro, S., «People of God's in St. John's Gospel», New Testament Studies 16 (1970), p.114129-.

24. Pryor, J., *John: Evangelist of the Covenant People: The narrative and Themes of the Fourth Gospel*, Downers Grove, Intervarsity, 1992.

25. Rensberger, D., *Johannine Faith and Liberating Community*, Philadelphia, Westminster, 1988.

26. Rhea, R., *The Johannine Son of Man*, Abhandlungen Zue Theologie des Alten und Neuen Testaments 76, Zurich: Theologischer, 1990.

27. Sandras, J., *A Commentary on the Gospel According to St. John*, London, Adam & Charles Black, 1968.

28. Schnackenburg, R., *The Gospel according to St. John*, volume 1, Crossroad, New York, 1990.

29. Sidebottom, E., «The Ascent and Descent of the Son of Man in the Gospel of St. John», Angelican Theological Review 39 (1957), p.115122-.

30. -----------, *Studies in the Fourth Gospel*, Grand Rapids, Eerdmans, 1969.

31. Sundberg, A., «Christology in the Fourth Gospel», Biblical Research 21, (1976), p.2937-.

32. ------------, *The Gospel According to John*, New International Commentary on the NT, Grand Rapids, Eerdmans, 1971.

33. -------------, «The Purpose of the Fourth Gospel: Jn 20: 31 Reconsidered», Journal of Biblical Literature 106 (1987), p.639651-.

34. Viviano, B., «The missionary program of John's Gospel», Bible Today 22, (1984), p.387393-.